

سلسلة تفسير القرآن الكريم (٩)



التفسير المنهجي

مِنْ سُورَةِ يوسُفَ - نِهايَةِ سُورَةِ الحِجْرِ

تأليف

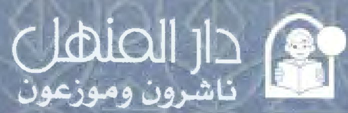
الأستاذ الدكتور أحمد شكري

إشراف

الأستاذ عمر خليل يوسف

المراجعة العلمية

الأستاذ الدكتور عمر سليمان الأشقر



دار المنهل

ناشرون وموزعون

هاتف: 5698308 - فاكس: 5639185 ص.ب 926428 - عمان 11190 الأردن

http:\www.dmanhal.com

الطبعة الأولى

2005

رقم الإجازة : 2172 / 9 / 2005

رقم الإيداع : 2173 / 9 / 2005

التصنيف الدولي : 1-432-08-9957

مؤلّفو السلسلة

- الأستاذ الدكتور فضل عباس
- الدكتور أحمد نوفل
- الدكتور صلاح الخالدي
- الأستاذ الدكتور أحمد شكري
- الدكتور جمال أبو حسّان


بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المحتويات

رَقْمُ الدَّرْسِ	عُنْوانُ الدَّرْسِ	رَقْمُ الصَّفْحَةِ
الدَّرْسُ الأَوَّلُ	سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ	٩
الدَّرْسُ الثَّانِي	سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الثَّانِي	١٣
الدَّرْسُ الثَّالِثُ	سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ	١٧
الدَّرْسُ الرَّابِعُ	سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ	٢١
الدَّرْسُ الخامِسُ	سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الخامِسُ	٢٦
الدَّرْسُ السَّادِسُ	سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ السَّادِسُ	٣٠
الدَّرْسُ السَّابِعُ	سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ السَّابِعُ	٣٤
الدَّرْسُ الثَّامِنُ	سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ	٣٨
الدَّرْسُ التَّاسِعُ	سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ	٤٢
الدَّرْسُ العاشِرُ	سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ العاشِرُ	٤٦
الدَّرْسُ الحادي عَشَرَ	سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ	٥١
الدَّرْسُ الثَّاني عَشَرَ	سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الثَّاني عَشَرَ	٥٥
الدَّرْسُ الثَّالِثَ عَشَرَ	سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ	٥٩
الدَّرْسُ الرَّابِعَ عَشَرَ	سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الرَّابِعَ عَشَرَ	٦٢
الدَّرْسُ الخامِسَ عَشَرَ	سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الخامِسَ عَشَرَ	٦٧
الدَّرْسُ السَّادِسَ عَشَرَ	سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ السَّادِسَ عَشَرَ	٧١
الدَّرْسُ السَّابِعَ عَشَرَ	سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ السَّابِعَ عَشَرَ	٧٥
الدَّرْسُ الثَّامِنَ عَشَرَ	سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الثَّامِنَ عَشَرَ	٧٩
الدَّرْسُ التَّاسِعَ عَشَرَ	سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ التَّاسِعَ عَشَرَ	٨٣
الدَّرْسُ العِشْرونَ	سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ العِشْرونَ	٨٧
الدَّرْسُ الحادي وَالعِشْرونَ	سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الحادي وَالعِشْرونَ	٩١
الدَّرْسُ الثَّانِي وَالعِشْرونَ	سُورَةُ الرَّعْدِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ	٩٥
الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالعِشْرونَ	سُورَةُ الرَّعْدِ ـ القِسْمُ الثَّانِي	١٠٠
الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالعِشْرونَ	سُورَةُ الرَّعْدِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ	١٠٤
الدَّرْسُ الخامِسُ وَالعِشْرونَ	سُورَةُ الرَّعْدِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ	١٠٨

قائمة المحتويات

رَقْمُ الدَّرْسِ	عُنْوانُ الدَّرْسِ	رَقْمُ الصَّفْحَةِ
الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالعِشْرونَ	سُورَةُ الرَّعْدِ ـ القِسْمُ الخامِسُ	١١٢
الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالعِشْرونَ	سُورَةُ الرَّعْدِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ	١١٦
الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالعشْرونَ	سُورَةُ الرَّعْدِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ	١٢٠
الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالعِشْرونَ	سُورَةُ الرَّعْدِ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ	١٢٤
الدَّرْسُ الثَّلاثونَ	سُورَةُ الرَّعْدِ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ	١٢٨
الدَّرْسُ الحادي وَالثَّلاثونَ	سُورَةُ الرَّعْدِ ـ القِسْمُ العاشِرُ	١٣٢
الدَّرْسُ الثَّاني والثَّلاثونَ	سُورَةُ إبْراهيمَ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ	١٣٦
الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالثَّلاثونَ	سُورَةُ إبْراهيمَ ـ القِسْمُ الثَّاني	١٤٠
الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالثَّلاثونَ	سُورَةُ إبْراهيمَ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ	١٤٤
الدَّرْسُ الخامِسُ وَالثَّلاثونَ	سُورَةُ إبْراهيمَ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ	١٤٧
الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالثَّلاثونَ	سُورَةُ إبْراهيمَ ـ القِسْمُ الخامِسُ	١٥٠
الدَّرْسُ السَّابِعُ والثَّلاثونَ	سُورَةُ إبْراهيمَ ـ القِسْمُ السَّادِسُ	١٥٤
الدَّرْسُ الثَّامِنُ والثَّلاثونَ	سُورَةُ إبْراهيمَ ـ القِسْمُ السَّابِعُ	١٥٨
الدَّرْسُ التَّاسِعُ والثَّلاثونَ	سُورَةُ إبْراهيمَ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ	١٦٣
الدَّرْسُ الأَرْبَعونَ	سُورَةُ إبْراهيمَ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ	١٦٧
الدَّرْسُ الحادي وَالأَرْبَعونَ	سُورَةُ إبْراهيمَ ـ القِسْمُ العاشِرُ	١٧٢
الدَّرْسُ الثَّاني وَالأَرْبَعونَ	سُورَةُ إبْراهيمَ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ	١٧٦
الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ	سُورَةُ الحِجْرِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ	١٨٠
الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعونَ	سُورَةُ الحِجْرِ ـ القِسْمُ الثَّاني	١٨٥
الدَّرْسُ الخامِسُ وَالأَرْبَعونَ	سُورَةُ الحِجْرِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ	١٨٩
الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعونَ	سُورَةُ الحِجْرِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ	١٩٤
الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالأَرْبَعونَ	سُورَةُ الحِجْرِ ـ القِسْمُ الخامِسُ	١٩٨
الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالأَرْبَعونَ	سُورَةُ الحِجْرِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ	٢٠٢
الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالأَرْبَعونَ	سُورَةُ الحِجْرِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ	٢٠٧
الدَّرْسُ الخمسونَ	سُورَةُ الحِجْرِ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ	٢١٢
الدَّرْسُ الحادي وَالخَمْسونَ	سُورَةُ الحِجْرِ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ	٢١٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ ، وَالصّلاةُ والسّلامُ على نبيِّنا محمَّدٍ خاتمِ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ ، وعلى آلهِ وصَحْبهِ ومن سارَ على دربهِ إلى يوم الدينِ ، وبعدُ ،

فإنَّ القرآنَ الكريمَ هُوَ كلامُ اللهِ المُعجزُ ، أنزلَهُ على نَبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ ؛ ليُخْرِجَ به الناسَ من الظُّلُماتِ إلى النّورِ ، ويَهدِيَهُم به إلى كلِّ خيرٍ ورشادٍ ، كما قالَ سبحانَهُ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم : ١) ، وقالَ تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة : ١٥-١٦) .

وقد وردَ في عَدَدٍ منَ الأَحاديثِ الحثُّ على تعلُّمِ القرآنِ ومُدَارَسَتِهِ ، ومنْ ذَلكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : خيْرُكُمْ مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ[1] ، وَقولُهُ : « وما اجتمعَ قومٌ في بَيتٍ من بُيوتِ اللهِ يَتْلُونَ كتابَ اللهِ وَيتدارَسُونَهُ بينَهَم إلاَّ نَزلتْ عَلَيْهم السَّكِينَةُ ، وغَشِيَتْهُم الرَّحمةُ ، وحفَّتْهُم الملائكةُ ، وذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[2] .

وقد بَذلَ المُسْلِمُونَ على مرِّ العُصور جُهوداً كثيرة مُتَوالِيَةً في خِدْمة هذا الكِتابِ العزيزِ ، ومِنْ بينِ هذه الجهودِ ما يتعَلّقُ بتبيينِ مَعاني الآياتِ وتَفْسيرِها ، وكان لكلِّ تفسيرٍ مِيزَتُهُ وخَصائِصُهُ .

ومِيزةُ هذا التفسيرِ أنَّه أُعِدَّ لِيكونَ مِنْهاجاً للتَّدْريس في المَدارسِ التي تلتزمُ في مِنْهاجِها تدريسَ الطلبةِ تفسيرَ القرآنِ الكريمِ كاملاً ، والتزمَ مُؤَلِّفُوهُ السَّيْرَ على نَمَطٍ مُتقارَبٍ مُتدرِّجٍ ، وفيما يلي أَهمُّ النِّقاطِ التي تمَّ الالتزامُ بها :

* اختيارُ العبارةِ السَّهْلَةِ الواضِحَةِ بمايتناسبُ مَعَ أَعمارِ الطَّلَبَةِ ومستوياتِهم .
* بَدْءُ كلِّ درسٍ بتبيينِ مَعاني المفرداتِ والتراكيبِ التي يحتاجُ الطلبةُ إلى معرفَتِها .
* التَّعْريفُ بالسُّورَةِ بإيجازٍ قبلَ الشروعِ في تفسيرِها .

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، رقم الحديث (٤٦٣٩) .
(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم الحديث (٤٨٦٧) .

* تفسيرُ الآياتِ بصورةٍ معتدلةٍ وبعبارةٍ قريبةٍ مباشرةٍ .

* الرَّبْطُ بينَ آياتِ الدَّرْسِ السَّابقِ والتَّالي .

* اختيارُ القولِ الرَّاجحِ في معنى الآيةِ ، وعدمُ إشغالِ الطلبةِ بالأقوالِ المتعدِّدةِ أو الضعيفةِ .

* الالتزامُ بمنهَجِ السَّلَفِ في تَفسيرِ آياتِ الصِّفاتِ .

* إغْناءُ كُلِّ درسٍ بعدَدٍ مِنَ الأنشطةِ المناسبةِ ذاتِ الصِّلَةِ بالآياتِ لِحَفْزِ الطالبِ على البحثِ والتفكيرِ وترسيخِ المعلومةِ في ذهنهِ ، ولذا فالمأمولُ من السَّادَةِ المدرسينَ ، ومِنَ الطلبةِ ، الاعتناءُ بهذه الأنشطةِ وعدمُ إهمالِها ، ومُناقشةُ ما يتمُّ التوصُّلُ إليهِ في الفصلِ أَو طابورِ الصباحِ أو تعليقُهُ في مجلَّةِ المدرسةِ .

* إتْباعُ كلِّ دَرْسٍ بعدَدٍ من العِبَرِ والدروسِ المُستنْبَطَةِ من الآياتِ الكريمةِ ، والمأمولُ من المدرِّسِ والطالبِ قراءةُ هذه العِبَرِ والرَّبْطُ بينها وبينَ الآيةِ التي استُنْبِطَتْ منها ، والحرصُ على الإفادةِ منها في تقويمِ السُّلوكِ وتنميةِ التفكيرِ وترسيخِ القِيَمِ الإسلاميةِ التي تضمَّنَتْها .

* خَتْمُ كُلِّ دَرْسٍ بعددٍ من الأسئلةِ المتنوِّعةِ التي تهدِفُ إلى تقويمِ الطالبِ وتبيينِ مقدارِ استيعابِهِ للدَّرسِ وحَفزِهِ على البحثِ عن الإجابةِ لِلأَسئلَةِ في مظانِّها .

* تذييلُ بعضِ الدُّروسِ بفائدةٍ أو رِوَايةٍ أو حادثةٍ أو حديثٍ له صلةٌ بموضوعِ الدَّرْسِ بهدَفِ إمْتاعِ القارىءِ وإفادتِهِ بهذه المَعْلومةِ .

* تخَريجُ الأحاديثِ النَّبَويَّةِ وروايات أَسْبابِ النُّزولِ ، والحرصُ على الاقتصارِ على الصَّحيحِ من رواياتِ الأحاديث .

واللهَ تعالى نَسأَلُ أن يَجْعلَ هذا العملَ خالصاً لِوَجْهِهِ الكريمِ ، وأَنْ يَنْفَعَ به ، وأَنْ يتقَّبلَهُ بقَبُولٍ حَسَنٍ ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

* * *

الدَّرْسُ الأوَّلُ

سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورَةُ يوسُفَ إِحْدى السُّوَرِ المَكِّيةِ الَّتي تَناوَلَتْ قَصصَ الأَنْبياءِ ، وَقَدْ أُفْرِدَتِ السُّورَةُ كُلُّها لِذكْرِ قِصَّةِ يُوسف عَلَيْهِ السَّلامُ وَما لاقاهُ مِنْ أَنْواعِ البَلاءِ والمِحَنِ ، فَصَبَرَ وَتَرَفَّعَ عَنِ المَعاصي ، حتَّى نَجّاه اللهُ تَعالى مِنَ الضِّيقِ ومَكَّنَ لَهُ فِي الأَرْضِ ، وفي هَذهِ القِصَّةِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبيِّ ﷺ ، وَعِبْرَةٌ وَعِظَةٌ لِلْمُؤْمِنينَ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

آلر : تُقْرَأُ : ألف لام را ، وهِيَ جُمْلَةِ الحُروفِ المُقَطَّعَةِ في أوائِلِ بَعْضِ السُّوَرِ لِلدّلالةِ على إعْجازِ القُرْآنِ .

نَقُصُّ عَلَيْكَ : نُبَيِّنُ لَكَ .

رَأَيْتُ : أي في المَنامِ .

يَجْتَبيكَ : يَصْطَفيكَ .

تَأْويلِ الأَحاديثِ : تَعْبيرِ الرُّؤْيا .

التفسير :

﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ ﴾

تَبْدَأُ هذهِ السّورةُ الكريمةُ بالحُروفِ المُقَطَّعَةِ (ألف لام را) ، وَوُجودُ هَذهِ الأَحْرُفِ في أَوائِلِ بَعْضِ السُّوَرِ إنَّما هُوَ لِلتَّنْبيهِ على إعْجازِ القُرْآنِ فَهُوَ مُكَوَّنٌ مِنْ مِثْلِ هَذهِ الحُروفِ ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنَ الخَلْقِ الإِتْيانَ بِمِثْلِه .

﴿تِلْكَ﴾ اسْمُ إشارةٍ إلى الآياتِ ، والمُرادُ بها آياتُ القُرْآنِ الكَريمِ ، ومِنْها آياتُ هذهِ السُّورَةِ ، فَيُخْبِرُ سُبْحانَهُ أنَّ هَذهِ الآياتِ هِيَ آياتُ الكِتابِ الواضِحِ الظّاهِرِ .

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ ﴾

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ أَنَّهُ أَنْزَلَ القُرْآنَ على نَبِيِّه مُحمَّدٍ ﷺ بلُغَةِ العَرَبِ فَهُوَ قُرْآنٌ عَرَبِيٌّ لِكَيْ تَعْقِلوا مَعانِيَهُ وَتفْهَموا أَلْفاظَهُ وتَنْتَفِعوا بِهِدايَتِهِ ، ولِتُدْرِكوا أَنَّهُ كَلامُ اللهِ تعالى وَلَيْسَ مِنْ كَلامِ البَشَرِ .

﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣ ﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ تَعالى عَنْ نَفْسِهِ مُخاطِباً نَبِيَّهُ ﷺ : نَحْنُ نَرْوي لَكَ أَيُّها النَّبِيُّ في هَذهِ السّورَةِ وفي غَيْرِها أَحْسَنَ القَصَصِ وأَصْدَقَهُ وأَنْفَعَهُ ، وَذَلِكَ عَنْ طَريقِ الوَحْيِ وَقَدْ كُنْتَ قَبْلَ إيحائِهِ إِلَيْكَ غَيْرَ عالِمٍ بِهِ .

وإنَّما كانَ قَصَصُ القُرْآنِ أحْسنَ هذه القَصَصِ لاشْتِمالِهِ على أَصْدَقِ الأَخْبارِ وأَبْلَغِ الأَساليبِ وأَجْمَعِها لِلْحِكَمِ والعِبَرِ ، وَمِنْ أَحْسنِ هذهِ القَصَصِ ما قَصَّةُ اللهُ تَعالى في هَذهِ السُّورَةِ ، عَنْ نَبِيِّ اللهِ يُوسفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وذَلِكَ لِكَثْرَةِ ما فيها مِنَ العِبَرِ والعِظاتِ ، ولِتَجاوُزِ يُوسفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ إِخْوَتِهِ وَعَفْوِهِ عَنْهُمْ ، ولِحُسْنِ مآلِ مُعْظَمِ مَنْ ذُكِرَ في القِصَّةِ ، واخْتِتامِها خاتِمَةً طَيِّبَةً باجْتِماعِ الشَّمْلِ والْتِقاءِ الأَحِبَّةِ .

بَعْدَ هذا التَّقْديمِ بَدَأَتِ الآياتُ الكَريمَةُ بِالْحَديثِ عَنْ قِصَّةِ يُوسفَ عَلَيْهِ السلامُ ، قالَ تعالى :

﴿ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤ ﴾ .

أي : اذْكُرْ حينَ قالَ يُوسفُ عَلَيْهِ السَّلامُ لأَبيهِ يَعْقوبَ بنِ إِسْحاقَ بنِ إبراهيمَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، يا أَبي إنِّي رَأَيْتُ في مَنامي الشَّمْسَ والقَمَرَ وأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً مِنْ كَواكِبِ السَّماءِ ساجِدينَ لي .

وأفْرَدَ الشَّمْسَ والقَمَرَ بالذِّكْرِ ولَمْ يَجْعَلْهُما مِنَ الكَواكِبِ رَفْعاً لِشَأْنِهما وتَبْييناً لِمزِيَتِهِما على سائِرِ الكَواكِبِ .

﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ ﴾ .

لَمَّا سَمِعَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ يُوسفَ عَلَيْهِ السَّلامُ رُؤْياهُ ، أَدْرَكَ أنها بُشْرى لِيوسُفَ ، وأنّهُ سيكونُ لَهُ شَأْنٌ عظيمٌ ، وأنَّ أُسْرَتَهُ سَيكونونَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ يُعَظِّمُهُ ، وَلِفَرْطِ حُبِّهِ لَهُ وحِرْصِهِ عَلَيْهِ أَوْصاهُ ألاَّ يُخْبِرَ إِخْوَتَهُ بِرُؤْياهُ حَتَّى لا يَحْتالوا عَلَيْهِ بِمَكيدةٍ ومُؤامَرَةٍ يُحَرِّضُهُمْ عَلَيْها الشَّيْطانُ ، فإنَّ الشَيْطانَ عَدوٌّ بَيِّنُ العَداوَةِ للإنْسانِ حَريصٌ على التَّفْريقِ بَيْنَ النَّاسِ وإشْعالِ نارِ العَداوةِ والفِتْنَةِ والاخْتِلافِ بَيْنَهُمْ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ .

أَكْمَلَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ مُخاطِباً ابْنَهُ قائِلاً : وَكَما أنَّ اللهَ تعالى أراكَ الرُّؤْيا الحَسَنَةَ فإنَّهُ سَيَخْتارُكَ ويَصْطَفيكَ لأُمورٍ عَظيمةٍ في قادِمِ الأَيامِ ، ويَهبُكَ عِلْماً في تَعْبيرِ الرُّؤى بِصِدْقٍ وَصَوابٍ ، ويَجْعَلُكَ مِنْ جُمْلَةِ أَنْبيائِهِ المُخْتارينَ لِتَبْليغِ الدَّعْوَةِ كما اخْتارَ لِهذهِ المُهِمَّةِ مِنْ قَبْلُ أَبَوَيْكَ : إبْراهيمَ وإسْحاقَ عَلَيْهما السَّلامُ ، وهُما جَدّهُ وأبو جَدِّهِ ، فَهُوَ مِنْ سُلالَةِ أَنْبياءَ كِرامٍ ، وَقَدْ وَرَدَ في الحَديثِ قولُه ﷺ : « الكريمُ ابنُ الكَريمِ ابنُ الكريمِ ابنُ الكَريم : يُوسُفُ بنُ يَعْقوبَ بنُ إسْحاقَ بنُ إبْراهيمَ »[1] واللهُ سُبْحانَهُ عَليمٌ بِمَنْ يَصْطَفيهِمْ لِحَمْلِ رِسالَتِهِ وَبِمَنْ هُوَ أَهْلٌ لِنِعْمَتِهِ ، حَكيمٌ في تَدْبيرِهِ لِخَلْقِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ قَصَصُ القُرْآنِ أَحْسَنُ القَصَصِ لِما تَحْويهِ مِنْ عِبَرٍ وَفَوائِدَ .

٢ـ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَراها المُؤْمِنُ أَوْ تُرى لَهُ بُشْرى عاجِلَةٌ .

٣ـ مَشْروعِيَّةُ تَعْبيرِ الرُّؤْيا الصّالِحَةِ ، وأنَّها تَتَحقَّقُ وَلَوْ بَعْدَ سَنَواتٍ طَويلَةٍ .

---

(١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، رقم الحديث ٣١٣٨ .

٤ـ جَوازُ إِخْفاءِ بَعْضِ النِّعمِ خَوْفاً مِنَ الحَسَدِ والكَيْدِ .

٥ـ مَشْروعِيَّةُ التَّحْذيرِ مِمَّنْ يُخْشَى إيذاؤُهُ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسئلة الآتيةِ :

١ـ ما سَبَبُ افْتِتاحِ عَدَدٍ مِنَ السُّوَرِ بالحُروفِ المُقَطَّعةِ ؟

٢ـ لِماذا أَنْزَلَ اللهُ تَعالى القُرْآنَ باللُّغَةِ العَربيَّةِ ؟

٣ـ لماذا كانَ القَصَصُ القُرْآنِيُّ أحْسَنَ القَصَصِ ؟

٤ـ بماذا أَوَّلَ يَعْقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ رُؤْيا ابْنِهِ يُوسفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٥ـ لِماذا طَلَبَ يَعْقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ ابْنِهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ لا يَقُصَّ رُؤْياهُ على إخْوَتِهِ ؟

٦ـ بماذا بَشَّرَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ ابْنَهُ يُوسُفَ ؟



تَعَلَّمْ :

عَنْ أَنَسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : الرُّؤْيا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وأَرْبعينَ جُزْءاً مِنَ النَّبوَّةِ(١) . وَعَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قالَتْ : قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : « لا يَبْقى بَعْدي مِنَ النُّبوَّةِ شيْءٌ إلاّ المُبَشِّراتُ ، قالوا يا رَسولَ اللهِ وَما المُبَشِّراتُ ؟ قالَ : الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَراها الرَّجُلُ أَوْ تَرَى لَهُ(٢) .

* * *

---

(١) رواه البخاري في كتاب التعبير ، رقم الحديث ٦٤٦٨ ، ورواه مسلم في كتاب الرؤيا ، رقم الحديث ٤٢٠١ .

(٢) رواه أحمد في المسند برقم ٢٣٨٢٩ .

الدَّرْسُ الثَّاني

سُورةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الثَّاني

﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

عُصْبَةٌ	: جَماعَةٌ .
اطْرَحوهُ أَرْضاً	: أَلْقوهُ في أَرْضٍ بَعيدةٍ .
يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبيكُمْ	: يُقْبِلُ عَلَيْكُمْ ولا يَلْتَفِتُ إلى غَيْرِكُمْ .
غَيابَتِ الجُبِّ	: ظُلْمَةُ البِئْرِ .
السَّيارةِ	: المُسافِرينَ .
يَرْتَعْ	: يَتَنَعَّمْ بالأَكْلِ والشُّرْبِ الهَنيْءِ .

التفسيرُ :

في هذِهِ الآياتِ الكَريمةِ تَفْصيلُ عَدَدٍ مِنَ أَحْداثِ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، حَيْثُ تآمَرَ إِخْوَتُهُ عَلَيْهِ وَخَطَّطوا لإِبْعادِهِ عَنْ أَبيهِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾

لَقَدْ كانَ فيما حَصَلَ بَيْنَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السلامُ وإِخْوَتِهِ عِبَرٌ وعِظاتٌ عَظيمَةٌ ، لِكُلِّ مَنْ سَأَلَ عَنْ قِصَّتِهِمْ بِقَصْدِ الانْتِفاعِ مِنْها ومَعْرِفَةِ ما فيها مِنْ مَواعِظَ وحِكَمٍ وأَحْكامٍ .

﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾

قالَ إِخْوةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ فيما بَيْنَهُمْ وَهُمْ يَتَشاوَرونَ لِلْخَلاصِ مِنْهُ : إِنَّ أَبانا يُحِبُّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وأَخاهُ بِنْيامينَ أَكْثَرَ مِنَّا مَعَ أَنَّنا جَماعَةٌ مِنَ الرِّجالِ الأَقْوِياءِ ، وَعِنْدَنا قُدْرَةٌ على خِدْمَتِهِ ومَنْفَعَتِهِ أَكْثَرَ مِنْهُما ، إِنَّ هذا خَطأٌ ظاهِرٌ مِنْ أَبينا ، إِذْ فَضَّلَ ابْنَيْهِ يُوسفَ عَلَيْهِ السلامُ وأَخاهُ عَلَيْنا .

وكانَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ وأخوهُ بنيامينُ أخوينِ مِنْ أُمٍّ ، وكانَ البَقِيَّةُ إِخْوَةً لَهُما مِنْ أُمٍّ أُخْرَى ، ولَمْ يَذْكُرِ الإِخْوَةُ اسْمَ أخي يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، لِلإِشْعارِ بأَنَّ مَحَبَّةَ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَهُ إِنَّما هِيَ لأَنَّهُ شَقيقُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، أي أَخوهُ مِنْ أُمِّهِ وأَبيهِ ، ولِذا كان حَسَدُهُمْ لِيوسُفَ أَشَدَّ ، وكانَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ يُفَضِّلُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ على سائِرِ إِخْوَتِهِ لِما يَراهُ فيهِ مِنَ الخِصالِ الحَميدةِ . ولمَّا قصَّ يُوسفَ عَلَيْهِ رُؤْياهُ ازْدادتْ مَحبَّتُهُ لَهُ .

ومَيْلُ قَلْبِ الأبِ لأَحَدِ أَوْلادِهِ أَمْرٌ لا يَمْلِكُ الرَّجُلُ السَّيْطَرَةَ عَلَيْهِ ، وهُوَ لَيْسَ مِمَّا يُؤاخَذُ علَيْهِ ، إِذا عَدَلَ بَيْنَ أَبْنائِهِ بالسَّوِيَّةِ في الأُمورِ المادِيَّةِ .

﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾

اقْتَرَحَ بَعْضُهُم قَتْلَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَوْ إِلقاءَهُ في أَرْضٍ بَعيدةٍ مَجْهولَةٍ لا يَسْتَطيعُ العَوْدَةَ مِنْها ، لِتَخْلَصَ لَهُم مَحبَّةُ أَبيهِمْ دُونَ أَنْ يَلْتَفِتَ لِغَيْرِهِمْ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَتوبوا إلى اللهِ مِمَّا فَعَلوا بِأَخيهِمْ ، وَيُصْبِحوا صالِحينَ حيثُ لم يَبْقَ ما يَحْمِلُهُم على الذَّنْبِ والإِثْمِ .

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

قالَ أَحَدُ إِخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ناصِحاً لَهُم : لا تَقْتُلُوا أَخانا فإِنَّ القَتْلَ جَريمةٌ عَظيمَةٌ ، بَلْ أَلْقوهُ في بِئْرٍ مُظْلِمَةٍ تَقَعُ بِجوارِ طَريقِ المُسافِرينَ ، لِيَنْتَشِلَهُ بَعْضُهُمْ وَيَذْهَبَ بِهِ إلى ناحِيَةٍ بَعيدةٍ فَتَسْتَريحونَ مِنْهُ ، إِنْ كُنْتُمْ مُصِرِّينَ على إِبعادِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ أَبيكُمْ ، وكانَ هذا الرَّأْيُ مَقْبولاً عِنْدَهُمْ فاتَّفَقوا عَلَيْهِ ، وبَدؤوا يَحتالونَ على أَبيهِمْ لإِخْراجِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَهُمْ لِتَنْفِيذِ مُؤامَراتِهِم .

﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾

قالَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَليْهِ السَّلامُ لأَبيهِمْ مُحاولينَ إقْناعَهُ باصْطِحاب يُوسُفَ عَليْهِ السَّلامُ مَعَهُمْ لِلْخُروجِ إلى المَراعي : (يا أبانا) بَدؤوا بالنِّداءِ لاسْتِمالَةِ قَلْبِه وتَحْريكِ عاطِفَتِهِ نَحْوَهُم ، لِماذا لا تَأْتَمِنُنا على أخينا يُوسُفَ عَليْهِ السَّلامُ وتَخافُ مِنّا عَلَيْهِ وَنَحْنُ إخْوَتُهُ نُحِبُّ الخَيْرَ لَهُ ونُعامِلُهُ بِغايَةِ الشَّفَقَةِ والوُدِّ ، ويَظْهَرُ أَنَّ إخْوَةَ يُوسُفَ عَليْهِ السَّلامُ كانوا يُحاوِلون قَبْلَ ذَلِكَ اصْطِحابَهُ مَعَهُمْ ، وكانَ يَعقوبُ عَليْهِ السَّلامُ يَرْفُضُ ذَلِكَ ، وَلِذا اجْتَهَدوا في مُحاوَلَةِ إقْناعِهِ بالمُوافَقَةِ على طَلَبِهِمْ .

﴿ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

أَرْسِلْهُ مَعَنا غَداً إلى المَراعي لِيَتَمَتَّعَ بالأَكْلِ الطَّيِّبِ ويَلْعَبَ مَعَنا ، وإِنَّا لَحَريصونَ على المُحافَظَةِ عَلَيْهِ وَدَفْعِ الأَذى عَنْهُ .

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

قالَ يَعْقوبُ عَليْهِ السَّلامُ لأَبْنائِهِ رَدّاً على إلْحاحِهِمْ في طَلَبِهِمْ ذَهابَ يُوسُفَ عَليْهِ السَّلامُ مَعَهُمْ ، إنَّني لأَشْعُرُ بالحُزْنِ إذا ذَهَبْتُم بِهِ بَعيداً عَنّي ، وأَخْشى إذا أَخَذْتُموهُ مَعَكُمْ أَنْ يأْكُلَهُ الذِّئْبُ وأَنْتُمْ مُنْشَغِلونَ عَنْهُ بِشُؤونِ أَنْفُسِكُمْ وبالرَّعْيِ واللَّعِبِ .

﴿ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

قالَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَليْهِ السَّلامُ لأَبيهِمْ واللهِ لَئِنْ أَكَلَ الذِّئْبُ يُوسُفَ عَليْهِ السَّلامُ وَهُوَ مَعَنا ونَحْنُ جَماعَةٌ قَوِيَّةٌ إنَّا إذاً في هذِهِ الحالَةِ لَخاسِرونَ خَسارَةً عَظيمَةً تُذْهِبُ هَيْبَتَنا وَسُمْعَتَنا بَيْنَ قَوْمِنا .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ وُقوعُ العَداءِ بَيْنَ أَبْناءِ الضَّرائِرِ قَديمٌ .

٢ـ كان إسْرائيلُ (يَعْقوبُ) عَليْهِ السَّلامُ وبنوهُ يَعْمَلونَ بالرَّعْيِ والصَّيْدِ .

٣ـ إظْهارُ تَفْضيلِ أَحَدِ الأَبْناءِ يُؤَدي إلى العَداوةِ بَيْنَهُمْ .

٤ـ الحَسَدُ سَبَبٌ لِلْكَثيرِ مِنَ المَشاكِلِ بَيْنَ النّاسِ .

٥ـ لُجوءُ الإنْسانِ إلى الحيلةِ لِتَنْفيذِ قَصْدِهِ وهَدَفِهِ ، مَشْروعٌ إنْ كانَ القَصْدُ نَبيلاً ، ومَذْمومٌ إنْ كانَ القَصْدُ سَيِّئاً وخَبيثاً .

٦ـ تَعدُّدُ الزَّوجاتِ كانَ مَوْجوداً في الشَّرائعِ السَّابِقَةِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ على ماذا تآمَرَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَليْهِ السَّلامُ فيما بَيْنَهُم ؟

٢ـ لماذا كانَ يَعْقوبُ عَليهِ السَّلامُ يُفَضِّلُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ على سائِرِ أبْنائِهِ ؟

٣ـ لِماذا أَرادَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إبْعادَهُ عَنْ أبيهِمْ ؟

٤ـ ماذا قالَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لأَبيهِمْ وَهُمْ يَطْلُبونَ مِنْهُ المُوافَقَةَ على خُروجِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَهُم ؟

٥ـ بماذا رَدَّ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ على تَخوُّفِ أَبيهِمْ عَلَيْهِ الذِّئْبَ ؟

٦ـ ما مَعْنى كُلٍّ ممّا يلي :

أـ آياتٌ لِلسَّائِلينَ .

ب ـ ونَحْنُ عُصْبَةٌ .

ج ـ اطْرَحوهُ أَرْضاً .

د ـ غَيابَتِ الجُبِّ .

هـ ـ يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ .



- اكتُبْ في دَفْتَرِكَ خُطورَةَ إقْدامِ المُسْلِمِ على المَعْصِيَةِ بِنِيَّةِ أَنَّه سَيَتوبُ مِنْها .

❋ ❋ ❋

الدَّرْسُ الثَّالِثُ

سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وأجْمَعوا : عَزَموا وَصَمَّموا .

غَيابَةِ الجُبِّ : ظُلْمَةُ البِئْرِ .

وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ : أَعْلَمْناهُ بِطَريقٍ خَفِيٍّ .

عِشاءً : أولَ اللّيلِ .

نَسْتَبِقْ : نَتَسابَقُ .

بِمُؤْمِنٍ لَنا : بِمُصَدِّقٍ لَنا .

سَوَّلَتْ : زَيَّنَتْ وَحَسَّنَتْ .

وارِدَهُمْ : مَنْ يَسْبِقُهُمْ لِيَسْتَقِيَ لَهُمُ الماءَ مِنَ البِئْرِ .

فَأَدْلَى دَلْوَهُ : أَرْسَلَها في البِئْرِ لِيَمْلأَها .

أَسَرّوهُ : أَخْفَوْهُ بَيْنَ البَضائِعِ .

شَرَوْهُ : باعوهُ .

بِثَمَنٍ بَخْسٍ : بِثَمَنٍ ناقِصٍ قَليلٍ .



التفسيرُ :

بَعْدَ أنْ وافقَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ على خُروجِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَ إِخْوَتِهِ ، انْطَلَقوا بِهِ وَهُمْ عازمونَ على تَنْفيذِ مُؤامَرَتِهِمْ ، وبَيَّنَ اللهُ تَعالى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

فَلَمَّا أَخَذَ الإِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَهُمْ وَمَضَوْا بِهِ بَعيداً وهُمْ عازمونَ على تَنْفيذِ ما اتَّفَقوا عَلَيْهِ ، أَلْقَوْهُ في البِئْرِ بَعدَ أَنْ نَزَعوا عَنْهُ قَميصَهُ ، وفي هذهِ اللحظاتِ المُفْزِعَةِ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَوْحى اللهُ تَعالى إِلَيْهِ : إِنَّكَ سَتُخْبِرُ إِخْوَتَكَ بما فَعلوهُ بِكَ في الوَقْتِ الَّذي يَشاؤُهُ اللهُ ، وهُمْ لا يَعْلمونَ أَنَّكَ يُوسُفُ حينَ تُخْبِرُهُمْ بِمُؤامَرَتِهِمْ ، لاعْتِقادِهِمْ أَنّكَ قَدْ هَلَكْتَ ، وفي هذا الوَحْيِ تَطْمينٌ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وتَبْشيرٌ لَهُ بالنَّجاةِ مِمَّا هُوَ فيهِ .

﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

رَجَعَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى أَبيهِمْ بَعْدَ أَنْ حَلَّ الظلامُ يتظاهَرونَ بالبُكاءِ والحُزْنِ على أخيهِمْ ، واختاروا الرَّجوعَ في اللَّيْلِ لِئَلا يَظْهَرَ كَذِبُهُمْ ، وَلَوْ جاءوا في النَّهارِ لَظَهَرَ التَّكَلُّفُ والاصْطِناعُ على وُجوهِهِمْ .

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

قالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لأَبيهِمْ : يا أَبانا إِنَّا ذَهَبْنا نَتَسابَقُ في العَدْوِ أَوْ في رَمْيِ السِّهامِ ، وَتَرَكْنا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عِنْدَ حَوائِجِنا الَّتي أَخَذْناها مَعَنا لِيَحْرُسَها ويَحْفَظَها لَنا ، فَهَجَمَ عَلَيْهِ الذِّئْبُ فَقَتَلَهُ وأَكَلَهُ وَلَمْ يُبْقِ مِنْهُ شيئاً ، وما أنْتَ بِمُصَدِّقٍ لَنا فيما أَخْبَرْناكَ بِهِ مِنْ أَنَّ الذِّئْبَ أَكَلَ أَخانا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ حَتَّى وَلَوْ كُنَّا صادِقينَ في ذَلِكَ ، لِسوءِ ظَنِّكَ بِنا وَشِدَّةِ حُبِّكَ لَهُ .

بَلْ أضافوا أَمْراً آخَرَ :

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

لَقَدْ أَحْضَروا قَميصَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَقَدْ لَطَّخوهُ بِدَمٍ كاذِبٍ ؛ أي لَيْسَ دَمَ يُوسُفَ ، لِيوهِموا

أباهُمْ أَنَّ هذا هُوَ دَمُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَوَصْفُ الدَّمِ بأَنَّهُ كَذِبٌ أي بالمَصْدَرِ لِلْمُبالَغَةِ : كأَنَّهُ نَفْسُ الكَذِبِ ، إلاَّ أنَّ هذهِ الحِيلَةَ لَمْ تَنْطَلِ على يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَلَقَدْ أدْرَكَ مِنْ قَسَماتِ وُجوهِهِمْ ، وَعَدمِ تَمَزُّقِ القَميصِ ، وَمِنْ شُعورِهِ الدَّاخِليِّ أَنَّهُمْ كاذِبونَ وأَنَّهُمْ قَدْ دَبَّروا مَكيدَةً لأَخيهِمْ ، فَقالَ لَهُم : لَيْسَ الأَمْرُ كَما زَعَمْتُم مِنْ أَنَّ الذِّئْبَ أَكَلَ يُوسُفَ ، وإنَّما زَيَّنَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمُ التَّخَلُّصَ مِنْ أَخيكُمْ وإبْعادَهُ عنِّي ، وسَأَصْبِرُ على ذَلِكَ صَبْراً لا أَشْكو فيهِ الأَمْرَ إلاَّ للهِ ، ولا أَرْجُوا الفَرَجَ إلاَّ مِنْهُ سُبْحانَهُ ، وَهُوَ وَحْدَهُ المُسْتَعانُ بِهِ لإِظْهارِ حَقيقَةِ ما تَزْعُمونَ .

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

انْتَقَلتِ الآياتُ لِتُبَيِّنَ ما حَصَلَ مَعَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ أَنْ أَلْقاهُ إِخْوَتُهُ في البِئْرِ ، فَقَدْ مَرَّتْ بِجوارِ البِئْرِ قافِلَةٌ مِنَ المُسافِرينَ ، فَأَرْسَلوا مَنْ يَبْحَثُ لَهُمْ عَنِ الماءِ ، فَوَجَدَ البِئْرَ ، فَأَرْسَلَ دَلْوَهُ فيهِ فَتَعلَّقَ بِهِ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَظَنَّ الوارِدُ أَنَّ الدَّلْوَ امْتَلأَتْ ماءً فَأَخْرَجَها ، فَلَمَّا رَأى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَرِحَ بِهِ وَسُرَّ سُروراً عَظيماً ، وأَخْفاهُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ في بِضاعَتِهِمْ حتَّى لا يَدَّعيهِ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ ، ولا يَطْلُبُهُ أَحَدٌ مِنَ السُّكَّانِ المُجاوِرينَ لِلْجُبِّ ، وحَمَلوهُ مَعَهُمْ إلى مِصْرَ لِيَبيعوهُ كَما يَبيعونَ أَيَّ بِضاعَةٍ ، واللهُ أَعْلَمُ بما يَعْمَلونَ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ يَعْلَمُ ما فَعَلَهُ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، ويَعْلَمُ ما فَعَلَتْهُ السَّيَّارَةُ .

وفي قَوْلِهِ تَعالى : ﴿يا بُشْرَى﴾ ، دِلالَةٌ على عَظيمِ سُرورِ الوارِدِ حِينَ رَأى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَنادَى على البِشارَةِ كَأَنَّها شَخْصٌ عاقِلٌ يَسْتَحِقُّ النِّداءَ ، فَقَدْ حانَ وَقْتُ إِقْبالِ البُشْرَى لِما حَصَلَ .

﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

باعَ المُسافِرونَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِثَمَنٍ قَليلٍ تافِهٍ ، لا يَتَجاوَزُ دَراهِمَ مَعْدُودَةً ، وفي وَصْفِ الدَّراهِمِ بأَنَّها (مَعْدودةٌ) ما يُشيرُ إلى قِلَّتِها ، وكانوا غَيْرَ راغِبينَ في بَقاءِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَهُم ، بَلْ سارَعوا إلى التَّخَلُّصِ مِنْه وَلَوْ بِثَمنٍ قَليلٍ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ مَنْ يُطالِبُهُمْ بِهِ ، فَباعُوهُ عِنْدَ أَوَّلِ فُرْصَةٍ أُتيحَتْ لَهُمْ ، وكانَ ذَلِكَ في مِصْرَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ قَدْ يَكونُ وَحْيُ اللهِ لِيوسُفَ رُؤْيا مَنامِيةً ، لأنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامَ كانَ صَبِيّاً آنذاكَ .

٢ـ إذا جاءَكَ الخَصْمُ يَبْكي فلا تُصَدِّقْهُ حَتَّى يُقَدِّمَ دَليلَ صِدْقِهِ ، فَقَدْ جاءَ إخْوَةُ يوسُفَ أباهُمْ عِشاءً يبْكونَ .

٣ـ رِعايَةُ اللهِ تَعالى لِعَبْدِهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؛ إذ بَشَّرَهُ وَهُوَ في الشِّدَّةِ والضِّيقِ بالفَرَجِ والنَّجاةِ .

٤ـ الاسْتِدلالُ على الأَمْرِ بالأَماراتِ والعَلاماتِ ، فَمِمَّا اسْتَدَلَّ بِهِ يَعقوبُ على كَذِبِ أَبْنائِهِ أَنَّ قَميصَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ كانَ سَليماً غَيْرَ مُمَزَّقٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لماذا تعمَّدَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ الرُّجوعَ عِشاءً ؟

٢ـ بِماذا حاولَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ تَغْطِيَةَ جَريمَتِهِمْ ؟

٣ـ ما الَّذي دعا يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِعَدَمِ تَصْديقِ أَبْنائِهِ في دَعوى أَكْلِ الذِّئْبِ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٤ـ ما الَّذي حَصَلَ مَعَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ أَنْ تَرَكَهُ إخْوَتُهُ في البِئْرِ ؟

٥ـ لِماذا باعَ السَّيَّارَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السلامُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ؟

نَشاطٌ :

ـ لَخِّصْ في دَفْتَرِكَ بِلُغَةٍ سَليمةٍ أَحْداثَ المَشْهَدِ الأَوَّلِ مِنْ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السلامُ مِنَ الرُّؤْيا حَتَّى بَيْعِهِ في مِصْرَ .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعُ

سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **أَكْرِمِي مَثْواهُ** : أَحْسني الاعْتِناءَ بِهِ .
- **مَكَّنَّا لِيوسُفَ** : جَعَلْنا لَهُ مَكانةً وَمَنْزِلَةً .
- **غالِبٌ على أَمْرِهِ** : قادِرٌ على ما يَشاءُ .
- **بَلَغَ أَشُدَّهُ** : مُنْتَهى قُوَّتِهِ وَشِدَّتِهِ .
- **حُكْماً** : حِكْمَةً .
- **راوَدَتْهُ** : طَلَبَتْ مِنْهُ مُواقَعَتَها .
- **هَيْتَ لَكْ** : أَقْبِلْ .
- **مَعاذَ اللهِ** : أَسْتَجيرُ باللهِ ، وأَلْجَأُ إِلَيْهِ .
- **هَمَّتْ بِهِ** : عَزَمَتْ على تَمْكينِهِ مِنْ نَفْسِها لِيُواقِعَها .

لَوْلا	حَرفُ امْتِناعٍ لِوُجودٍ ، يُفيدُ أَنَّ الهَمَّ لَمْ يَقَعْ مِنْ طَرَفِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِرُؤْيَتِهِ بُرْهانَ ربِّهِ .
بُرْهانَ رَبِّهِ	أَمْرٌ عَظيمٌ أَراهُ اللهُ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لا نَعْلَمُ ما هُوَ .
المُخْلَصينَ	الَّذينَ اخْتارَهُمُ اللهُ ، وأَخْلَصَهُمْ لَهُ .

التفسيرُ :

تُبَيِّنُ هذهِ الآياتُ الكَريمةُ أَنَّ المُقامَ اسْتَقَرَّ بيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ في مِصْرَ ، وفي بَيْتِ عَزيزِ مِصْرَ وَهُوَ أَحَدُ وزراءِ الدَّوْلَةِ ، وما تَعَرَّضَ لَهُ مِنْ فِتَنٍ ومِحَنٍ قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

لَقَدْ باعَ المُسافِرونَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، واشْتَراهُ مِنْهُم رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، هُوَ العزيزُ ؛ أيْ وَزيرُ المَلِكِ ، وَلَقَدْ أَوْصى امْرَأَتَهُ أَنْ تُحْسِنَ إلى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وأَنْ تَعْتَنِيَ بهِ وتُكْرِمَهُ غايةَ الإكْرامِ ، وقالَ لَها : لَعلَّنا نَنْتَفِعُ مِنْهُ في قَضاءِ مَصالِحِنا أَوْ نَتَّخِذَهُ لَنا وَلَداً ، وإنَّما قالَ ذَلِكَ لِما رَآهُ في يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ مَظاهِرِ النَجابَةِ والرُّشْدِ ، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ فَرَغِبَ في تَبَنِّي يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

وهُنا يُخْبِرُ سُبحانَهُ أَنَّه كما أَنْقَذَ يُوسُفَ مِنْ مُؤامَرَةِ إِخْوَتِهِ وَمِنَ الجُبِّ ، جَعَلَ لَهُ مَكانَةً عَظيمةً في أَرْضِ مِصْرَ ، حيثُ أَدَّى إِكْرامُ العزيزِ لَهُ إلى اشْتِهارِهِ كَما أَدَّى حُسْنُ خُلُقِهِ ونُبْلُ صِفاتِهِ إلى تَوْثيقِ مَكانَتِهِ ، زِدْ على ذَلِكَ ما عَلَّمَهُ اللهُ تعالى مِنْ تَعْبيرِ الرُّؤْيا ، وإذا أَرادَ اللهُ تَعالى شَيئاً غَلَبَ مُرادُهُ ، وحَصَلَ أَمْرُهُ لا يَمْنَعُه مانِعٌ ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمونَ ذَلِكَ ، ولَوْ عَلِموا لَتَوكَّلوا على اللهِ حَقَّ التَوكُّلِ واسْتَجابوا لأَمْرِهِ ولَمْ يَعْصوهُ وَلَمْ يَخْرُجوا عَنْ طاعَتِهِ .

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

ومِنْ مَظاهِرِ إِنْعامِ اللهِ تَعالى على يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّه حينَ بَلَغَ مُنْتَهى شِدَّتِهِ وقُوَّتِهِ ، بِكَمالِ عَقْلِهِ واسْتِواءِ جِسْمِهِ آتاهُ اللهُ تعالى الحِكْمَةَ والنُبوَّةَ والفِقْهَ في الدِّينِ والفَهْمَ السَّليمَ لِتَفْسيرِ الأَحْلامِ ، والإِدْراكَ الواسِعَ لأُمورِ الدِّينِ والدُّنْيا ، ومِثْلُ هذا الجزاءِ الحَسَنِ والعطاءِ الكريمِ ، يَجْزي اللهُ بهِ الَّذينَ يَتحلَّوْنَ بِصِفَةِ الإِحْسانِ فَمَنْ أَحْسَنَ في قَوْلِهِ وفِعْلِهِ أَحْسَنَ اللهُ تعالى إليهِ .

﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

في هَذِهِ الآيَةِ الكريمةِ إخْبارٌ عمَّا فَعَلَتْهُ امْرَأةُ العَزيزِ ، فَقَدْ كانتْ تَرى رَجاحَةَ عَقْلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وفَضْلَهُ وحِكْمَتَهُ ، وعَظيمَ جَمالِهِ ، وحُسْنَ مَظْهَرِهِ ، فَطلَبَتْ مِنْهُ في رِفْقٍ وَلينٍ ومُخادَعَةٍ أَنْ يُخالِطَها مُخالَطَةَ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ ، بَعْدَ أَنِ احْتاطَتْ لإنْجاحِ مُرادِها بإحْكامِ إغْلاقِ الأبْوابِ ، كما يُفيدُهُ التَّشديدُ في (غَلَّقَتْ) وصَرَّحَتْ بمُرادِها مِنْهُ بقُولِها : (هَيْتَ لَكَ) أيْ ها أنا ذا مُهَيَّأَةٌ لَكَ فَأَسْرِعْ في الإقْبالِ عَلَيَّ ، وهذا التَّصرُّفُ مِنَ امْرَأةِ العَزيزِ خُروجٌ عَنِ المَأْلوفِ مِنْ تَصرُّفاتِ النِّساءِ ، ودَليلٌ على عَظيمِ تَعلُّقِها بِهِ ورَغْبَتِها فيه وحُبِّها لَهُ .

وفي تَعْبيرِ الآيَةِ عَنْها بأنَّها (الَّتي هُو في بَيْتِها) مِنْ دُونِ ذِكْرِ اسْمِها سِتْرٌ لَها وابْتِعادٌ عَنِ التَّشْهيرِ بِها ، ولَقَدْ ظَنَّتْ أنَّه ما دامَ في بَيْتِها فَسوفَ يُسارِعُ لِتَلْبِيَةِ رَغْبَتِها لَكنَّهُ سارعَ عَلَيْهِ السلامُ دونَ تَرَدُّدٍ ولا تَلَعْثُمٍ ، كما يُشيرُ إلى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالى : (قالَ مَعاذَ اللهِ) إلى اسْتِنْكارِ ما طَلَبَتْهُ مِنْهُ ، واللُّجوءِ إلى اللهِ تَعالى والاعْتِصامِ بِهِ أَنْ يُبْعِدَهُ عَمَّا تَدْعوهُ إلَيْهِ ، وُمرادُهُ بِقَوْلِهِ (إنَّهُ رَبِّي) أيْ صاحِبُ المَنْزِلِ الّذي أَنْزَلَهُ في دارِهِ وأحْسَنَ إليهِ فلا يَجوزُ لَهُ خِيانَتُهُ في أَهْلِهِ .

﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

الهَمُّ : المقارَبَةُ مِنَ الفِعْلِ دونَ الدُّخولِ فيهِ ، ولَقَدْ هَمَّتِ امْرَأةُ العَزيزِ بيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ تُريدُ الفاحِشَةَ والزِّنى ، أمَّا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَلَمْ يَهِمَّ بها بسوءٍ لأنَّهُ رَأى بُرْهانَ ربِّهِ ولا نَدْري ماهيَّةَ البُرْهانِ الَّذي رَآهُ ، ولكنَّهُ شاهَدَ أمْراً أراهُ اللهُ إيَّاهُ فَعَصَمَهُ بِهِ مِنَ الفاحِشَةِ ، وكانَ هذا التَّثْبيتُ مِنَ اللهِ تَعالى لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِيَعْصِمَهُ مِنَ الوُقوعِ في السُّوءِ والمَكْروهِ ، وإنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ عِبادِ اللهِ الَّذينَ أخْلَصَهُمْ سُبْحانَهُ لِطاعَتِهِ وَعَصَمَهُمْ مِنْ عِصْيانِهِ ، وَفي هذا البَيانِ الإلهيِّ نَفْيُ حُصولِ الهَمِّ مِنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السلام ، فَقَدِ امْتَنَع الهَمُّ لِوُجودِ البُرْهانِ ، واللهُ تعالى أعْلَمُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ ـ يُيَسِّرُ اللهُ تَعالى لِلصَّالحينَ مِنْ عِبادِهِ أُمورَهُمْ ، وَيُسَخِّرُ لِتَحْقيقِ ذَلِكَ مَنْ يَشاءُ مِنْ خَلقِهِ .

٢ ـ يَجْزي اللهُ تَعالى على الإحْسانِ إحْساناً أعْظَمَ وأَفْضَلَ .

٣ ـ شِدَّةُ التَّعَلُّقِ بالشَّيْءِ يُخرِجُ المرءَ عَنْ طَوْرِهِ ، ويَجْعَلُهُ يَتَصرَّفُ تَصرُّفاً مُنْدَفِعاً مُتهوِّراً لا تُحْمَدُ عُقْباهُ .

٤ـ تَذَكُّرُ نِعَمِ اللهِ تَعالى عَلى المَرءِ يُبْعِدُهُ عَنِ الوُقوعِ في المَعْصِيَةِ .

٥ـ الاعْتِصامُ باللهِ تعالى واللُّجوءُ إليهِ في الكُروبِ والمَواقِفِ العَصيبَةِ يُنْجي المُسْلِمَ مِنْ كُلِّ مَكْروهٍ .

٦ـ خُطورةُ الاخْتِلاطِ وأَنَّهُ يُؤَدِّي إلى عَواقِبَ وَخيمَةٍ وَهُوَ مَرْتَعٌ خِصْبٌ لِحبائِلِ الشَّيْطانِ وكَيْدِ النِّساءِ .

٧ـ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ قُدْوَةٌ لِلشَّبابِ المُؤْمِنِ في التَّرَفُّعِ عَنِ الفاحِشَةِ .

٨ـ خيانَةُ الرَّجُلِ في أَهْلِهِ صِفَةٌ ذَميمَةٌ لا يُقْدِمُ عَلَيْها إلاَّ الجاهِلونَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لماذا طَلَبَ عَزيزُ مِصْرَ مِنَ امْرَأَتِهِ إكْرامَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٢ـ وَرَدَ في الآياتِ الكَريمَةِ عَدَدٌ مِنَ النِّعَمِ الَّتي أنْعَمَ اللهُ تَعالى بِها على يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ . اذْكُرْ هذهِ النِّعَمَ .

٣ـ ما السَّبَبُ الَّذي دَعا امْرَأَةَ العَزيزِ إلى طَلَبِ الفاحِشَةِ مِنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٤ـ ما الأُمورُ الَّتي فَعَلَتْها امْرَأَةُ العَزيزِ تَمْهيداً لِفِعْلِ الفاحِشَةِ مَعَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٥ـ بماذا رَدَّ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ على طَلَبِ امْرَأَةِ العَزيزِ ؟

٦ـ بَيِّنْ معنى ما يلي :

أـ ولِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْويلِ الأحاديثِ .

ب ـ آتَيْناهُ حُكْماً وعِلْماً .

ج ـ وهَمَّ بِها لَوْلا أنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ .

د ـ إنَّهُ مِنْ عِبادِنا المُخْلَصينَ .



١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَ بِدايَةِ حَياةِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ ويُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ في بُيوتِ أَهْلِ الحُكْمِ في مِصْرَ .

٢ـ تَتَبَّعِ الأَقْوالَ الَّتي وَرَدَتْ في بَعْضِ كُتُبِ التَّفْسِيرِ عَنْ مَعنى هَمِّ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بامْرأَةِ العَزيزِ ، وَعَنْ بُرْهانِ رَبِّه ، وَفَنِّدْ هَذِهِ الأَقْوالَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الخامِسُ

سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الخامِسُ

وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

واسْتَبَقا البابَ	: تَسابقا لِلْوُصولِ إلى البابِ .
قَدَّتْ قَميصَهُ	: شَقَّتْهُ .
أَلْفيا	: وَجَدا .
سَيِّدَها	: زَوْجَها .
مِنْ دُبُرٍ	: مِنْ خَلْفٍ .
مِنْ قُبُلٍ	: مِنْ أَمام .
كَيْدَكُنَّ	: مَكْرَكُنَّ وخِداعَكُنَّ .

التَفسيرُ :

في آياتِ هَذا الدَّرْسِ تَتِمَّةُ الحَديثِ عَمَّا حَصَلَ مَعَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ أَنْ راوَدَتْهُ امْرَأَةُ العَزيزِ عَنْ نَفْسِهِ ، وثُبوتُ بَراءَتِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ مِمَّا رَمَتْهُ بِهِ مِنَ اتِّهامٍ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنِ امْتَنَعَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِمَّا طَلَبَتْهُ مِنْهُ امْرَأَةُ العَزيزِ وَتَذكَّرَ فَضْلَ اللهِ تعالى عَلَيْهِ ، اتَّجه نَحْوَ الباب مُسْرِعاً يُريدُ الخُروجَ والابْتِعادَ عَنْ هذا المَكانِ الَّذي تُريدُ امْرَأَةُ العَزيزِ مِنْهُ فِعْلَ الفاحِشَةِ فِيهِ ، وأَسْرَعَتْ هِيَ خَلْفَهُ تُريدُ مَنْعَهُ مِنَ الخُروجِ وحَمْلَهُ على الاسْتِجابَةِ لِطَلَبِها ، وشَقَّتْ قَميصَهُ مِنَ الخَلْفِ وهِيَ تُحاوِلُ جَذْبَهُ وإِيقافَهُ ، وحينَ وَصَلا إلى الباب وفَتَحَهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَجَدا زَوْجَها عِنْدَ الباب ، فبادرَتِ المَرْأَةُ عِنْدَما فُوجِئَتْ بِزَوْجِها إلى اتِّهامِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَقَلْبِ الحَقيقةِ وطَلَبَتْ مِنْ زَوْجِها أَنْ يُعاقِبَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ الَّذي أَرادَ السُّوءَ بِأَهْلِهِ وَعِرْضِهِ ، بالسِّجْنِ أَوِ العَذابِ الأَليمِ . أَرادَتْ بِهذا أَنْ تُبْعِدَ التُّهْمَةَ عَنْ نَفْسِها ، وأَنَّ تُبَيِّنَ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ قُدْرَتَها على سِجْنِهِ أَوْ تَعْذيبِهِ لَعَلَّهُ يَسْتَجيبُ لِرَغْبَتِها مُضْطَرّاً بَعْدَ أَنْ رَفَضَ الاسْتِجابَةَ لَها مُخْتاراً .

وفي الآيةِ الكَريمةِ إِفْرادُ لَفْظِ (البابِ) بَعْدَ جَمْعِهِ في قوله (وَغلَّقَتِ الأبوابَ) لأنَّ المُحْتاطَ يُغْلِقُ جَميعَ الأَبْوابِ ، والهارِبُ يَلْجَأُ إلى بابٍ واحِدٍ ، وَقيلَ المُرادُ بالبابِ هُنا : البابُ الخارجيُّ ، وفي الآيَةِ الكَريمَةِ التعبيرُ عَنِ الزَّوْجِ بالسَّيِّدِ إشارةً إلى قَوامَةِ الزَّوْجِ على المَرْأةِ ، وأُضيفَ اللَّفْظُ إِليْها (سَيِّدَها) دُونَ إضافَتِهِ إلى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَوْ إِلَيْهِما مَعاً تَكْريماً لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، ورَفْعاً لِشَأْنِهِ وتَبْييناً لِحُرِّيَتِهِ الكامِلَةِ وأَنَّهُ لَيْسَ عَبْداً مَمْلوكاً يُباعُ ويُشْتَرى .

وعَبَّرَتِ امْرَأَةُ العَزيزِ عَنْ نَفْسِها بِأَنَّها أَهْلُ العَزيزِ لاسْتِثارَتِهِ ، وإيقاظِ حَمِيَّتِهِ ، كَما عَبَّرَتْ عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بـ (مَن) لِتَهْويلِ الأَمْرِ ، وفي هَذا الكَلامِ الصَّادِرِ مِنَ امْرَأَةِ العَزيزِ دَليلٌ على عَظيمِ مَكْرِها ودَهائِها .

﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

سارَعَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى نَفْيِ هَذِهِ التُّهْمَةِ عَنْ نَفْسِه ، وَتَبْيينِ ما حَصَلَ ، وأَنَّها هِيَ الَّتي راوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ وأَغْرَتْهُ بارْتِكابِ ما لا يَليقُ مَعَها وأَنَّهُ امْتَنَعَ عَنْ ذَلِكَ . وفي مِثْلِ هذه الحالَةِ الَّتي يَخْتَلِفُ فيها كَلامُ الخَصْمَيْنِ يَحْتاجُ الأَمْرُ إلى تَفْكيرٍ ورَوِيَّةٍ ومُشاوَرَةٍ ، وَهُنا تَتَدَخَّلُ عِنايَةُ اللهِ بيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَدْ تَكَلَّمَ رَجُلٌ حَكيمٌ مِنْ أَهْلِ المَرْأَةِ مُرْشِداً إلى دَليلٍ قاطعٍ يَرْفَعُ الخِلافَ ويَحُلُّ الإِشْكالَ ، وَهُوَ النَّظَرُ في الشَّقِّ الَّذي حَصَلَ في قَميصِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فإذا كانَ الشَّقُّ في القَميصِ مِنْ أمامٍ فَهِيَ صادِقَةٌ في دَعْواها وأَنَّها تكونُ تُدافِعُ عَنْ نَفْسِها وهُوَ مُنْدَفِعٌ نَحْوَها ، وهُو في هذه الحالةِ مِنَ الكاذِبينَ في دَعْواهُ .

﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

وإنْ كانَ هذا الشَّقُّ مِنْ جِهَةِ الظَّهْرِ فَهُوَ صادِقٌ وهِيَ كاذِبَةٌ ، لأنَّ هذا الشَّقَّ يُؤْذِنُ بأنَّها تبِعَتْهُ وجَذَبَتْ ثَوْبَهُ مِنَ الخَلْفِ لِتَمْنَعَهُ مِنَ الهَرَبِ .

وسُمِّيَ هَذا الرَّجُلُ شاهِداً لأنَّ ما دَعا إليْهِ مِنَ الاحْتِكامِ إلى القَرينَةِ القاطِعَةِ يُشْبِهُ الشَّهادَةَ في الوُصولِ إلى الحُكْمِ العادِلِ ، وكَوْنُ هذا الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِها ، فهذا أوْجَبُ لِلْحُجَّةِ عَلَيْها ، وأنْفى للتُّهْمَةِ عَنْهُ ، وَلِذا فإنَّهُ قَدَّمَ في كَلامِهِ ما يُؤَدِّي إلى بَراءَةِ امْرَأَةِ العَزيزِ على ما يُؤَدِّي إلى اتِّهامِها .

﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

فلمَّا رَأى هَذا الشَّاهِدُ قميصَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ شُقَّ مِنَ الخَلْفِ قالَ مُخاطِباً زَوْجَةَ العزيزِ : إنَّ كلامَكِ في تَوْجيهِ الاتِّهامِ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ هُوَ نَوْعٌ مِنَ الكَيْدِ الَّذي تَقومُ بِهِ النِّساءُ نَحْوَ الرِّجالِ ، وإنَّ كَيْدَ النِّساءِ ومَكْرَهُنَّ عَظيمٌ ، لأنَّ كَثيراً مِنَ الرِّجالِ لا يَفْطَنونَ إلى مَراميهِ .

﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

ثُمَّ وَجَّهَ كَلامَهُ إلى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ يُعْرِضَ عَمَّا حَصَلَ ويَكْتُمَهُ ولا يَتحدَّثَ فيهِ ، خَوْفاً مِنَ الفَضيحةِ بِذُيوعِ الكَلامِ ، ووَجَّهَ كلامَهُ إلى امْرَأَتِهِ أَنْ تَسْتَغْفِرَ مِمَّا وَقَعَ مِنْها مِنْ مُحاوَلَةِ الإيقاعِ بيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، ثُمَّ اتِّهامِهِ بما هُوَ بَريءٌ مِنْهُ ، فإنَّ هذا الفِعْلَ مِنْها جَعَلَها مِنْ جُمْلَةِ الخاطِئينَ الَّذينَ يَتعمَّدونَ ارْتِكابَ الذُّنوبِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ ـ الاحْتِكامُ إلى القَرائِنِ والمُرَجِّحاتِ عِنْدَ فَقْدِ الشُّهودِ يُوصِلُ إلى الحُكْمِ العادِلِ .

٢ ـ مَشْروعيَّةُ الدِّفاعِ عَنِ النَّفْسِ أمامَ الاتِّهامِ الباطِلِ .

٣ ـ اسْتِحْبابُ السَّتْرِ على المُسيءِ وكَراهةُ إشاعَةِ الذُّنوبِ بَيْنَ النَّاسِ .



أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ ـ ما السَّبَبُ الّذي دَعا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى الهُروبِ مِنَ امْرَأَةِ العَزيزِ ؟

٢ ـ لماذا قَدَّتِ امْرَأَةُ العَزيزِ قَميصَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٣ ـ كَيْفَ واجَهَتِ امْرَأَةُ العَزيزِ المَوْقِفَ المُحْرِجَ حينَ أَلْفَيا سَيِّدَها لَدى البابِ ؟

٤ ـ ما خُلاصَةُ ما قالَهُ الشَّاهِدُ ؟ وما وَجْهُ الصِّحَّةِ فيهِ ؟

٥ ـ لِماذا قَدَّمَ الشَّاهِدُ ذِكْرَ ما يَتعلَّقُ بِبراءَةِ المَرْأَةِ مِنَ التُّهْمَةِ ؟

٦ ـ ما وَجْهُ تَسميةِ هذا الرَّجُلِ الحَكيمِ شاهِداً ؟

٧ ـ ما الحُكْمُ الَّذي أَصْدَرَهُ العَزيزُ في هَذِهِ القَضَّيةِ ؟

٨ ـ كَيْفَ نَجَّى اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ هَذهِ التُّهَمِ السَّيئَةِ ؟

نَشاطٌ :

- ما السِّلاحُ الَّذي تَلْجأُ إليهِ المَرْأَةُ إذا تَضايَقَتْ ؟ اكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

❋ ❋ ❋

الدَّرْسُ السَّادِسُ

سُورَةُ يوسُفَ - القِسْمُ السَّادِسُ

۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فَتاها : عَبْدَها والمَقْصودُ به هُنا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ .

شَغفَها حُبّاً : أحاطَ حُبُّهُ بِقَلْبِها وتَمكَّنَ فيهِ .

بِمَكْرِهِنَّ : ذَمِّهِنَّ لَها .

وأعْتَدَتْ لَهُن مُتَّكَا : هيَّأتْ لَهُنَّ ما يَتَّكِئْنَ عَلَيْهِ مِنْ أَوْسِدةٍ ومِخَدّاتٍ .

أكْبَرْنَهُ : دُهِشْنَ مِنْ عَظيمِ جَمالهِ .

قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ : جَرَحْنَ أَيْدِيَهُنَّ .

حاشَ للهِ : تَنْزِيهاً للهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ .

فاسْتَعْصَمَ : فامْتَنَعَ .

الصَّاغِرينَ : المُهانينَ .

أَصْبُ إِلَيْهِنَّ : أميلُ إلى إجابَتِهِنَّ .



التفسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمةِ حِكايَةُ ما حَصَلَ بَعْدَ انْتِشارِ الخَبَرِ ، وَما فَعَلَتْهُ امْرَأَةُ العَزيزِ بِنِساءِ المَدينَةِ ، ومَوْقِفُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

انْتَشَرَ خَبَرُ زَوْجَةِ العَزيزِ وأَصْبَحَ حَديثَ نِساءِ الطَّبَقَةِ العالِيَةِ وأَخَذَتْ مَجْموعَةٌ مِنْ نِساءِ مَدينَةِ مِصْرَ يَتَحَدَّثْنَ فيما بَيْنَهُنَّ عمَّا حَصَلَ ، بَعْدَ أَنْ تَناقَلَتِ الأَلْسِنَةُ مُراوَدَةَ امرأةِ العزيز يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ نَفْسِهِ ، وانْتَقَدْنَ فِعْلَ امْرَأةِ العَزيزِ صاحِبَةِ المَكانَةِ العاليَةِ الَّتي تَصرَّفَتْ هذا التَّصَرُّفَ غيْرَ اللائِقِ بِها ، ونَزَلَتْ إلى مُسْتَوى خادِمِها تَعْرِضُ نَفْسَها عَلَيْهِ ، لابُدَّ وَأَنْ حُبَّها لَهُ قَدِ امْتَلَكَ قَلْبَها وَسيْطَرَ عَلَيْهِ وأحاطَ بِشِغافِهِ مِمَّا جَعَلَها تُراوِدُهُ عَنْ نَفْسِها ، وقَرَّرْنَ أَنَّ امْرَأَةَ العَزيزِ وَقَعَتْ في خَطأ فادِحٍ ظاهِرٍ .

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ .

لَمَّا سَمِعَتِ امْرَأَةُ العَزيزِ بِما قالَهُ هَؤلاءِ النِّسْوَةُ في شَأْنِها دبَّرَتْ لَهُنَّ مَكيدةً وَجَمَعَتْهُنَّ عِنْدَها لِيَرَيْنَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَيَعْذُرْنَها في حُبِّها لَهُ ، فَدَعَتْهُنَّ وَهَيَّأَتْ لَهُنَّ في مَجْلِسِ الطَّعامِ ما يتَّكِئْنَ عَلَيْهِ مِنْ وسائِدَ وَنَحْوِها ، وأَعْطَتْ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً لِتَقْطَعَ بِها ما تأْكُلُه مِنْ لَحْمٍ وفاكِهَةٍ وَغَيْرِه ، وفي هَذِهِ اللَّحْظَةِ وُهنَّ مُنْشَغِلاتٌ بِتَناوُلِ الطَّعامِ وَتقْطيعِهِ أَمَرَتْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ يَبْرُزَ لَهُنْ ، وكانَ لِهذِهِ المُفاجَأَةِ وَقْعُها الكَبيرُ على نُفوسِهِنَّ ، حَيْثُ دُهِشْنَ لِجمالِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَحُسْنِ هَيْئَتِهِ حتَّى إنَّهُنَّ جَرَحْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالسَّكاكينِ مِنْ دونِ أَنْ يَقْصُدْنَ ذلِكَ لِشدَّةِ الدَّهْشَةِ والمُفاجأَةِ ، فَقالتْ لَهُنَّ لَقَدْ حَصَلَ مِنْكُنَّ هذا لِرُؤْيَتِهِ لِمَرَّةٍ واحِدَةٍ فَكَيْفَ بِمَنْ تَعيشُ مَعَهُ ، وقُلْنَ في دَهْشَةٍ وتَعَجُّبٍ : سُبْحانَ اللهِ ، هذا الَّذي نَراهُ لَيْسَ بَشَراً بَلْ هُوَ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ ، يَقْصُدْنَ بِذلكَ أَنَّهُ في أَعْلى درجاتِ الحُسْنِ والجَمالِ .

وفي الآيةِ الكَريمَةِ التَّعبيرُ عَنْ كَلامِ النُّسْوَةِ بالمَكْرِ لِشَبَهِهِ بِهِ ، ولأَنَّهُنَّ قَصَدْنَ مَعْرِفَةَ تَفاصيلِ ما حَدَثَ ، وَسِرَّ ما تَمَّ .

﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ (٣٢) ﴾ .

لمَّا سَمِعَتِ امرأةُ العزيزِ كلامَ النِّسْوَةِ وَرأَتْ ما أَصابَهُنَّ مِنْ دَهْشَةٍ عِنْدَ رُؤْيَتِهِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ قالتْ لَهُنَّ : هذا الَّذي وَجَّهْتُنَّ إليَّ اللَّومَ في حُبِّي لَهُ ، أما وَقَدْ حَصَلَ ما حَصَلَ مِنْ دَهْشَةٍ وَجَرْحِ أَيْديكُنَّ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ فإنِّي معْذورةٌ فيما حَدَثَ منِّي مَعَهُ ، وإنِّي قَدْ حاوَلْتُ مَعَهُ بِشَتَّى الوَسائِلِ والمُغْرياتِ فامْتَنَعَ عَنِّي وأَبى مُطاوَعَتي ، وإنَّه إنْ لَمْ يُطِعْني فيما أُريدُ مِنْهُ فإنِّي سآمُرُ بِسِجْنِه عُقوبَةً لَهُ ، لِيكونَ مِنَ الأَذلاَّءِ المُهانينَ ، وفي كَلامِها هذا دَليلٌ على ثِقَتِها مِنْ قُدْرَتِها على فِعْلِ ذَلِكَ .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٣٣) ﴾ .

لمَّا سَمِعَ يُوسفُ عَلَيْهِ السَّلامُ تَهْديدَ امْرَأَةِ العَزيزِ وإصْرارَها على ما تُريدُ خَشِيَ على نَفْسِهِ مِنَ الوُقوعِ في حَبائِلِها ، فقالَ مُناجياً رَبَّهُ : يا ربُّ إنَّ السجنَ الَّذي تُهَدِّدُني بِهِ امْرَأَةُ العزيزِ أحبُّ إليَّ مِمَّا يَدْعونَني إِلَيْهِ هؤلاءِ النِّسْوَةُ مِنَ ارْتِكابِ الفاحِشَةِ ، وإنْ لَمْ تَصْرِفْ عَنِّي يا ربُّ كَيْدَهُنَّ ، وَمُحاوَلَتَهُنَّ إيقاعي في حَبائِلِهِنَّ بِتَثْبيتي على ما أنا عَلَيْهِ أَمِلْ إلى جانِبِهِنَّ ، وأكونُ بذلكَ مِنَ السُّفَهاءِ الَّذين يَتَّبعونَ شَهواتِهِمْ ويَرْتَكبونَ القبائِحَ والمُنْكَراتِ .

وفي إسْنادِ الدَّعْوَةِ إلى النِّسْوَةِ في الآيَةِ دَليلٌ على أَنَّهُنَّ دَعَوْنَهُ لِطاعَتِها وخَوَّفْنَهُ مِنْ عِصيانِ أَمْرِها ، وأَنَّهُنَّ وافقْنَها على ما تُريدُ مِنْهُ ، وفي قولِهِ : (وإلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ . .) إشارةٌ إلى الضَّعْفِ البَشَرِيِّ أمامَ المُغْرياتِ .

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٣٤) ﴾ .

فاسْتَجابَ اللهُ تَعالى لِدُعاءِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَدَفَعَ عَنْهُ كَيْدَ هَؤلاءِ النِّسْوَةِ ، وَثَبَّتَهُ على مَوْقِفِهِ الرَّافضِ لإغْرائِهِنَّ وعَصَمَهُ مِنَ الفاحِشَةِ ، إِنَّهُ سُبْحانَهُ هُوَ السَّميعُ لِدُعاءِ الدَّاعينَ والعَليمُ بأحوالِ القُلوبِ والعِبادِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ بيانُ طَبيعَةِ النَّاسِ في تَتَبُّعِ الأَخْبارِ والرَّغْبَةِ في مَعْرِفَةِ الأَسْرارِ .

٢ـ عِظَمُ دَهاءِ بَعْضِ النِّساءِ وَمَكْرِهِنَّ فامْرَأَةُ العَزيزِ أَعَدَّتْ حيلةً ماكِرَةً للنِّسْوَةِ لِتَقْنِعَهُنَّ بِصِحَّةِ ما فَعَلَتْ .

٣ـ ضَعْفُ الإنسانِ قَدْ يَجرُّهُ لارتكابِ المَعاصِي والمُحَرَّماتِ إنْ لَمْ يَلْجأ إلى اللهِ ويَسْتَعِنْ بِهِ على العِصْمَةِ والثَّباتِ .

٤ـ اللهُ تَعالى يَسْتَجيبُ لِلدُّعاءِ الصَّادِقِ المُخْلِصِ مِنْ عِبادِهِ الصَّالِحينَ .

٥ـ قُلوبُ العبادِ بَيْنَ يَدي اللهِ ، فإنَّهُ سُبْحانَهُ صَرَفَ كَيْدَ النِّسْوَةِ عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بأنْ أدْخَلَ في نُفوسِهِنَّ اليَأْسَ مِنَ اسْتِجابَتِهِ لَهُنَّ .

٦ـ الثَّباتُ أَمامَ المِحَنِ والفِتَنِ والمُغْرِياتِ مِنْ عَلاماتِ الصَّلاحِ والخَيْرِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التالية :

١ـ ماذا قالَ النِّسْوَةُ عَنِ امْرَأَةِ العَزيزِ ؟

٢ـ ما المَكِيدةُ الَّتي دَبَّرَتْها امْرَأَةُ العَزيزِ لإقْناعِ النِّسْوَةِ كَيْ يَعْذُرْنَها ؟

٣ـ لِماذا قَطَّعَتِ النِّسْوَةُ أَيْدِيَهُنَّ ؟

٤ـ ماذا قالَتِ النِّسْوَةُ عِنْدَما رَأَيْنَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٥ـ بماذا هَدَّدتِ امْرَأَةُ العَزيزِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟ وما مَوْقِفُهُ مِنْ هَذا التَّهْديدِ ؟

٦ـ بِماذا دَعا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ رَبَّهُ ؟ وَهَلِ اسْتَجابَ اللهُ تَعالى لَهُ ؟ أَيِّدْ إجابَتَك بِدَليلٍ .

٧ـ بَيِّنْ مَعنى كُلٍّ ما يَلي :

أـ قَدْ شَغَفَها حُبّاً .

ب ـ وأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً .

ج ـ حاشَ لله .

د ـ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً شريفاً يُبَيِّنُ فيه رَسُولُ اللهِ ﷺ جَمالَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

٢ـ اذْكُرِ الحَديثَ الشَّريفَ الَّذي يُبَيِّنُ أَجْرَ من دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمالَ فَقالَ إنِّي أخافُ الله .

الدَّرْسُ السَّابِعُ

سورةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ السَّابِعُ

ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **بَدا** : ظَهرَ .
- **الآياتِ** : العلاماتِ الدَّالَّةِ على بَراءَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ .
- **حينٍ** : مُدَّةٍ غيرِ مُحَدَّدَةٍ .
- **أعْصِرُ خَمْرا** : أعصرُ عِنباً يُصْنَعُ مِنْهُ الخَمْرُ .
- **مِلّةَ** : دِينَ .

التفسيرُ :

تُبيِّنُ هذهِ الآياتُ الكَريمَةُ ما تَعرَّض لَهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ ظُلْمٍ وإدْخالِهِ السِّجْنَ ، وبَعْضَ ما حَصَلَ مَعَهُ فيهِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾ ﴾

لَمَّا انْتَشَرَ خَبَرُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَشاعَ بَيْنَ النَّاسِ ، ظَهَرَ لِلْعَزيزِ وَحاشِيَتِهِ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ يَقيناً بَر ءَةَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِمَّا اتُّهِمَ بِهِ مِنْ خِلالِ الأَدِلَّةِ المُتَعدِّدَةِ والبَراهِينِ القاطِعَةِ ، أَنْ يَسْجنوهُ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ ، حتَّى يَنْقَطِعَ حَديثُ النَّاسِ عَنْ هذا الأَمْرِ ، ويَبْدُو لِلنَّاسِ أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ هُوَ المُخْطِيءُ ، وَهَذا القَرارُ كانَ بِتَأْثيرٍ وَإيعازٍ مِنَ امْرأةِ العَزيزِ الَّتي هَدَّدَتْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ قَبْلُ بالسِّجْنِ إِنِ اسْتَمَرَّ في رَفْضِ الانْصياعِ لأَمْرِها وإغْرائِها .

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

أُدْخِلَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ السِّجْنَ ، ودَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتيانِ مِنْ خَدَمِ المَلِكِ ، وَرَأى كُلٌّ مِنْهُما في نَوْمِهِ حُلْماً ، فَلجأ إلى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِيخْبِرَهُما بتَأويلِ ما رَأيا ، فَقالَ أَحَدُهُما : إنَّه رَأى في مَنامِهِ أَنَّهُ يَعْصِرُ عِنباً لِيتحوَّلَ بَعْدَ ذَلِكَ إلى خَمْرٍ ، وقالَ الآخَرُ إنَّهُ رَأى في مَنامِهِ أَنَّهُ يَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِهِ خُبْزاً تَأْكُلُ الطَيْرُ مِنْهُ ، وَطَلبا مِنْ يُوسفَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ يُخْبِرَ كُلاًّ مِنْهما بِتَأويلِ حُلْمِهِ ، لأَنَّهُما يَريانِهِ مِنَ الّذينَ يُحْسِنونَ تَأْويلَ الأَحْلامِ ، وَمِنَ الَّذينَ يُحْسِنونَ إلى غَيْرِهِمْ بِقَضاءِ مَصالِحِهِمْ والتَّخْفيفِ عَنْهُمْ .

ويَظْهَرُ مِنْ قَوْلِهِما لِيوسُفَ عَلَيْهِ السلامُ (إنَّا نَراكَ مِنَ المُحْسِنينَ) أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلامُ كانَ يُحْسِنُ إلى مَنْ مَعَه في السِّجْنِ ويُعينُهمْ على ما يُريدونَ ، وأنَّهُ كانَ يُخْبِرُهُمْ بِتَأْويلِ رُؤاهُمْ .

﴿ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

قَبْلَ أَنْ يُخْبِرَهُما يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِتَأويلِ رُؤياهُما مَهَّدَ لِذلكَ بِأَنْ عَرَّفَهُما بدينِهِ وَبِنَفْسِهِ وَدَعاهُما إلى تَوْحيدِ اللهِ تَعالى وَعِبادَتِهِ ، وهذا شَأْنُ الأنبياءِ الكِرامِ والدُّعاةِ المُصْلِحينَ يَغْتَنِمونَ كُلَّ فُرْصَةٍ لِدَعْوَةِ الآخرينَ وَتَعْريفِهِمْ بالحَقِّ والهُدَى ، فَقالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ لَهُما : إنَّ رَبِّي عَلَّمَني أَشْياءَ تَفوقُ ما عِنْدَ الآخَرينَ ، فأَنا أُعَلِّمُكُما بِتَفاصيلِ الطَّعامِ الَّذي سَيَأْتيكُما قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إلَيْكُما ، وَقَدْ عَلَّمَني رَبِّي هذا العِلْمَ ، فَلَسْتُ بِكاهِنٍ ولا مُدَّعٍ لِعِلْمِ الغَيْبِ ، وَقَدْ عَلَّمَني رَبِّي ذَلِكَ لأَنَّني تَرَكْتُ دينَ المُشْرِكين باللهِ ، الكافِرينَ بالآخِرَةِ الَّذينَ لا يُؤْمِنونَ بالبَعْثِ ولا بالحِسابِ ، والمُرادُ بِتَرْكِهِ دينَ الباطِلِ أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْهُ أَصْلاً ، كما يُؤَكِّدَ ذَلِكَ الآيةُ التَّالِيَةُ ، وفي هَذهِ الآيةِ الكَريمةِ تَبيينُ ما كانَ عَلَيْهِ العَزيزُ وقَوْمُهُ مِنْ شِرْكٍ باللهِ دينٌ باطِلٌ ، وَلَمْ يُواجِهْهُما يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِبُطْلانِ دينِهِما مُباشَرَةً لِيَسْتَميلَهُما إليْهِ .

﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ عَلَيْهِ السَّلامُ بُطْلانَ دينِ الشِّرْكِ وأنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِ ، بَيَّنَ لَهُما الدِّينَ الحَقَّ الَّذي اتَّبَعَهُ ، وَهُوَ مِلَّةُ آبائِهِ الكِرامِ المُوَحِّدينَ للهِ تَعالى والْمُوقِنينَ بالآخِرَةِ : إبراهيمَ وإسْحاقَ ويعقوبَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، وسَمَّاهُمْ آباءً لأنَّ الأجْدادَ آباءٌ ، وبَدأَ بأقْدَمِهِمْ لأنَّهُ أَصْلُ هَذهِ المِلَّةِ وتَلَقَّاها عَنْهُ أبناؤُهُ ، وسَمَّاهُمْ لِيُبَيِّنَ لِرَفيقيهِ في السِّجْنِ أنَّهُ مِنْ سُلالَةٍ كَريمةٍ كُلُّها أنبياءُ ، ولَمَّا كانَ الحالُ كَذلكَ ، فإنَّهُ لا يَصِحُ لنا أنْ نُشْرِكَ باللهِ تعالى أيَّ شَيْءٍ فَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ نُبُوَّةٍ ، وهذا الَّذي نَحْنُ فيهِ مِنْ إِخْلاصِ العِبادَةِ للهِ تَعالى وتَوْحيدِهِ كائِنٌ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْنا وعلى غَيْرِنا مِمَّنْ هَداهُمُ اللهُ للإيمانِ الحَقِّ ، فَنَحْنُ نَشْكُرُ اللهَ تعالى على نِعَمِهِ ، ولكنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرونَ ، ولا يَتَّجِهونَ إليْهِ بالعِبادَةِ والطَّاعةِ .

وَبِهذا نَرى أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَدْ مَهَّدَ الكَلامَ لِتَعْبيرِ الرُّؤْيا بِبَيانِ فَضْلِهِ ومَنْزِلَتِهِ ونَسَبِهِ ودينِهِ ، وأَنَّهُ على الدِّينِ الحَقِّ وأنَّ ما عِنْدَهُ مِنْ عِلْمٍ بالتَّأْويلِ إنَّما هُوَ مِنْ تَعْليمِ اللهِ لَهُ ، فَهُوَ حَقٌّ لا مِرْيةَ فيهِ . وكانَ هَذا الكَلامُ مِنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ تَمْهيداً أَيْضاً لِدَعْوتِهِما إلى تَوْحيدِ اللهِ تعالى والإيمانِ بهِ كما سيَأْتِي في الآياتِ التَّاليةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ دُخولُ السِّجْنِ ليسَ دليلاً على الانْحِرافِ والفَسادِ فَقَدْ دَخَلَهُ النَّبيُّ الكَريمُ عَلَيْهِ السَّلامُ .

٢ـ اغْتِنامُ كُلِّ مُناسَبَةٍ لِلدَّعْوَةِ إلى اللهِ تعالى .

٣ـ إسْنادُ الفَضْلِ والخَيْرِ إلى اللهِ تَعالى ، فَهُو مَصْدَرُ كُلِّ خَيْرٍ وفَضْلٍ .

٤ـ وُجوبُ التَبَرُؤِ مِنَ الشِّرْكِ ، وإظْهارِ الدِّينِ الحَقِّ .

٥ـ تَعريفُ المَرْءِ بنَفْسِهِ وما يَتَميَّزُ بهِ لِينالَ ثِقَةَ الآخَرينَ مَشْروعٌ .



التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا قرَّرَ العَزيزُ سَجْنَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٢ـ ماذا رَأى كُلٌّ مِنَ المَسْجونَيْنِ في مَنامِهِما ؟

٣ـ ما المَنْهَجُ الَّذي اتَّبَعَهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ في دَعْوَةِ الفَتَيَيْنِ ؟

٤ـ اذكُرْ دَليلاً مِنْ آياتِ الدَّرْسِ على كُلٍّ مِمَّا يلي :

أ ـ يَدْخُلُ إلى السِّجْنِ مَظْلومونَ .

ب ـ كانَ يُوسفُ عَليْهِ السَّلامُ يُحْسِنُ إلى مَنْ مَعَهُ في السِّجْنِ .

ج ـ يَجوزُ تَسْمِيةُ الجَدِّ أباً .

د ـ كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ لا يَعْبدونَ اللهَ ، ولا يَشْكُرونَ نِعَمَهُ .

هـ ـ يَجوزُ تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ باعْتِبارِ ما يَصيرُ إليهِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ حَديثاً شَريفاً يُبيِّنُ خُطورَةَ الذَّهابِ إلى مَنْ يَدَّعي عِلْمَ الغَيْبِ وتَصْديقِهِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّامِنُ

سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ

يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقونَ : آلِهَةٌ مُتَعَدِّدونَ .

سُلطانٌ : حُجَّةٌ وبُرْهانٌ .

القَيِّمُ : المُسْتَقيمُ .

تَسْتَفْتِيانِ : تَطْلُبانِ الفَتْوى .

بِضْعَ سِنينَ : ما بَيْنَ ثَلاثِ سِنينَ إلى تِسْعِ سِنينَ .

التفسيرُ :

في هَذِهِ الآياتِ الكَريمةِ تَتِمَّةُ إجابَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ على سُؤالِ الفَتَيَيْنِ وتأويلُهُ رُؤْياهُما .
قالَ اللهُ تعالى :

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ عَرَّفَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ صاحِبَيْهِ في السِّجْنِ بِنَفْسِهِ وَبِدينِهِ ، وَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَ لَهُما أَنَّ مَعْرِفَةَ

تأْويلِ الرُّؤْيا بفَضْلِ اللهِ عَلَيْهِ لأنَّهُ مُتَبعٌ للدِّينِ الحَقِّ ، تَوَجَّهَ إِلَيْهما بالسُّؤالِ الدّالِّ على فَسادِ كُلِّ عقيدةٍ تُنافي التَّوْحيدَ ، فقالَ لَهُما : يا صاحِبَيَّ ورَفيقَيَّ في السِّجْنِ : أخْبراني أعِبادَةُ مَجْموعةٍ مِنَ الأرْبابِ المُتَعَدِّدَةِ ، المُتَفرِّقَةِ في رَغباتِها وأهوائِها وصِفاتِها أفْضَلُ أمْ عِبادَةُ اللهِ الواحدِ في ذاتِهِ وَصِفاتِهِ ، القَهارِ لِكُلِّ مَنْ غالَبَهُ ونازَعَهُ ؟ وقَدَّمَ بَيْنَ يَديْ كلامِهِ نِداءَهُما ووَصَفَهُما بالصُّحْبَةِ لِيَتحبَّبَ إلَيْهما وَيَسْتَجْلِبَ اسْتِئْناسَهُما وانْتِباهَهُما ، ويَبْدو مِنَ الآيَةِ أنَّ النَّاسَ في ذَلِكَ الزَّمَنِ كانوا يَعْبدونَ آلِهَةً مُتَعدِّدَةً .

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

هنا بَدَأ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِتَبْيينِ بُطلانِ عِبادَةِ هَذهِ الآلِهَةِ ، فَهِي مُجَرَّدُ أشياءَ سُمِّيَتْ آلِهَةً وَلَيْسَتْ كَذلِكَ في الحقيقةِ ، فَهِيَ لا تَمْلِكُ لِنَفْسِها ولا لِغَيْرِها نَفْعاً ولا ضَرّاً ، فَضْلاً عَنْ أنْ تَرْزُقَ غَيْرَها أوْ أنْ تَتَصرَّفَ بالإحياءِ أو الإماتَةِ ، أطْلَقْتُمْ عَلَيْها أَسْماءَ الآلِهَةِ أنْتُمْ وآباؤُكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ ، ولا حُجَّةَ لَكُمْ مِنَ اللهِ تَشْهَدُ ، بِأُلوهِيَّتِها ، وَلَيْسَ عِنْدَكُمْ بُرْهانٌ على وُجوبِ عِبادَتِها ، ولَيْسَ لَها أيُّ قُدْرَةٍ على التَّصرُّفِ في شُؤونِ الكَوْنِ والخَلْقِ ، (إنِ الحُكْمُ إلاّ للهِ) وَحْدَهُ ، فَهُو سُبْحانَهُ المُتَفرِّدُ بالحُكْمِ في هذا الكَوْنِ بما يَشاءُ ، فالحُكْمُ لَهُ وَحْدَهُ فَهُوَ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ وصاحِبُ الأمْرِ والنَّهْي في خَلْقِهِ ، ولِذا أمَرَ عِبادَهُ أنْ يُخْلِصوا لَهُ العِبادَةَ ، وأنْ يُفْرِدوهُ بالتَّعْظيمِ والطَّاعَةِ ، وهذا الَّذي أمَرَ اللهُ بِهِ هُو الدِّينُ الحَقُّ المُستقيمُ ، ولكنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلمونَ هَذهِ الحَقيقةَ بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ وَضَلالِهِمْ ، وعِبادَتِهِمْ لِغَيْرِ اللهِ .

وَفي النَّصِّ في الآيَةِ الكَريمةِ على الآباءِ قَطْعٌ لِحُجَّةِ المُخاطَبينَ حتَّى لا يَقولوا : وَجَدْنا آباءَنا على هذا الدِّينِ ونَحْنُ لَهُمْ مُتَّبعونَ ، فَبَيَّنَ لَهُمْ ضَلالَ آبائِهِمْ وَعَدمَ صِحَّةِ الاقتداءِ بِهِمْ .

﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾ .

بَدَأ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ ذَلِكَ يُبَيِّنُ لِلسَّائِلَيْنِ تأويلَ رُؤْياهُما فَقال لَهُما : يا صاحِبَيِّ السِّجْنِ أمَّا أَحدُكُما ، وهو السَّاقي فإنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنَ السِّجْنِ ويَسْقي سَيِّدَهُ وَهُوَ المَلِكُ ، خَمْراً ، وأمَّا الآخَرُ وَهُوَ الخَبَّازُ وصاحِبُ الطَّعامِ ، فإنَّهُ سَيُقْتَلُ ثُمَّ يُصْلَبُ ويُتْرَكُ حتَّى تَأْكُلَ الطَيْرُ مِنْ رأْسِهِ ، ويُلاحَظُ أنَّ يُوسفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمْ يُعيِّنْ لَهُما مَنِ الَّذي سَيَخْرُجُ وَمَنِ الَّذي سَيُقْتَلُ تلطُّفاً مِنْهُ في العِبارَةِ ، ولِعَدَمِ مُواجَهَةِ صاحِبِ المَصيرِ السَّيىءِ بما يَسوؤُهُ ، وإنْ كانَ يُفْهَمُ مِنْ كلامِهِ مَنِ المَقْصودُ بِكُلِّ حالةٍ تَبعاً لِرُؤْيا كُلٍّ مِنْهُما .

وبَعْدَ أنْ بَيَّنَ لَهُما تَأْويلَ رُؤْياهُما أكَّدَ لَهُما ثِقَتَهُ بما قالَ وانْتِهاءَ حَديثِهِ مَعَهُما قائِلاً لَهُما : تَمَّ

التَّأْويلُ الصَّحيحُ لِما سَأَلْتُماني إِيَّاه وطَلَبْتُما مِني تَبْيينَهُ وإيضاحَهُ .

﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) ﴾ .

وقالَ يُوسفُ عَلَيْهِ السَّلامُ لِلْفتى الَّذي اعْتَقَدَ أَنَّه سَيَخْرُجُ مِنَ السِّجْنِ ويَنْجو مِنَ القَتْلِ وَهُو ساقي المَلِك : اذْكُرْني عِنْدَ سَيِّدكَ المَلِكِ بَعْدَ أَنْ تَخْرُجَ ، وتَذَكَّرْ أَنْ تُبيِّنَ لَهُ حَقيقةَ حالي وشَأْني ، وما وَقَعَ عليَّ مِنْ ظُلْمٍ ، إلاَّ أَنَّ السَّاقي بَعْدَ أَنْ خَرج مِنَ السِّجْنِ وَعادَ إلى عَمَلِه عِنْدَ المَلِكِ أَنْساهُ الشَّيطانُ أَمْرَ يُوسفَ عليْهِ السَّلامُ ، وَلَمْ يَتذَكَّرْ أَنْ يُبيِّنَ حالَهُ لِلْمَلِكِ لانْشغالِه بعَمَلِه وَلفَرَحِه بخُروجِه مِنَ السِّجْنِ ، وكانَ نتيجةَ ذَلكَ النسيانِ أَنْ بَقِي يُوسُفُ عَلَيْهِ السلامُ في السِّجْنِ مَظْلوماً عدداً مِنَ السّنينَ ، اللهُ أَعْلَمُ بِمِقْدارِها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ على الدَّاعي اتِّباعُ شَتَّى الأساليبِ لِمُحاوَلَةِ الإقْناعِ بِدَعْوَتِهِ ، وإقامَةُ الدَّليلِ على بُطْلانِ عبادةِ غَيْرِ اللهِ .

٢ـ التَّلَطُّفُ في إعلامِ مَنْ يَسْتَقْبِلُ أمراً سَيِّئاً وعَدَمُ مُواجَهَتِهِ بِهِ رِفْقاً بِحالِه .

٣ـ جَوازُ الاسْتِعانَةِ بالآخَرينَ لِقَضاءِ المَصالِحِ ، خاصةً في حالِ تَبيينِ حُصولِ الظُّلْمِ .

٤ـ لِلشَّيْطانِ دَوْرٌ كَبيرٌ في إبْعادِ النَّاسِ عَنْ فِعْلِ الخَيْرِ بوسائِلَ مُتَعدِّدَةٍ مِنْها النِّسْيانُ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ كَيْفَ أقامَ يوسفُ عَلَيْهِ السَّلامُ لِصاحِبَيْهِ الدَّليلَ على بُطلانِ عبادةِ غَيْرِ اللهِ ؟

٢ـ ما سِماتُ الدِّينِ القَيِّمِ الَّتي ذَكَرها يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ في هذهِ الآياتِ ؟

٣ـ ما تأويلُ رُؤيا صاحِبَيْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٤ـ لِماذا لَمْ يُعَيِّنْ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ تأويلَ رُؤيا كُلِّ واحدٍ مِنْهُما لَهُ مُباشَرَةً ؟

٥ـ ماذا طَلَبَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ الفَتى الَّذي نَجا وَخَرَجَ مِنَ السِّجْنِ ؟

٦ـ لماذا نَسِيَ الفَتى ما طلَبَهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْهُ ؟

٧ـ بيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمّا يلي :

أ ـ صاحِبَيِ السِّجْنِ .

ب ـ أَأَرْبابٌ مُتَفرِّقونَ .

ج ـ سَمَّيْتموها أنْتُمْ وآباؤُكُمْ .

د ـ إنِ الحُكْمُ إلاّ للهِ .

هـ ـ قُضِيَ الأَمْرُ الّذي فيهِ تَسْتَفْتِيانِ .

و ـ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ .

ز ـ فَلَبِثَ في السِّجْنِ بِضْعَ سِنينَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ التَّاسِعُ

سورةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ التّاسِعُ

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

عِجافٍ : هَزيلاتٍ ، جَمْعُ عَجْفاءَ .

أَفْتوني في رُؤْيايَ : بيِّنوا تأْويلَها لي .

تَعْبُرونَ : تَعْلَمونَ تأْويلَ الرُّؤْيا .

أَضْغاثُ : أَخْلاطٌ .

وادَّكَرَ : وتَذَكَّرَ .

بَعْدَ أُمّةٍ : بَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ .

التَّفسيرُ :

انْتَقَلَتِ الآياتُ إلى بَيانِ رُؤْيا أُخْرَى وهِيَ رُؤْيا المَلِكِ الَّتي لَمْ تَسْتَطِعْ حاشِيَتُهُ تأْويلَها ، ولَجَأوا إلى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِيُعَبِّرَها لَهُم ، قالَ اللهُ تعالى مُبَيِّناً ذلِكَ .

﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

ما زالَ السِّياقُ الكَريمُ في الحَديثِ عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُوَ في مِحْنَةِ السِّجْنِ ، ولَمَّا اقْتَرَبَ وَقْتُ الفَرَجِ رَأى مَلِكُ مِصْرَ رُؤْيا أَفْزَعَتْهُ ، فَأَخْبَرَ بها رِجالَ حاشِيَتِهِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الكَهَنَةِ والحُكَماءِ والأُمَراءِ ، وقالَ لَهُمْ : إِنِّي رَأَيْتُ في المَنام سَبْعَ بَقَراتٍ قَدِ امْتَلأَنَ لَحْماً وشَحْماً ، يَأْكُلُ هذهِ البَقَراتِ السِّمانَ سبعُ بَقَراتٍ أُخرى مُهازيلُ ضعافٌ ، ورأَيْتُ في مَنامي سَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ قَدِ امْتَلاَتْ حَبّاً وبجوارِها سَبْعُ سُنْبلاتٍ يابساتٍ قَدْ ذَهَبَتْ نضارَتُها وخُضْرَتُها ، يا أَيُّها الأَشْرافُ والعُلَماءُ بَيِّنوا لي تأويلَ هذه الرُّؤْيا وبَيِّنوا لي ما تَدُلُّ عَلَيْهِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمونَ تَأْويلَها وتَسْتَطيعونَ تَفْسيرَها لي .

﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

قالَ الملأُ لِلْمَلِك : ما رأَيْتَهُ أَيُّها المَلِكُ في مَنامِكَ ما هُوَ إلاّ أَحْلامٌ ومَناماتٌ ، ولَيْسَتْ مِنَ الرُّؤْيا الَّتي يُمْكِنُ أَنْ تُفَسَّرَ وتَبينَ ، وَنَحْنُ لَسْنا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ بِتَأْويلِ تَخاليطِ الأَحْلامِ ، وإنَّما يُمْكِنُنا تَأْويلُ الرُّؤى الصّادِقَة .

فَهُمْ بِهذا القَوْلِ اعْتَذَروا مِنْ عَدَمِ إمْكانِهِمْ تَأْويلَ رُؤْيا المَلِكِ ، لأَنَّها في نَظَرِهِمْ مِنَ الأَحْلامِ المُخْتَلِطَةِ الَّتي لا تُعَبَّرُ ولا تُفَسَّرُ ، وَلَعَلَّهُمْ عَلِموا ما تَنْطَوي عَلَيْهِ هَذهِ الرُّؤْيا مِنْ أُمورٍ سَيِّئَةٍ فَلَمْ يَرْغَبوا بِمواجَهَةِ المَلِكِ بها ، على طَريقَةِ رِجالِ الحاشِيَةِ في إظْهارِ ما يَسُرُّ الحاكِمَ وإخفاءِ ما يُزْعِجُهُ .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾

بَعْدَ أَنْ عَجَزَتْ حاشِيَةُ المَلِكِ عَنْ تأويلِ الرُّؤْيا ، تَذَكَّرَ السّاقي ما كانَ مِنْ شَأْنِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وقُدْرَتَهُ البارِعَةَ على تأْويلِ الأَحْلام ، وكانَ قَدْ نَسِيَ أَمْرَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وما أَوْصاهُ بِهِ مِنْ ذِكْرِهِ عِنْدَ المَلِكِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ ، فقالَ السّاقي : أنا أُخْبِرُكُمْ بِتَأْويلِ هذهِ الرُّؤْيا الَّتي خَفِيَ تَأْويلُها عَلَيْكُمْ فابْعَثوني إلى مَنْ يَسْتطيعُ تأويلَها .

﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

طَلَبَ السّاقي إرْسالَهُ إلى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَأَرْسلوهُ إليْهِ فَجاءَهُ فَقالَ لَهُ : يا يُوسُفُ يا أَيُّها الصِّدِّيقُ ، المَوْصُوفُ بالصِّدْقِ في جَميعِ أَحْوالِهِ ، بَيِّنْ لَنا تأْويلَ الرُّؤْيا الَّتي رَآها المَلِكُ ، والَّتي عَجِزَ الناسُ عَنْ تأويلِها ، وَهِيَ أَنَّ المَلِكَ رَأى في مَنامِهِ سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ ، ورَأى سَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ يابساتٍ ، وأعادَ السّاقي الرُّؤْيا بِتَفاصيلِها كَما ذَكَرَتِ

الآيةُ ، لأنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ العِلْمُ بِها ، ولِلْمُحافَظَةِ على دِقَّةِ المَعْلومَةِ وَنَقْلِ الرُّؤْيا كَما هِيَ دُونَ نَقْصٍ أَوْ زِيادَةٍ .

(لَعَلّي أَرْجِعُ إلى الناسِ لَعلّهُمْ يَعْلَمونَ) أيْ لِكَيْ أَرْجِعَ بِتَأْويلِ هذهِ الرُّؤْيا إلى المَلِكِ وَمَنْ بِيَدِهِمْ الأَمْرُ وإلى حاشِيَتِهِ الَّذين عَجِزوا عَنْ تَأْويلِها ، فَيَعْلَمونَ مَكانَتَكَ وبَراعَتَكَ في تَفْسيرِ الأَحْلامِ ويَعْلَمون تَفْسيرَ هذه الرُّؤْيا .

واسْتَخْدَمَ السّاقي (لَعَلَّ) الدّالَّةَ على الرَّجاءِ لأنَّهُ لَمّا رَأى عَجْزَ الحُكَماءِ والكَهَنَةِ عَنْ تأْويلِ هذه الرُّؤْيا ، خَشِيَ أَنْ يَعْجَزَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَيْضاً عَنْ تَأْويلِها ، كَما طَلَبَ مِنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ تأويلَ الرُّؤْيا بِضَميرِ الجَمْعِ (أَفْتِنا) لِيُبيِّنَ لَهُ أَنَّ هَذهِ الرُّؤْيا لَيْسَتْ لَهُ بَلْ لِغَيْرِه .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ جَوازُ حُصولِ الرُّؤْيا الصّادِقَةِ مِنَ الكافِرِ .

٢ـ تَدْبيرُ اللهِ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَرى المَلِكَ رُؤيا أَعادَتِ احْتِياجَ المَلِكِ وشَعْبِهِ إلى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

٣ـ قَدْ يَتَذَكَّرُ الإنْسانُ أَمْراً أَوْ شَيْئاً مُهِمّاً بِسَبَبِ حادِثَةٍ تُذَكِّرُهُ بِهِ .

٤ـ جَوازُ وَصْفِ الإنْسانِ بِما هُو فيهِ مِنْ غَيْرِ مُبالَغَةٍ ، كالصّدّيقِ والعالِمِ .

٥ـ وُجوبُ تَحَرِّي الدِّقَّةِ في نَقْلِ المَعْلوماتِ دُونَ زِيادَةٍ فيها ولا نَقْصٍ مِنْها .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسْئلةِ التاليةِ :

١ـ ماذا رَأى المَلِكُ في مَنامِهِ ؟

٢ـ بِماذا أجابَ رِجالُ الحاشِيَةِ والعُلَماءُ المَلِكَ في مَعنى رُؤياهُ ؟

٣ـ ما سَبَبُ تَذكُّرِ السّاقي لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٤ـ لماذا أُعيدَتْ تَفاصِيلُ الرُّؤْيا مَرَّةً أُخْرى في الآيةِ السّادِسَةِ والأَرْبعينَ مَعَ ذِكْرِها في الآية الثّالِثَةِ والأَرْبَعينَ ؟

٥ـ لماذا اسْتَخْدَمَ السَّاقي (لَعَلَّ) الَّتي هِيَ مِنْ أفعالِ الرَّجاءِ ؟

٦ـ ما الأَمْرُ الغَريبُ في رُؤيا المَلِكِ ؟

٧ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ عَلى ما يَلي :

أ ـ جَوازُ حُصولِ الرُّؤْيا الصَّادِقَةِ لِلْكافِرِ .

ب ـ قَدْ يَعْجَزُ الإِنْسانُ عَنْ حَلِّ أَمْرٍ يَتعلَّقُ باخْتِصاصِهِ وَعَمَلِهِ .

ج ـ يَتذَكَّرُ الإنسانُ أَشياءَ مُعَيَّنَةً عِنْدَ حُصولِ حادثٍ ما .

د ـ وجوبُ نَقْلِ المَعْلومَةِ بالدِّقَّةِ .

تَعَلَّمْ :

ـ أصْلُ (ادَّكَرَ) : اذْتَكَرَ بِوَزْنِ افْتَعَلَ ، مِنَ الذِّكْرِ ، قُلِبَتْ فيهِ التَّاءُ دالاً ، وَقُلِبَتِ الذَّالُ دالاً وأُدْغِمَتْ في الدَّالِ فأَصْبَحَتْ : ادَّكَرَ .

* * *

الدَّرْسُ العاشِرُ

سورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ العاشِرُ

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- سَبْعَ سِنينَ دَأَبا : سَبْعَ سِنينَ مُتتالِيَةً .
- فَذَروهُ : فاتْرُكوهُ .
- تُحْصِنونَ : تَدَّخِرونَ .
- يُغاثُ النَّاسُ : يُغيثُهُمْ رَبُّهُمْ بالأَمْطارِ فَتُخْصِبُ أَراضيهِمْ .
- يَعْصِرونَ : يَعْصِرونَ الثِّمارَ لاسْتِخراجِ زَيْتِها وَشَرابِها .
- ما خَطْبُكُنَّ : ما شَأْنُكُنَّ .
- حَصْحَصَ الحَقُّ : ظَهَرَ بَعْدَ خَفائِهِ .

التفسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمةِ الإِخْبارُ عَنْ تأْويلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِرُؤْيا المَلِك وما تَبعَ ذَلِكَ مِنْ ثُبوتِ بَراءَتِه ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

بَعْدَ أَنْ قَصَّ السّاقي على يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ رُؤْيا المَلِكِ شَرعَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ في تأْويلِها ، وَلَمْ يَطْلُبْ أَجْراً أَوْ مُكافَأَةً على ذَلِكَ ، كَما لَمْ يَطْلُبْ إِخْبارَ المَلِكِ بِحالِهِ فَقالَ : إِنَّكُمْ سَتَزْرَعُونَ أَرْضَكُمْ في السِّنينِ السَّبْعِ القادِمَةِ زِراعَةً مُسْتَمِرَّةً كعادَتِكُمْ ، فَما حَصَدْتُمْ مِنْهُ فاتْرُكوهُ في سُنبُلِهِ لِئَلاَّ يَفْسُدَ وَيَتْلَفَ بِسَبَبِ السُّوسِ وَغَيْرِه ، وَلا تَسْتَعْمِلوا مِنْ هذا الحَبِّ إِلاَّ شَيْئاً قليلاً ، وَهُوَ المِقْدارُ الَّذي تَحْتاجونَ إِلَيْهِ في مأْكَلِكُمْ .

وفي هذا الكَلامِ إِرْشادٌ لَهُمْ أَنْ يَقْتَصِدوا في اسْتِهْلاكِهِمُ القَمْحَ إلى أَقْصى حَدٍّ مُمْكِنٍ لِما في ذَلِكَ مِنَ المَصْلَحَةِ ، وإِرْشادٌ لِوَسيلَةِ حِفْظِ القَمْحِ مِنْ أَنْ يأْكُلَهُ السُّوسُ والحَشَراتُ وَذَلِكَ بإِبقائِهِ في سُنْبُلِه .

﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

ثُمَّ يَأْتي مِنْ بَعْدِ تِلْكَ السِّنينِ السَّبْعِ المُثْمِراتِ سَبْعُ سِنينَ صِعابٌ ، لِما فِيهِنَّ مِنَ القَحْطِ والجَدْبِ ، تَأْكُلونَ فيها كُلَّ ما ادَّخَرْتُموهُ في السَّنَواتِ السَّبْعِ المُتَقَدِّمَةِ ، إِلاَّ مِقْداراً يَسيراً ، وَهُوَ ما أَبْقَيْتُموهُ وادَّخَرْتُموهُ لِتَزْرَعوهُ في أَرْضِكُمْ .

وبِهذا يَكونُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ قَدْ بَيَّنَ أَنَّ المُرادَ بالبَقَراتِ السِّمانِ وبالسُّنْبُلاتِ الخُضْرِ السِّنونَ السَّبْعُ الخِصْبَةُ ، وأَنَّ المُرادَ بِالبَقَراتِ العِجافِ وبالسُّنْبُلاتِ اليابِساتِ السِّنونَ السَّبْعُ المُجْدِبَةُ الَّتي تَأْتي بَعْدَها ، وأَنَّ المُرادَ بأَكْلِ البَقَراتِ العِجافِ لِلْبَقَراتِ السِّمانِ إِفْناءُ ما ادَّخَروهُ مِنْ قُوتٍ خِلالَ هذهِ السَّنَواتِ المُجْدِبَةِ إِلاَّ ما يُبْقونَهُ لِيَزْرَعوهُ ، كَما اسْتَدَلَّ على تَخْصيصِ زِراعَةِ القَمْحِ بالسُّنْبُلاتِ .

وتُشيرُ الآيَةُ الكَريمةُ إلى أَنَّ أَفْضَلَ طَريقَةٍ لِحِفْظِ القَمْحِ مُدَّةً طويلةً بَعيداً عَنِ التَّلَفِ والآفاتِ مُحْتَفِظاً بِمُحْتوياتِهِ الغِذائيَّةِ كامِلَةً هي إبقاؤُهُ في سَنابِلِهِ ، وهذهِ المَعْلومَةُ لَمْ يُتَوَصَّلْ إِلَيْها إِلاَّ حَديثاً ، فَسُبْحانَ مُنْزِلِ الكتابِ ، العَليمِ بِكُلِّ شَيءٍ .

﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

لَمْ يَكْتَفِ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِتَعْبيرِ الرُّؤْيا ، بَلْ أَضافَ إلى ذَلِكَ التَّبْشيرَ بِحُصولِ الغَوْثِ والفَرَجِ

بَعْدَ السَّنواتِ السَّبْعِ المُجْدِبَةِ حتَّى يَعُمَّ الرَّخاءُ بَعْدَ الضِّيقِ ، وتَخْضَرَّ الأَرْضُ بَعْدَ جَفافِها ، وتُخْرِجُ خَيْراتِها بِصورَةٍ كَثيفَةٍ حتَّى إنَّهُمْ يَعْصُرونَ مِنَ الثِّمارِ ما مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُعْصَرَ كالزَّيْتونِ والسِّمْسِمِ والعِنَبِ وَقَصَبِ السُّكَّرِ .

وهذهِ الزِّيادَةُ مِنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إشارَةٌ إلى أَنَّ عِلْمَهُ بِتَأْويلِ الرُّؤى إنَّما هُوَ بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ لَهُ ، وأنَّ العِلْمَ الَّذي عِنْدَهُ يَفوقُ ما عِنْدَ غَيْرِهِ مِنْ عامَّةِ الناسِ .

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

لمَّا سَمِعَ المَلِكُ تَأْويلَ رُؤْياهُ طَلَبَ مِنْ رِجالِهِ أَنْ يُحْضِروا لَهُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِيَراهُ ويَسْمَعَ مِنْهُ ، فلمَّا جاءَ رسولُ المَلِكِ إلى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وأَخْبَرَهُ بِرَغْبَةِ المَلِكِ لِقاءَهُ ، طَلَبَ مِنْ هذا الرَّسولِ أَنْ يَرْجِعَ إلى سَيِّدِهِ المَلِكِ ، وأَنْ يَسْأَلُهُ عَنْ شَأْنِ النِّسْوَةِ الّلاتي حَضَرْنَ وَليمَةَ امْرَأَةِ العزيزِ وَجَرحْنَ أَيْدِيَهُنَّ في تِلْكَ الوليمةِ ، وهذا يَعْني الاستماعَ إلى شَهادَتِهِنَّ ، فإنَّهُنَّ سَمِعْنَ امْرَأَةَ العزيزِ وَهِيَ تَقُولُ (ولَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ) ، وَفَتْحَ مَلَفِّ القَضِيَّةِ مِنْ جَديدٍ .

واكْتَفى يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِوَصْفِ النِّسْوَةِ بِأَنَّهُنَّ (الّلاتي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) دُونَ وَصْفِهِنَّ بالكَيْدِ والمَكْرِ تَرَفُّعاً مِنْهُ عَنْ ذِكْرِهِنَّ بما يَسوءُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ مَعَهُنَّ امْرَأَةَ العَزيزِ احْتِرازاً مِنْ مَكْرِها وَوَفاءً لِزَوْجِها ، كما اكْتَفى يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ ذَلِكَ بالإشارةِ إلى كَيْدِهِنَّ بالإجْمالِ مَعَ تَفْويضِ العِلْمِ بِهِ إلى اللهِ تَعالى فَقالَ : (إنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عليمٌ) .

وكانَ هَذا المَوْقِفُ مِنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِرَفْضِ الخُروجِ مِنَ السِّجْنِ حَتَّى تَظْهَرَ بَراءَتُهُ حِكْمَةً عَظيمَةً مِنْهُ ، فَلَوْ خَرَجَ فَوْراً لَحاوَلَ الحاقِدونَ تَشْويهَ صُورَتِهِ وَلَمْزَهُ بما حَصَلَ واتِّهامَهُ بما هُوَ بَريءٌ مِنْهُ ، وَقَدِ امْتَدَحَ رسولُ اللهِ ﷺ صَبْرَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السلامُ وأَناتَهُ وعُلُوَّ هِمَّتِهِ فقالَ : « لَوْ لَبِثْتُ في السِّجْنِ ما لَبِثَ يُوسُفُ لأَجَبْتُ الدّاعي » .

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

جَمَعَ المَلِكُ النِّسْوَةَ وامْرَأَةَ العَزيزِ وسَأَلَهُنَّ عَنْ شَأْنِهِنَّ حِينَ حاوَلْنَ إغْراءَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ورَغَّبْنَهُ بِطاعَةِ امْرَأَةِ العَزيزِ ، فَقُلْنَ : مَعاذَ اللهِ أَنْ يَكونَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ أرادَ سُوءاً أَوِ اقْتَرَفَ مَعْصِيَةً ، وَما عَلِمْنا مِنْهُ إلاَّ التَّرَفُّعَ عَنِ السُّوءِ .

أَمَّا امْرَأَةُ العَزيزِ فَقَدْ بادَرَتْ إلى الاعْتِرافِ بما حَصَلَ مِنْها ، وأَعْلَنَتْ ظُهورَ الحَقِّ وانْكِشافَهُ بَعْدَ أَنْ كانَ خافِيا ، وبَراءَةَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَصِدْقَهُ في نَفْيِ التُّهْمَةِ عَنْ نَفْسِهِ .

وَبِهذا الاعْتِرافِ مِنَ امْرَأَةِ العَزيزِ وَمِنَ النِّسْوَةِ ثَبَتَتْ بَراءَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَطْعاً مِمَّا اتُّهِمَ بِهِ وأُدْخِلَ بِسَبَبِهِ السِّجْنَ .

﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

هذا مِنْ كلامِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَقَّبَ بهِ على اعْتِرافِ زَوْجَةِ العَزيزِ قائِلاً : هذا الّذي أَرَدْتُ ظُهورَهُ وبَيانَهُ لِيَعْلَمَ زَوْجُها الّذي أَحْسَنَ إِلَيَّ وأَكْرَمَني في دارِهِ أَنّي لَمْ أَخُنْهُ في زَوْجَتِهِ ، وَهُوَ غائِبٌ ، فاللهُ لا يُوفِّقُ الخائِنينَ في كَيْدِهِمْ وَمَكْرِهِمْ .

﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾

وَيُواصِلُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ كَلامَهُ فيقولُ : إِنّي لا أُبَرِّئُ نَفْسي وَلاَ أُنَزِّهُها فالنَّفْسُ البَشَرِيَّةُ تَأْمُرُ صاحِبَها بالسُّوءِ مِراراً وتَكراراً إلا مَنْ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ أَصْحابِ النُّفوسِ الطَّاهِرَةِ الطَّيِّبَةِ ، إِنَّ رَبّي كَثيرُ الرَّحْمَةِ والغُفْرانِ لِعِبادِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ بَعْضُ النَّاسِ أُعطوا العِلْمَ بتَأْويلِ الرُّؤى ، وأَصْدَقُهُمْ في ذَلِكَ الأَنبياءُ .

٢ـ لِلْعِلْمِ بما يُطْلِعُ اللهُ عَلَيْهِ عِبادَهُ مِنَ الغَيْبِ فَوائِدُ جَمَّةٌ ، فَعِلْمُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بما أَطْلَعَ عَلَيْهِ المَلِكَ جَعَلَهُ يُخَطِّطُ لِمُواجَهَةِ القَحْطِ الآتي .

٣ـ الحِرْصُ على تَبْرِئَةِ المَرْءِ نَفْسَهُ مِمَّا يَرْميهِ بِهِ أَهْلُ السُّوءِ .

٤ـ إِكْرامُ اللهِ لأَنْبِيائِهِ مِما يُعْلي مَكانَتَهُم ويَكْشِفُ عَنْهُمُ السُّوءَ ويُمَكِّنُ لَهُمْ في الأَرْضِ .

٥ـ الإشارَةُ إلى أَنَّ حِفْظَ القَمْحِ مُدَّةً طويلَةً إِنَّما يَكونُ بِإِبْقائِهِ في سُنْبُلِهِ ، وَهذِهِ حقيقَةٌ عِلْمِيَّةٌ ذَكَرَتْها الآيَةُ قَبْلَ اكْتِشافِها بِقُرونٍ .

٦ـ إِفادَةُ السَّائِلِ بِأَكْثَرَ مِمَّا سَأَلَ عَنْهُ .

٧ـ فَضيلَةُ الحِلْمِ والأَناةِ ، وَعَدَمُ التَسَرُّعِ في الأُمورِ .

٨ـ فَضيلَةُ الاعْتِرافِ بالذَّنْبِ ، وقَوْلِ الحَقِّ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بماذا فَسَّرَ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ رؤيا المَلِكِ ؟

٢ـ لِماذا أمَرَهُمْ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ بإبقاءِ القَمْحِ في سُنْبُلِهِ ؟

٣ـ ماذا أضافَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى تَأْويلِ الرُّؤيا ؟ ولِماذا ؟

٤ـ لِماذا رَفَضَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ الخُروجَ مِنَ السِّجْنِ ؟

٥ـ ماذا طَلَبَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ رَسولِ المَلِكِ أنْ يُبَلِّغَهُ ؟

٦ـ ماذا قالَتِ امْرَأَةُ العَزيزِ في مَجْلِسِ المَلِكِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما تَفْهَمُ مِنْ حَديثِ رَسولِ اللهِ ﷺ الوارِدِ في نِهايةِ تَفْسيرِ الآيةِ (٥٠) .

٢ـ لَخِّصْ في دَفْتَرِكَ أَحْداثَ المَشْهدِ الثّاني مِنْ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ حتَّى خُروجِهِ مِنَ السِّجْنِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الحادي عَشَرَ

سورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِي : أجعلْهُ مُسْتَشاراً خاصّاً لِي .

مَكِينٌ : ذُو مَكانَةٍ عالِيَةٍ .

يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا : يَنْزِلُ وَيَحِلُّ حَيْثُ يَشاءُ .

وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ : لا يَعْرِفُونَهُ .

جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ : أَعْطاهُمْ ما جاؤوا لأَجْلِهِ مِنَ الطَّعامِ .

التفسيرُ :

بَعْدَ أَنِ اعْتَرَفَتِ امْرَأَةُ العَزيزِ بِما صَدَرَ عَنْها وأَقَرَّتْ بِخَطَئِها تَغَيَّرَ مَجْرى الأَحداثِ ، وانْتَقَلَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ السِّجْنِ إلى تَوَلِّي خَزائِنِ مِصْرَ . قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

لَمَّا ظَهَرَتْ لِلْمَلِكِ بَراءَةُ يُوسُفَ وعِفَّتُهُ ، كما ظَهَرَتْ لَهُ قُدْرَتُهُ في تَأْويلِ الرُّؤَى ، وقُدْرَتُهُ على

التَّخْطيطِ لِمُواجَهَةِ الصِّعابِ الَّتي تُحيطُ بالأُمَّةِ ، طَلَبَ أَنْ يُحْضِروا لَهُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ السِّجْنِ ، لِيكونَ مُسْتَشاراً خاصّاً بِهِ يُعينُهُ على تَصْريفِ أُمورِ الحُكْمِ وَتَسْييرِها . ويُلْحَظُ ما في هذه الآيَةِ الكَريمةِ مِنْ زِيادَةٍ على الآيَةِ السّابِقَةِ الَّتي طَلَبَ فيها المَلِكُ إحْضارَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَهُوَ هُنا يُريدُ اسْتِخْلاصَهُ لِنَفْسِهِ ، بَعْدَ أَنَّ ثَبَتَتْ لَهُ أمانَتُهُ وَصَبْرُهُ وعِفَّتُهُ وسُمُوُّهُ . واسْتَجابَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ لِطَلَبِ المَلِكِ بَعْدَ أَنْ تَيَقَّنَ مِنْ ثُبوتِ بَراءَتِهِ ، وَحَضَرَ إلى المَلِكِ ودارَ بَيْنَهُما حَديثٌ ازْدادَتْ مِنْ خِلالِهِ ثِقَةُ المَلِكِ بِهِ ، وإعْجابُهُ وتَقْديرُهُ لَهُ ، وأَبْلَغَهُ بِتَقْريبِهِ إلَيْهِ وأَنَّهُ مُنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ سَيكونُ صاحِبَ كَلِمَةٍ نافِذَةٍ ومَكانَةٍ عالِيَةٍ ومُؤْتَمناً على كُلِّ شَيْءٍ .

﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

طَلَبَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ المَلِكِ أَنْ يَكونَ مَسْؤولاً ومُتَصَرِّفاً في خَزائِنِ مِصْرَ ، يَتَوَلّى إدارَتَها وسِياسَةَ أُمورِها ، وذَلِكَ لِما كانَ يَعْلَمُهُ مِنْ حاجَةِ البِلادِ إلى حُسْنِ إدارَةِ هَذا الجانِبِ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ السَّنواتُ السَّبْعُ العِجافُ ، وأَكَّدَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مَقْدِرَتَهُ على القِيامِ بهذا الأَمْرِ بِقَوْلِهِ (إنّي حَفيظٌ) لَها مِنَ التَّبْذيرِ فَلا أَصْرِفُها في غَيْرِ مَصارِفِها (عَليمٌ) بِوَجْهِ التَّصَرُّفِ فيها .

وَلا تَعارُضَ بَيْنَ طَلَبِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ الوِلايَةَ هُنا ، وما وَرَدَ في الحَديثِ عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ مِنَ النَّهْيِ عَنْ طَلَبِ الوِلايَةِ بِقَوْلِهِ لِعَبْدِ الرَّحمنِ بنِ سَمُرَةَ : « يا عَبْدَ الرَّحْمنِ بن سَمُرَةَ لا تَسأَلِ الإمارَةَ ، فإنَّكَ إنْ أُوتيتَها عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إليْها ، وإنْ أُوتيتَها مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْها »[1] . فإنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِعِلْمِهِ بِمَقْدِرَتِهِ على القِيامِ بالأَمْرِ ، وَعَدمِ قُدْرَةِ غَيْرِهِ على ذَلِكَ ، فَلَمْ يَطْلُبِ الوِلايَةَ لِذاتِها أَوْ تَحْصيلِ شَرَفٍ بِها ، بَلْ لِلْقِيامِ بِمُتَطَلَّباتِ الإمارَةِ وإمْضاءِ أَحْكامِ اللهِ تَعالى والعَدْلِ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

وكما أَنْعَمْنا على يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَنَجَّيْناهُ مِنَ المِحَنِ السّابِقَةِ ، جَعَلْنا لَهُ مَكانَةً وَسُلْطَةً في الأَرْضِ ، وَهَيَّأْنا لَهُ أَنْ يَنْتَقِلَ بَيْنَ المَنازِلِ والأَماكِنِ كَما يَشاءُ ، دُونَ أَنْ يَمْنَعَهُ مانِعٌ بَعْدَ أَنْ كانَ سَجيناً مَحْصوراً في مَكانٍ ضَيِّقٍ ، وذَلِكَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى وَفَضْلِهِ وإنْعامِهِ ، فإنَّهُ سُبْحانَهُ يُوفي المُحْسِنينَ أَجْرَهُمْ على إحْسانِهِمْ وَيُضاعِفُهُ لَهُمْ ولا يُضيعُ شَيْئاً مِنْ أَجْرِهِمْ ، ويُعَجِّلُ لَهُمْ جانِباً مِنْ ذَلِكَ في الدُّنْيا .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان والنذور ، رقم الحديث ٦١٣٢ ، ورواه مسلم في كتاب الإيمان ، رقم الحديث ٣١٢٠ .

﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

وَلَثوابُ الآخِرَةِ أَفْضَلُ مِنْ ثَوابِ الدُّنْيا حَيْثُ يَجْزِيهُمْ سُبْحانَهُ بالنَّعيمِ الدَّائمِ ، والخُلودِ المُقيمِ ، وَذلِكَ لِلَّذينَ آمَنوا وَصَدَّقوا بوَحْدانيةِ اللهِ واتَّقَوْا الشِّرْكَ والمُحَرَّماتِ .

﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

تَحَقَّقَتْ رُؤْيا مَلِكِ مِصْرَ وأَدارَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ أُمورَ النَّاسِ في سَنواتِ الخِصْبِ السَّبْعِ أَحْسَنَ إدارةٍ ، حَتَّى إذا دَخلَتِ السَّنَواتُ العِجافُ كانَ مُحْتاطاً لَها مُطْمَئِنّاً لِوُجودِ الطَّعامِ في خَزائِنِهِ بما يَكْفي ، وَعَمَّ القَحْطُ البلادَ المُجاوِرَةَ ، وحَضَرَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى مِصْرَ يَطْلُبونَ الطَّعامَ لِما أَصابَهُمْ مِنْ جَدْبٍ وَقَحْطٍ ، فَدَخَلُوا على يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِيَطْلُبوا مِنْهُ ما يُريدونَ فَعَرَفَهُمْ ، أَمَّا هُمْ فَلَمْ يَعْرِفوه لِطُولِ المُدَّةِ الَّتي فارَقَهُم فيها ، ولأنَّهُ فارَقَهُم وهُوَ صَغيرٌ وَقَدْ تَغَيَّرَتِ الآنَ مَلامِحُهُ ، ولِظَنِّهِمْ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ ، ولِتَغَيُّرِ الحالِ الَّتي فارَقُهم فيها عَنِ الحالِ الَّتي هُوَ الآنَ عَلَيْها .

﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

أَكْرَمَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ وِفادَةَ إخْوَتِهِ وعامَلَهُمْ مُعامَلَةً طَيِّبَةً وَزَوَّدَهُمْ بما يَحْتاجونَ إِلَيْهِ مِنْ طَعامٍ وَزادٍ لِسَفَرِهِمْ ، وأَعْطاهُمْ ما جاؤُوا لأَجْلِهِ مِنْ قَمْحٍ وَحُبوبٍ ، ودارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُم حديْثٌ أَعْلَموهُ مِنْ خِلالِهِ أَنَّهُمْ أبناءُ نَبيٍّ ، وأَنَّ لَهُم أخاً مِنْ أَبيهِمْ وهُو بنيامينَ بَقِيَ عِنْدَهُ ، فَطَلَبَ مِنْهُم إحْضارَ أَخيهِمْ هذا مَعَهُمْ في المَرَّةِ القادِمَةِ حتَّى يَتأَكَّد مِنْ صِدْقِ كلامِهِمْ ، وحتَّى يُعْطِيَهُ حَقَّهُ مِنَ الطَّعامِ ، بَعْدَ أَنْ يَراهُ ويَطْمَئِنَّ إلى وُجودِهِ ، وقالَ لَهُمْ : لَعَلَّكُم عَرَفْتُمْ كَيْفَ أَنّي أُعْطِي الكَيْلَ وافِياً لَكُمْ وَلِكُلِّ النَّاسِ بالعَدْلِ ، وأَنّي أَفْضَلُ المُكْرِمينَ لِضُيوفِهِ .

﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ ﴾

فإنْ لَمْ تَأْتُوا مَعَكَمْ بأَخيكُمْ مِنْ أَبيكُمْ في المَرَّةِ القادِمَةِ فلا طَعامَ لَكُمْ عِنْدي أَبيعُهُ لَكُمْ ، ولا تَدْخُلوا بِلادي مَرَّةً أُخْرى .

فَيُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ سَيَحْتاجُونَ إلى الطَّعامِ مَرَّةً أُخْرى ، وأَنَّهُمْ سَيأْتُونَهُ ، وَذلِكَ لِطُولِ مُدَّةِ القَحْطِ وَلِعَدمِ كِفايَةِ ما أَخَذوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ حُسْنُ الحَديثِ والحِكْمَةُ فيهِ بابٌ مِنْ أبوابِ الخَيْرِ والوُصولِ إلى المُرادِ .

٢ـ جَوازُ طَلَبِ تَوَلِّي الإمارَةِ مِمَّنْ آنَسَ في نَفْسِهِ القُدْرَةَ على ذَلِكَ دُونَ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ .

٣ـ حُسْنُ عاقِبَةِ الإحْسانِ في الدُّنيا والآخِرَةِ .

٤ـ اسْتِعْمالُ التَّرْغيبِ والتَّرْهيبِ لِحَمْلِ المُخاطَبِ على فِعْلِ الشَّيْءِ المُرادِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا زادَ المَلِكُ على عِبارَتِهِ في طَلَبِ إحْضارِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ قولَهُ (أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسي) ؟

٢ـ ماذا طَلَبَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ المَلِكِ ؟

٣ـ بماذا أكَّدَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ طَلَبَهُ الوِلايةَ على خَزائِنِ مِصْرَ ؟

٤ـ لماذا ذَهَبَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى مِصْرَ ؟

٥ـ كَيْفَ عَرَفَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ إخْوَتَهُ ؟ وَلِماذا لَمْ يَتَعَرَّفوا هُمْ عَلَيْهِ ؟

٦ـ ما الأُسْلوبُ الّذي اتَّبَعَهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَ إخْوَتِهِ لِيُحْضِروا مَعَهُمْ أَخاهُ بنيامينَ في المَرَّةِ القادِمَةِ ؟

٧ـ كَيْفَ عَرَفَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّ إخْوَتَهُ سَيعودونَ إليْهِ مَرَّةً أُخْرَى ؟

* * *

الدَّرْسُ الثَّاني عَشَرَ

سورَةُ يوسُفَ - القِسْمُ الثَّاني عَشَرَ

قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **سَنُراوِدُ عَنْهُ أَباهُ** : سَنَحْتالُ على أَبيهِ وَنُفاوِضُهُ .
- **لِفِتْيانِهِ** : لِخَدَمِهِ .
- **بِضاعَتَهُم** : ثَمَنَ ما اشْتَرَوْهُ مِنْ طَعامٍ .
- **رِحالِهِمْ** : أَوْعِيَتِهِمُ الّتي فيها الطَّعامُ .
- **ما نَبْغي** : ما نَطْلُبُ مِنَ الإحْسانِ بَعْدَ ذَلِكَ .
- **ونَميرُ أَهْلَنا** : نَجْلِبُ لَهُمُ الطَّعامَ .

التَّفسيرُ :

في هَذِهِ الآياتِ الكَريمةِ مَشْهَدُ الإِخْوَةِ وَهُمْ يَتَحاوَرونَ مَعَ أَبيهِمْ ويَطْلُبونَ مِنْهُ إِرْسالَ أَخيهِمْ بِنيامينَ مَعَهُمْ إلى مِصْرَ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ طَلَبَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ إِخْوَتِهِ أَنْ يُحْضِروا مَعَهُم أَخاهُمْ مِنْ أَبيهِمْ في المَرَّةِ القادِمَةِ قالوا لَهُ : سَنَطْلُبُ حُضورَهُ مَعَنا مِنْ أَبيهِ بِرِفْقٍ وَلينٍ وَسَنَحْتالُ بِما نَسْتَطيعُ لإقْناعِهِ بذلكَ ، وأَكَّدوا عَزْمَهُم على ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ (وإنَّا لَفاعِلونَ) أيْ سَنَجْتَهِدُ في ذَلِكَ دُونَ كَلَلٍ ولا مَلَلٍ ، وهذا التَّأْكيدُ مِنْهُم يَدُلُّ على شُعورِهِمْ بِصُعوبَةِ إِقْناعِ أبيهِمْ أَنْ يُرْسِلَ مَعَهُمْ بنيامينَ .

﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

وَقَبْلَ أَنْ يُغادِرَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عائِدينَ إلى أبيهِمْ ، أَمَرَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ خَدَمَهُ أَنْ يَضَعوا لإخْوَتِهِ الأَثْمانَ الَّتي دَفَعوها مُقابِلَ ما أَخَذوهُ مِنْ طَعامٍ في أَوْعِيَتِهِمْ دُونَ أَنْ يَشْعروا ، وأرادَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ بذلكَ حَمْلَ إِخْوَتِهِ عَلَى الرُّجوعِ إليهِ مَرَّةً أُخْرى وَبِرِفْقَتِهِمْ أَخوهُ الشَّقيقُ بنيامينُ ، حَيْثُ إِنَّهُمْ لَنْ يَكْتَشِفوا وُجودَ الأثمانِ في أَمْتِعَتِهِمْ إِلاَّ بَعْدَ أَنْ يَعودوا إلى دِيارِهِمْ ، ولأَنَّهُمْ لا يَقْبَلونَ على أنْفُسِهِمْ أَخْذَ الطَّعامِ دُونَ أَداءِ ثَمَنِهِ .

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

انْطَلَقَ الإِخْوَةُ عائِدينَ إلى بِلادِهِمْ ، ولَمَّا وَصَلوا سارَعوا إلى إِخْبارِ أَبيهِمْ بِما حَصَلَ مَعَهُم ، وأَنَّ عَزيزَ مِصْرَ سَيَمْنَعُ عَنْهُمُ الطَّعامَ والكَيْلَ في المُسْتَقْبَلِ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَخوهُمْ بنيامينُ في رِفْقَتِهِمْ ، فَهُمْ مُضْطَرّونَ لأَخْذِهِ مَعَهُم لِيُوفوا بِعَهْدِهِم مَعَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَلِيَتَمَكَّنوا مِنْ جَلْبِ الطَّعامِ مِنْ عِنْدِهِ ، وتَعَهَّدوا لأَبيهِمْ أَنْ يُحافِظوا على أَخيهِمْ حِفْظاً تامّاً مِنْ أَنْ يُصيبَهُ أَيُّ مَكْروهٍ أَوْ سُوءٍ .

﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

قالَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ مُجيباً لأَبْنائِهِ : لَمْ يَحْدُثْ مِنْكُمْ ما يَقْتَضي الاطْمِئْنانَ على وُعودِكُمْ ، وَقَدْ سَبَقَ أَنْ وَعَدْتُموني مِنْ قَبْلُ بالمُحافَظَةِ عَلَى أَخيكُمْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَلَمْ تَفُوا بِوَعْدِكُمْ وَزَعَمْتُمْ أَنَّ الذِّئْبَ أَكَلَهُ ، فَهَلْ تُريدونَ أَنْ أَأْتَمِنَكُمْ عَلى بنيامينَ كَما ائْتَمَنْتُكُمْ على أَخيكُمْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ قَبْلُ فكانَتِ النَّتيجَةُ الَّتي تَعْرِفونَها ، فَأَنا لا أَثِقُ بِوُعودِكُمْ بَعْدَ ما حَصَلَ مَعَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وإِنَّما أَثِقُ بِحِفْظِ اللهِ وَرِعايَتِهِ ، فاللهُ خَيْرٌ مِنْكُمْ وَمِنْ سِواكُمْ حافِظاً ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمينَ ، وَلِذا فإِنِّي أُفَوِّضُ أَمْرَ حِفْظِهِ إلى اللهِ سُبْحانَهُ فَهُوَ لَنْ يُضَيِّعَهُ .

وَسَيَرُدُّهُ لِي سالِماً ، هذا الكلامُ مِنْ يَعقوبَ توكُّلٌ على اللهِ وتَسْليمٌ لهُ ولأمْرِهِ سُبْحانَهُ .

﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنِ اطْمَأَنَّ الأَبْناءُ إلى مُوافقَةِ أبيهِمْ على إرْسالِ بِنيامينَ مَعَهُمْ إلى مِصْرَ في المَرَّةِ القادِمَةِ ، اتَّجهوا إلى مَتاعِهِمْ ، لِيُفَرِّغوا ما فيهِ مِنْ زادٍ وَطعامٍ ، وَفُوجِئُوا بِأَثْمانِ هذا الطَّعامِ مَوْجودةً في أَوْعِيَتِهِمْ ، فقالوا لأَبيهِمْ وَقَدْ أصابَتْهُمُ الدَّهْشَةُ : يا أبانا ماذا نَطْلُبُ مِنَ الإحْسانِ والكَرَمِ أَكْثَرَ مِنْ هذا الَّذي فَعَلَهُ عَزيزُ مِصْرَ ؟ لَقَدْ أعطانا الطَّعامَ وَرَدَّ عَلَيْنا ثَمَنَهُ دونَ أَنْ يُعْلِمَنا بِذَلكَ ، ونَحْنُ سَنَشْتَري بهذا المالِ الطَّعامَ مَرَّةً أُخْرى ، وَسَنصْطَحِبُ مَعَنا أخانا وَنَحْفَظُهُ مِنْ كُلِّ مَكْروهٍ ، ونَحْصُلُ بِسَبَبِ وُجودِ أخينا مَعَنا على حِمْلِ بَعيرٍ زائِدٍ ، فإنَّ عَزيزَ مِصْرَ يُعْطي مِنَ الطَّعامِ على عَدَدِ مَنْ يَأْتيهِ ، وإنَّ الزَّادَ الَّذي أَتَينا بِهِ مَعَنا شيءٌ يَسيرٌ ، ولا يَكْفينا إلاَّ مُدةً مَحْدودةً ، وَيَجِبُ أَنْ نَعودَ إليهِ مَرَّةً أُخْرى لِنُحْضِرَ طَعاماً آخَرَ .

وَبِهذا يَكونُ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَدْ ذَكَروا أَكْثَرَ مِنْ أَمْرٍ يَسْتَدْعي ذَهابَ أَخيهِمْ بِنيامينَ مَعَهُمْ ، وتَعَهَّدوا مَرَّةً أُخْرى بالمُحافَظَةِ عَلَيْهِ وإعادَتِهِ مَعَهُمْ سالِماً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ العَلاقَةُ بَيْنَ بِلادِ الشَّامِ وَمِصْرَ كانَتْ مَوْجودَةً مُنْذُ أَمَدٍ بَعيدٍ .

٢ـ كانَ القَمْحُ سِلْعَةً تِجاريَّةً يَحتاجُ النَّاسُ إِلَيْها في مُخْتَلَفِ البِلادِ .

٣ـ قَناعَةُ المَرْءِ بالأَمْرِ تَجْعَلُهُ أَكْثَرَ رَغْبَةً في إِقْناعِ الآخَرينَ بِهِ .

٤ـ اتِّباعُ الوَسائِلِ المُتَعدِّدَةِ لِلتَّأْثيرِ في الآخَرينَ ما دامتْ هذه الوَسائِلُ مَشْروعَةً .

٥ـ تَجْرِبَةُ الإنْسانِ في أَمْرٍ ما تُؤَدّي إلى الحُكْمِ المُسْبَقِ عَلَيْهِ في مَرَّةٍ قادِمَةٍ .

٦ـ يَقينُ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَتَوَكُّلُهُ على اللهِ وَتَسْليمُهُ الأَمْرَ لَهُ .



التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بماذا أجابَ الإِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيهِ السَّلامُ عِنْدما طَلَبَ مِنْهُم إحْضار بِنيامينَ مَعَهُمْ في المَرَّةِ القادِمَةِ ؟

٢ـ ماذا فَعَلَ يُوسُفُ عَلَيهِ السَّلامُ لِيَحْمِلَ إِخْوَتَهُ على العَوْدَةِ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرى ؟

٣ـ بَيِّنِ الوَسائِلَ الَّتي حاوَلَ فيها إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إِقْناعَ أَبيهِمْ بإرسالِ أَخيهِمْ مَعَهُمْ .

٤ـ بِماذا أجابَ يَعْقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَبْناءَهُ على طَلَبِهِمْ ؟

٥ـ بَيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمَّا يَلي :

أـ قالوا سَنُراوِدُ عَنْهُ أَباهُ .

ب ـ لَعَلَّهُم يَرْجِعونَ .

ج ـ مُنِعَ مِنَّا الكَيْلُ .

د ـ ما نَبْغي .

هـ ـ وَنَميرُ أَهْلَنا .

و ـ وَنَزْدادُ كَيْلَ بَعيرٍ .

ز ـ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسيرٌ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الثَّالِثَ عَشَرَ

سورة يوسف ـ القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ

قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **حَتَّى تُؤْتونِ مَوْثِقاً** : حَتّى تُعطوني عَهْداً مُؤَكَّداً بالقَسَمِ باللهِ .
- **يُحاطَ بِكُمْ** : تَهْلِكوا جَميعاً .
- **وكيلٌ** : مُطَّلِعٌ .
- **آوى إلَيْهِ أخاهُ** : ضَمَّهُ إليْهِ .
- **فَلا تَبْتَئِسْ** : فلا تَأْسَفْ ولا تَحْزَنِ .

التفسيرُ :

في آياتِ هذا الدَّرْسِ ذِكْرٌ لِعَزْمِ إخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ على الرَّحيلِ إليهِ مَرَّةً أُخرى وَقَدْ أَعطَوْا لأَبيهِمْ أَغْلَظَ المَواثيقِ أَنْ يُحافِظوا على أَخيهِمْ بنيامينَ ، وفيها وَصِيَّةُ أبيهِمْ بالاحْتِراسِ والانْتِباهِ كَيْلا يُصيبَهُمْ مَكْروهٌ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

قالَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ لأَبْنائِهِ : لَنْ أُرْسِلَ بنيامينَ مَعَكُمْ كما طَلَبْتُم حتَّى تُقْسِموا لي باللهِ عَهْداً مُؤَكَّداً على أَنَّكُمْ ستعودونَ بهِ مَعَكُمْ ، إلاَّ إذا هلَكْتُمْ جميعاً أَوْ غُلِبْتُمْ عَلَيْهِ بأَمْرٍ فَوْقَ طاقَتِكُمْ .

فَأَقْسَمَ أَبْناءُ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَهُ على ما أَرادَ وأَعْطَوْهُ العُهودَ والمَواثيقَ أَنْ يُحافِظوا على أَخيهِمْ ، فَقالَ لَهُمْ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ ذَلِكَ : تَذَكَّروا أَنَّ اللهَ تَعالى مُطَّلِعٌ ورَقيبٌ على كَلامِكُمْ وحالِكُمْ ، فَأَوْفوا بِما الْتَزَمْتُمْ بِهِ ولا تَنْقضوهُ فتعرَّضوا أَنْفُسَكُمْ لِعقابِ اللهِ تَعالى .

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

وَأَوْصى يعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَبْناءَهُ إذا وَصَلوا مِصْرَ أَنْ لا يدْخُلوا المَدينةَ مِنْ بابٍ واحِدٍ بلْ أَنْ يَتفرَّقوا على الأَبْوابِ ، وَذَلِكَ خَوْفاً عَلَيْهِمْ مِنْ الحَسَدِ ، وَمِنْ أيِّ إيذاءٍ يُمْكِنُ أَنْ يَعْرِضَ لَهُمْ ، فَقَد كانوا أَحَدَ عَشَرَ أَخاً ذَوي هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ تَسْتَرْعي الانْتِباهَ ، وَلَعَلَّهُمْ تَجَمَّلوا في هَذِهِ المَرَّةِ مِنَ السَّابِقَةِ لِما عَلِموا مِنْ مَكانَتِهِمْ عِنْدَ العَزيزِ .

ثُمَّ بَيَّنَ لَهُمْ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّ هذهِ الوَصِيَّةَ وهذا التَّصرُّفَ ، وَهُوَ التَّفَرُّقُ على الأَبْوابِ ، لا يَرُدُّ القَدْرَ ، ولَكِنَّهُ أَخْذٌ بالأَسْبابِ المُعينَةِ على قَضاءِ المَصالِحِ ، وما الحُكْمُ إلاَّ للهِ وَحْدَهُ لا يُشارِكُهُ فيهِ أَحَدٌ ، ولا رادَّ لِقضائِهِ إذا وَقَعَ . عَلَيْهِ وَحْدَهُ سُبْحانَهُ كانَ توكُّلُ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَعَلَيْهِ وَحْدَهُ يَنْبَغي أَنْ يتوكَّلَ كُلُّ مُريدٍ لِلتَّوكُّلِ الحَقِّ .

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

أيْ أَنَّ الأَبْناءَ الْتَزموا وَصِيَّةَ أَبيهِمْ ، ودَخلوا مِنَ الأَبوابِ المُتَعَدِّدَةِ ، وإنَّ هذا التَّصرُّفَ مِنْهُم لا يَدْفَعُ عَنْهُمْ مِنْ قَدَرِ اللهِ تَعالى مِنْ شَيءٍ ، فَما أَرادَ اللهُ تعالى حُصولَهُ لابُدَّ وأَنْ يَحْصُلَ مَهْما احْتالَ الإِنْسانُ وحاولَ ، ولو أَرادَ اللهُ تعالى وُقوعَ أَمْرٍ بهم لَوَقَعَ سَواءٌ بَقوا مُجْتَمِعينَ أَوْ دَخلوا مُتَفرِّقينَ ، إلاَّ أَنَّ يعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ رَغِبَ لَهُم في أَنْ يأْخُذوا بِأَسْبابِ السَّلامةِ مَعَ شَديدِ حُبِّهِ لَهُم وَحِرْصِهِ عَلَيْهِم ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ فِعْلَهُمْ هَذا لا يَرُدُّ قَدَرَ اللهِ ، فَهُو ذو عِلْمٍ عَظيمٍ لما عَلَّمَهُ اللهُ تعالى إيَّاهُ ، ولكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ وَهُمْ غَيْرُ المُؤْمِنينَ لا يَعْلَمونَ أَنَّ الأَخْذَ بالأَسْبابِ لا يَتنافَى مَعَ التَّوكُّلِ على اللهِ ، وأَنَّ الحَذَرَ لا يُنْجي مِنَ القَدَرِ .

﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

وحين دَخَلَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلَيْهِ أكْرَمَ وِفادَتَهُمْ وأحْسَنَ ضِيافَتَهُمْ ، واخْتَلى بأَخيهِ بِنيامينَ دُونَ شُعور الباقينَ ، فعرَّفَهُ بنَفْسهِ وأَخْبَرَهُ بما فَعَلَهُ الإِخْوَةُ بِهِ وما حَصَلَ مَعَهُ ، وأوْصاهُ أَنْ لا يَغْتَمَّ لِذلكَ ، وأنْ لا يُطْلِعَهُمْ على ما أَطْلَعَهُ عَلَيْهِ ، وأَخْبَرَهُ أنَّهُ سَيُدبِّرُ أَمْرَ بقائِهِ عِنْدَهُ وإحْضارَ والِدِهِ بَعْدَ ذَلِكَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ جَوازُ أَخْذِ العَهْدِ المُؤَكَّدِ في الأُمورِ الهامَّةِ وَلَوْ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ .

٢ـ الحَذَرُ مِنَ العَيْنِ والحَسَدِ وَكَيْدِ الآخَرينَ ، واتِّخاذُ الأَسْبابِ المُعينةِ على دَفْعِ ذَلِكَ .

٣ـ اليَقينُ بأَنَّ الحَذَرَ لا يُنْجي مِنَ القَدَرِ ، وأَنَّ الأَخْذَ بالأَسْبابِ لا يُنافي التَّوَكُّلَ .

٤ـ مَشْروعيةُ كِتْمانِ ما يُخَطِّطُ لَهُ المَرْءُ مِنْ خَيْرٍ حَتَّى يَتَمَكَّنَ مِنْ إنفاذِهِ وإتْمامِهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماذا اشْتَرَطَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ على أَبْنائِهِ حتَّى يُرْسِلَ مَعَهُمْ أخاهُمْ بِنيامينَ ؟

٢ـ بماذا أَوْصَى يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَبْناءَهُ ؟

٣ـ ما فائِدَةُ دُخولِ الإِخْوَةِ مِنْ أبوابٍ مُتفرِّقَةٍ بَدَلاً مِنَ الدُّخولِ مِنْ بابٍ واحِدٍ ؟

٤ـ ماذا فَعَلَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَ أخيهِ بنيامينَ ؟ وبماذا أَوْصاهُ ؟

نَشاطٌ :

ـ مِنْ أَرْكانِ الإيمانِ ، الإيمانُ بالقَدَرِ ، اكْتُبْ حَديثاً شَريفاً يَدُلُّ على ذَلِكَ .

الدَّرسُ الرَّابعَ عشَرَ

سورةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الرَّابِعَ عشَرَ

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **السِّقايَةَ** : إناءً لِلشُّرْبِ وَيُتَّخَذُ لِلْكَيْلِ .
- **رَحْلِ أخيهِ** : أَثاثِهِ ومتاعِهِ .
- **أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ** : نادى مُنادٍ .
- **العيرُ** : القافِلَةُ .
- **صُواعَ** : الصّاعَ الّذي يُكالُ بِهِ الحُبوبُ .
- **زعيمٌ** : كَفيلٌ وَضامِنٌ .
- **كِدْنا لِيُوسُفَ** : دَبَّرنا وهَيَّأْنا لَهُ .
- **دِينِ المَلِكِ** : حُكْمِهِ وقانونِهِ .



التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ ذِكْرٌ لِلتَّدْبيرِ الَّذي دَبَّرَهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ لِيُبْقِيَ أَخاهُ عِنْدَهُ تَمْهيداً لإِتْمامِ ما يَقْصُدُهُ مِنْ جَمْعِ العائِلَةِ كُلِّها عِنْدَهُ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ عرَّفَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَخاهُ على نَفْسِهِ وأَوْصاهُ بِكِتْمانِ ذَلِكَ عَنْ باقي إِخْوَتِهِ ، تَمَّ تَجْهيزُ القافِلَةِ بما يَحْتاجونَ إِلَيْهِ مِنْ طَعامٍ وَزادٍ لِلطَّريقِ وَلوازِمَ لِلسَّفَرِ ، وفي أَثْناءِ ذَلِكَ أَمَرَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ فِتْيانَهُ أَنْ يُخْفوا الإِناءَ الَّذي كانَ يَكيلُ بِهِ في مَتاعِ أَخيهِ الصَّغيرِ بنيامينَ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِهِمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ نادى مُنادٍ على إِخْوةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُمْ يَتَجَهَّزونَ لِلرَّحيلِ : يا أَصْحابَ القافِلَةِ تَوَقَّفوا ولا تُغادِروا فَأَنْتُمْ مُتَّهمونَ بالسَّرِقَةِ ، وَوَقَعَ هذا النِّداءُ على نُفوسِهِمْ مَوْقِعاً عَظيماً ، فَهُوَ أَمْرٌ غَيْرُ مُتوقَّعٍ أَبَداً ، وَهُمْ يَعْلَمونَ يَقيناً أَنَّهُمْ لَمْ يَسْرِقوا ، ولِذا بادَروا بالسُّؤالِ :

﴿ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

قالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَقَدْ أَقْبَلوا عَلى مَنْ يُنادونَهُمْ ويَتَّهِمونَهُمْ بالسَّرِقَةِ : ماذا ضاعَ مِنْكُمْ حتَّى اتَّهَمْتُمونا بالسَّرِقَةِ ؟

﴿ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ ﴾

قالوا لَهُمْ : نَفْقِدُ الصَّاعَ الَّذي نَكيلُ بِهِ ، وَهُوَ الَّذي سَبَقَ تَسْمِيَتُهُ السِّقايَةَ ، ولابُدَّ أَنهُ كان نَفيساً ثَميناً حتَّى يَهْتَمَّ بِهِ هذا الاهْتِمامَ ، ويُتَّهَمَ القَوْمُ بِسَرِقَتِهِ بَعْدَ ضَياعِهِ ، هذا وَقَدْ وَعدوهُمْ بِجائِزَةٍ لِمَنْ يَأْتي بِهذا الصَّاعِ مِنْ تلقاءِ نَفْسِهِ دُونَ تَفْتيشٍ وَبَحْثٍ ، وهِيَ حِمْلُ بَعيرٍ مِنَ الطَّعامِ ، وَطَمْأَنَهُمُ المُنادي بِأَنَّهُ ضامِنٌ وَكَفيلٌ بِتَحْقيقِ هذا الوَعْدِ .

وإِنَّما قالَ هذا الكَلامَ لِيَحُثَّهُمْ على البَحْثِ عَنِ الصُّواعِ في أَمْتِعَتِهِم ، فَقَدْ يَكونُ قَدْ بَقِيَ فيها سَهْواً دونَ قَصْدٍ ، إلاَّ أَنَّ إِخْوَةَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ كانوا في غايَةِ الاطمِئْنانِ إلى بَراءَتِهِمْ ، ولِذا لَمْ يَبْحَثوا في مَتاعِهِمْ بَلْ سارَعوا إلى نَفْيِ التُّهْمَةِ عَنْهُم .

﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾

قالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِلمُنادي وَمَنْ مَعَهُ الَّذينَ اتَّهَموهُمْ بالسَّرِقَةِ : واللهِ قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ حالِنا

وعَلِمْتُمْ مِنْ سُلوكِنا أَنَّا ما جِئْنا إلى بِلادِكُمْ لِنُفْسِدَ فيها وَنَرْتَكِبَ مِنَ الأَعْمالِ ما لا يَليقُ ، وما كُنَّا لِنَسْرِقَ شَيْئاً مِنكُم وَقَدْ أَكْرَمْتُمونا وأَحْسَنْتُمْ إلَيْنا .

﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

قالَ المُنادي ومَنْ مَعَهُ مِنَ الفِتْيَةِ لإِخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ : إذاً فَما جزاءُ وعِقابُ مَنْ فَعَلَ هذا الفِعْلَ ، وَهُوَ سَرِقَةُ صُواعِ المَلِكِ في دينِكُمْ وشَريعَتِكُمْ ، إنْ وَجَدناهُ في مَتاعِ أَحَدِكُمْ وكُنْتُمْ كاذِبينَ في دَعْواكُمْ عَدَمَ السَّرِقَةِ وفي إنْكارِكُمْ لِلتُّهْمَةِ ؟

﴿ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

قالَ إخوةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِلمُنادي ومَنْ مَعَهُ : جَزاءُ مَنْ يُوجَدُ الصُّواعُ في رَحْلِهِ وَمَتاعِهِ أَنْ يُسْتَرَقَّ ، هذا حُكْمُ السّارِقِ في شَريعَتِنا وَهذا جَزاؤُهُ ، ثُمَّ أَكَّدوا الحُكْمَ مَرَّةً أُخْرى بِقَوْلِهِمْ : ومِثْلُ هذا الجَزاءِ نَجْزي الظَّالِمينَ الَّذينَ يَسْرِقونَ في شَريعَتِنا ويَظْلِمونَ غَيْرَهُمْ بِأَخْذِ أَمْوالِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ ، قالوا ذَلِكَ ثِقَةً بِبراءَتِهِمْ مِنْ هذهِ الجَريمَةِ ، وهُمْ لا يَعْلَمونَ ما دُبِّرَ لَهُمْ .

﴿ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

بَعْدَ هذهِ المُحاوَرةِ بَدَأَتْ عَمَليَّةُ البَحْثِ عَنِ الصُّواعِ ، وبَدَأَ المُؤَذِّنُ بالبَحْثِ في أَوْعِيَتِهِمْ ، فَلَمْ يَجِدْ فيها ما يَبْحَثُ عَنْهُ ، ولمَّا وَصَلَ في البحثِ إلى وِعاءِ بنيامينَ وَجَدَ الصُّواعَ فيهِ فاسْتَخْرَجَهُ مِنْهُ على مَرأىً مِنْهُمْ جميعاً .

وَلَنا أَنْ نَتَصَوَّرَ كَمْ كانتْ دَهْشَةُ إِخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وشُعورُهُمْ بالخِزْيِ والعارِ عِنْدَ رُؤْيَتِهِمْ ذلكَ ، وَقَدْ أَقْسَموا مِنْ قَبْلُ على بَراءَتِهِمْ ، وممَّا يَزيدُ في أَلَمِهِم وحَسْرَتِهِمْ اسْتِخْراجُ الصُّواعِ مِنْ رَحْلِ بنيامينَ الَّذي تَعَهَّدوا لأَبيهِمْ أَنْ يُعيدوهُ مَعَهُمْ .

ولاشَكَّ أَنَّ ما فَعَلَهُ المُؤَذِّنُ مِنْ نِداءٍ وحِوارٍ وَبَحْثٍ واسْتِخْراجٍ كانَ بِأَمْرِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَهُ ، وأَنَّه عَلَيْهِ السَّلامُ كانَ يُتابِعُ ما يَحْصُلُ ويُراقِبُهُ ، (كَذلكَ كِدنا لِيوسُفَ) أَيْ مِثْلُ هذا التَّدْبيرِ الحَكيمِ دَبَّرْناهُ مِنْ أَجْلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِيَصِلَ إلى مَقْصدِهِ وغايَتِهِ ، فما كانَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ يَسْتَطيعُ أَنْ يَحتَجِزَ أَخاهُ عِنْدَهُ لَوْ نَفَّذَ فيهِمْ حُكْمَ المَلِكِ ، وما كان يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ لِيَفْعَلَ كُلَّ هذا التَّدْبيرِ الحكيمِ إلاّ في حالِ مَشيئَةِ اللهِ ومَعونَتِهِ وإذْنِهِ بذلكَ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ الَّذي أَلْهَمَهُ أَنْ يَفْعَلَ ما فَعَلَ ، وأَنْ يَسْأَلَهُمْ عَنْ عُقوبَةِ السَّارِقِ في شَريعَتِهِمْ وأَنْ يُطَبِّقَها عَلَيْهِ ، وهُوَ سُبْحانَهُ يَرْفَعُ مَنْ يشاءُ مِنْ عِبادِهِ إلى

دَرَجاتٍ عاليةٍ مِنَ العُلومِ والحِكْمَةِ في التَّصرُّفِ ، ومَهْما وَصَلَ صاحِبُ العِلْمِ إلى دَرَجاتٍ عاليةٍ فيهِ ، فإنَّهُ يُوجَدُ مَنْ يَفوقُهُ في العِلْمِ ، فالبَشَرُ في العِلْمِ دَرجاتٌ ، ولا يُوجَدُ عالِمٌ إلاّ فَوْقَهُ عالِمٌ حتَّى يَنْتَهي إلى اللهِ عزَّ وَجَلَّ العليمِ الخَبيرِ بِكُلِّ شَيْءٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ جَوازُ فِعْلِ الشَّيءِ الّذي صَوَّرَتْهُ الحِيلَةُ لِلتَّوَصُّلِ إلى غَرَضٍ صَحيحٍ ، على أنْ لا يُخالِفَ في ذَلِكَ الشَّرْعَ .

٢ـ مَشْروعِيَّةُ إعْطاءِ المُكافَأَةِ لِمَنْ يَعْثُرُ عَلى شَيءٍ ضائِعٍ أَوْ يُقَدِّمُ خِدْمَةً لِغَيْرِهِ .

٣ـ مَشْروعِيَّةُ الكَفالَةِ كَما جاءَ في قَوْلِهِ تَعالى (وأَنا بِهِ زَعيمٌ) .

٤ـ المُبالَغَةُ في إخْفاءِ التَّدْبيرِ ، وَلِذا بَدَأَ التَّفْتيشُ في أَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعاءِ أَخيهِ .

٥ـ رِعايَةُ اللهِ تعالى لأَنْبيائِهِ وأَوْلِيائِهِ ، وَتَيْسيرُهُ الأُمورَ لَهُمْ لِيَصِلوا إلى ما يَشاءونَ .

٦ـ كانَ السَّارِقُ يُسْتَرَقُّ في شَريعَةِ إِسْرائيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ وبَنيهِ .

٧ـ السَّرِقَةُ مِنَ الإفْسادِ في الأَرْضِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماذا وَضَعَ فِتيانُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ في مَتاعِ بِنيامينَ ؟ وَلِماذا ؟

٢ـ على ماذا يَدُلُّ سُؤالُ إِخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنِ الشَّيْءِ المَفْقودِ ؟

٣ـ ماذا قالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ في سَبيلِ الدِّفاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ؟

٤ـ لِماذا طَلَبَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْهُمُ الاحْتِكامَ إلى شَرْعِهِمْ ؟

٥ـ ما السَّبَبُ الّذي دَعا مَنْ يَبْحَثُ في الأَمْتِعَةِ إلى تَأْخيرِ البَحْثِ في مَتاعِ بِنيامينَ ؟

٦ـ بَيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمّا يَلي :

أ ـ فَلمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ .

ب ـ صُواعَ المَلِكِ .

ج ـ وأنا بِهِ زَعيمٌ .

د ـ قالوا جَزاؤُهُ مَنْ وُجِدَ في رَحْلِهِ فَهُوَ جَزاؤُهُ .

هـ ـ كذلِكَ كِدْنا لِيوسُفَ .

و ـ وَفَوْقَ كُلِّ ذي عِلْمٍ عَليم .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الفَرْقَ بَيْنَ تَدْبيرِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ومَقولةِ (الغايةُ تُبَرِّرُ الوَسيلةَ) .

٢ـ ارْجِعْ إلى كُتُبِ التَّفْسيرِ واسْتَخْرِجْ مِنْ كلامِ المُفَسِّرينَ عُقوبَةَ السَّارِقِ في قانونِ المَلِكِ ، وعُقوبَةَ السّارِقِ في الشَّريعَةِ الإسْلامِيَّةِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الخامِسَ عَشَرَ

سورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الخامِسَ عَشَرَ

﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٠

مَعاني المُفْرَداتِ :

فَأَسَرَّها	: أَخْفاها .
اسْتَيْأَسوا	: يَئِسوا يَأْساً تامّاً .
خَلَصوا نَجِيّا	: انْفَردوا لِلتَّناجي والتَّشاوُرِ .
فَرَّطْتُم	: قَصَّرْتُم .

التَّفسيرُ :

في هَذِهِ الآياتِ الكَريمةِ تَفْصيلُ الحِوارِ الَّذي دارَ بَيْنَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وإِخْوَتِهِ ومُحاوَلَتِهِمْ فَكَّ أَسْرِ أَخيهِمْ بِنيامينَ وأَخْذَ أَحَدِهِمْ مَكانَهُ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧ ﴾ .

قالَ إِخوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إِنْ يَسْرِق بِنيامينُ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ شَقيقٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ وَهُوَ يُوسُفُ عَلَيْهِ

السَّلامُ ، يُريدونَ بذلكَ تَبْرِئَةَ أَنْفُسِهمْ مِنْ عارِ السَّرِقَةِ ، مُدَّعينَ أَنَّ خُلُقَ السَّرِقَةِ في بنيامينَ قَدْ سَبَقَهُ إليهِ أَخٌ شَقيقٌ أَكْبَرُ مِنْهُ ، أَمَّا هُمْ فَإِنَّهُمْ بَريئونَ مِنْ هذا الخُلُقِ لأنَّ أُمَّهُمْ مُخْتَلِفَةٌ ، وهذا الاتِّهامُ مِنْهُمْ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بالسَّرِقَةِ ادِّعاءٌ قَبيحٌ يَدُلُّ على ما اسْتَقَرَّ في نُفوسِهِمْ مِنْ حِقْدٍ عَلَيْهِ وَحَسَدٍ لَهُ ، مَعَ طُولِ السِّنينِ الَّتي تَفْصِلُ بَيْنَ هذهِ الحادثةِ وإِلْقائِهِمْ إيَّاهُ في الجُبِّ .

سَمِعَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ هذا الكلامَ مِنْهُم ، فَأَسَرَّهُ في نَفْسِهِ دونَ أَنْ يَظْهَرَ عَلَيْهِ أَثَرُهُ ، وَهُوَ يَعْلَمُ كَذِبَهُمْ في ادِّعائِهِمْ هذا ، وَلَكنَّهُ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَكْشِفَ لَهُم عَنْ حَقيقَتِهِ حتَّى تَكْتَمِلَ حَلَقاتُ القِصَّةِ كامِلَةً ، ويَحينَ الوَقْتُ المُناسِبُ لِذلكَ ، وَلِذا أَخْفى تَأَثُّرَهُ ، وأَخْفى رَدَّهُ عَلَيْهِ ، غَيْرَ أَنَّه أجابَ إجابةً تُظْهِرُ عَدَمَ رِضاهُ عَمَّا قالوهُ ولا تَكْشِفُ أَمْرَهُ فَقالَ : بَلْ أَنْتُمْ أَيُّها الإِخْوَةُ شَرٌّ مَكاناً ومَنْزِلَةً ، واللهُ تَعالى أَعْلَمُ مِنّي وَمِنْكُمْ بِما تَصِفونَ بِهِ غَيْرَكُمْ مِنَ الأَوْصافِ المُخالِفَةِ لِلْحَقِّ ولِلواقِعِ ، وهذا هُوَ المَوْقِفُ الّذي وَعَدَ اللهُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِحُصولِهِ عِنْدَما أَوْحى إليهِ أَنَّهُ سَيُخْبِرُ إخْوانَهُ بِهِ وَهُمْ لا يَشعرونَ .

وَيَظْهَرُ مِنْ الآيَةِ ما أَصابَ إِخْوَةَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ اضْطِرابٍ وانْدِفاعٍ بَعْدَ أَنْ رَأَوْا ما حَصَلَ ، فانْدَفَعَتْ أَلْسِنَتُهُمْ تَكْشِفُ ما في قُلوبِهِمْ مِنْ حِقْدٍ على أَخَوَيْهِمُ الشَّقيقَيْنِ ، لِيُبْعِدوا عَنْ أَنْفُسِهِمُ التُّهْمَةَ وَيَصونوها مِنْ مَقالَةِ السُّوءِ فيهِمْ ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَنْتَظِرونَ مَوْقِفاً سَيِّئاً أمامَ أبيهِمْ ، وَلِذا تَوجَّهوا بالرَّجاءِ إلى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

قالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَهُ على سَبيلِ الاسْتِعْطافِ والرَّجاءِ كَيْ يُطْلِقَ لَهُمْ أخاهمْ : يا أيُّها العَزيزُ الَّذي أَكْرَمَنا وأَحْسَنَ إلَيْنا إنَّ أخانا الَّذي تُريدُ أَنْ تَأْخُذَهُ على سَبيلِ الاسْتِرْقاقِ ، قَدْ تَرَكَ أباً لَهُ مُتَقدِّماً في السِّنِّ وَهُو يُحِبُّهُ حُبّاً كَثيراً ، وإِنْ كُنْتَ ولابُدَّ سَتَأْخُذُ واحِداً تَسْتَرِقُّهُ فَخُذْ واحِداً مِنَّا حَتَّى لا يُفْجَعَ فيهِ ، وإِنَّما قُلْنا لَكَ هذا الكَلامَ لأَنَّنا نَراكَ مِنَ المُحْسِنينَ في التَّعامُلِ مَعَنا ، وَقَدْ سَبَقَ أَنْ أَكْرَمْتَنا فأَتْمِمْ إِحْسانَكَ بِإِطْلاقِ سَراحِهِ لِيُسافِرَ مَعَنا إلى أَبيهِ .

﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

قالَ لَهُمْ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ : إنَّا نَعوذُ باللهِ تَعالى ونَبْرَأُ إليْهِ أَنْ نَأْخُذَ في جريمةِ السَّرِقَةِ إلاَّ الشَّخْصَ الَّذي وَجَدْنا صُواعَ المَلِكِ في مَتاعِهِ ، وسَنَكونُ ظالِمينَ إذا أَخَذْنا مَكانَهُ شَخْصاً آخَرَ لا ذَنْبَ لَهُ وتَرْكناهُ دونَ عِقابٍ على فِعْلَتِهِ ، فاتْرُكوا الجِدالَ في هَذا الأَمْرِ لأَنَّنا لا نُريدُ أَنْ نَكونَ ظالِمينَ .

﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ بَذَلَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَقْصى جُهْدَهُم في مُحاوَلَةِ إطْلاقِ سَراحِ أخيهِمْ وَلَمْ يُفْلِحوا ، وَيَئِسوا يَأْساً تامّاً مِنَ الوُصولِ إلى مَطْلوبِهِم ، ابْتَعدوا عَنِ النّاسِ لِيَتَشاوَروا فيما يَفْعَلونَهُ وماذا سيَقولونَ لأَبيهِمْ حينَ يَعودونَ إليْهِ دونَ أنْ يَكونَ بِنيامينُ مَعَهُمْ ، وَقَدْ أَقْسَموا لأبيهِمْ وأَعْطوْهُ المَواثيقَ أَنْ يُعيدوهُ مَعَهُمْ .

قالَ كَبيرُهُمْ : أَلَمْ تَعْلَموا وأَنْتُمْ تُريدونَ العَوْدَةَ إلى أَبيكُمْ دونَ أَخيكُم بنيامينَ أَنَّ أباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً وَعَهْداً مُؤَكَّداً ، حينَ أَقْسَمْتُمْ لَهُ باللهِ أَنْ تُحافِظوا على أخيكُمْ وأَنْ لا تَرْجعوا دُونَهُ ، إلاَّ أَنْ يُحاطَ بِكُمْ ، وأَنْتُمْ تَذْكُرونَ ما سَبَقَ مِنَّا مِنْ قَبْلُ مِنَ التَّفْريطِ والتَّقْصيرِ في حَقِّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فبِأيِّ وَجْهٍ سَنُقابِلُ أَبانا الآنَ ؟ وما مَوْقِفُنا أَمامَهُ ؟ أَمَّا أنا فَلَنْ أُفارِقَ أَرْضَ مِصْرَ وَلَنْ أُغادِرَها حَتَّى يَأْذَنَ لي أبي بِذَلِكَ ، أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لي بِمُغادَرَتِها على وَجْهٍ لا يُؤَدِّي إلى نَقْضِ الميثاقِ والعَهْدِ مَعَ أبي ، أَوْ بَعْدَ تَخْليصِ أَخي مِنَ الرِّقِّ بِوَسيلَةٍ مِنَ الوَسائِلِ ، وَهُوَ سُبْحانَهُ أَحْكَمُ الحاكِمينَ لأَنَّهُ لا يَحْكُمُ إلاّ بالحَقِّ والعَدْلِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ فَضيلَةُ كَظْمِ الغَيْظِ واحْتمالِ أَذى القَوْلِ ، وعَدَمُ إظْهارِ التَّأَثُّرِ بالكَلامِ .

٢ـ مَشْروعِيَّةُ الاسْتِرحامِ والاسْتِعْطافِ لِمَنْ يَحْتاجُ إليْهِ رَجاءَ أَنْ يُجابَ إلى طَلَبِهِ .

٣ـ حُرْمَةُ تَرْكِ الجاني ومُعاقَبَةُ غَيْرِهِ بَدَلاً مِنْهُ .

٤ـ مَشْروعِيَّةُ المُناجاةِ لِلتَّشاوُرِ في الأَمْرِ المُهِمِّ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا سارعَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى اتِّهامِهِ بالسَّرِقَةِ ؟

٢ـ ما الَّذي أَسَرَّهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ في نَفْسِهِ ؟

٣ـ كَيْفَ حاولَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إقْناعَهُ اسْتِرْقاقِ أَخيهِمْ بنيامينَ ؟

٤ـ ما رَدُّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ على طَلَبِ إخْوَتِهِ أَخْذَ أَحَدِهِمْ مَكانَ بنيامينَ ؟

٥ـ ماذا فَعلَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ أَنْ اسْتَيْئَسوا مِنْ إنقاذِ أَخيهِمْ ؟

٦ـ لِماذا رَفَضَ الأَخُ الأَكْبَرُ العَوْدَةَ مَعَهُمْ إلى والِدِهِ ؟

٧ـ بَيِّنْ مَعنى ما تَحْتَهُ خطٌّ في الآياتِ الكَريمَةِ التَّاليَةِ :

أ ـ قالوا إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ .

ب ـ واللهُ أَعْلَمُ بما تَصِفونَ .

ج ـ قالَ مَعاذَ اللهِ .

د ـ فلمَّا اسْتَيْئَسوا مِنْهُ خَلَصوا نَجِيّا .

فائِدَةٌ :

لَمْ تَذْكُرِ الآيَةُ اسْمَ كَبيرِهِمْ ، ولَمْ تُبَيِّنِ المَقْصُودَ بِكَوْنِهِ كَبيرَهُمْ ، أَهُوَ كِبَرُ السِّنِّ أَمْ العَقْلِ والعِلْمِ ، لأَنَّه لا يَتعلَّقُ بِمَعْرِفَةِ ذلِكَ كَبيرُ فائِدَةٍ ، والفائِدَةُ في مَوْقِفِهِ المُظْهِرِ لِخَجَلِهِ وَعَدَمِ قُدْرَتِهِ على مُواجَهَةِ أبيهِ بِما حَصَلَ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الفَرْقَ بَيْنَ ما في قُلوبِهِمْ وما يَظْهَرُ على أَلْسِنَتِهِمْ اتِّجاهَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وأخيهِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ السَّادسَ عشَرَ

سورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ السَّادسَ عشَرَ

ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

واسْأَلِ القَرْيَةَ : واسْأَلْ أَهْلَ القَرْيَةِ .

العيرَ : القافِلَةَ .

سَوَّلَتْ : زَيَّنَتْ وَسَهَّلَتْ .

يا أَسفى : يا حُزْني احْضُرْ فَهذا أوانُ حُضورِكَ لِيَتَجَّدَدَ الحُزْنُ والأَسى .

وابيَضَّتْ عَيناهُ : أَصابَتْهُما غِشاوَةٌ بَيضاءُ ، فَذَهبَ بَصَرُهُ .

كَظيم : مَغْموم مَكْرُوب لا يُظْهِرُ غَيْظَهُ .

تَفْتَأُ : لا تَزالُ .

حَرَضاً : مُشْرِفاً على الهلاكِ .

بَثِّي : هَمِّي وَحُزْني .



التفسير :

في هَذِهِ الآياتِ الكَريمةِ مَشْهَدُ عَوْدةِ إخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى أَبيهِمْ ، وَمَوْقِفُهُ مِنْ كلامِهِمْ وَتَجدُّدُ الأَحْزانِ عَلَيْهِ بِفِراقِ ابْنِهِ الحَبيبِ بنيامينَ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

هذا مِنْ تَتِمَّةِ كلام كبيرِ إخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَهُمْ بَعْدَ أَنْ الْتَزَمَ بعدَمِ مُغادرَةِ مِصْرَ حتَّى يَأْذَنَ لَهُ أبوهُ أو يَحْكُمَ اللهُ تعالى بما يَشاءُ فَقالَ لَهُمْ : ارْجِعوا يا إخْوَتي إلى أبيكُمْ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقولوا لَهُ بِرِفْقٍ وَلِينٍ إنَّ ابْنَكَ بِنْيامينُ سَرَقَ صُواعَ المَلِكِ ، فَأَخَذَهُ العزيزُ طِبْقاً لِشَريعتنا حَيْثُ كانَ قدِ احْتَكَمَ إلَيْها ، وما شَهِدْنا عَلَيْهِ بالسَّرِقَةِ إلاَّ بما عَلِمْناهُ وَرَأَيْناهُ مِنْ وُجودِ الصُّواعِ في رَحْلِهِ ، وما كُنَّا نَعْلَمُ الغَيْبَ بأنَّهُ سَيَسْرِقُ عِنْدما أَعْطَيْناكَ عُهودَنا وَمَواثيقَنا على إعادَتِهِ مَعنا .

وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾

وأَوْصاهُمْ كَبيرُهُمْ بما ظَنَّ أَنَّهُ يَحْمِلُ أباهُمْ على التَّصْديقِ ، فقالَ : قولوا لأبيكُمْ إنْ كُنْتَ في شَكٍّ مِنْ كلامِنا فأَرْسِلْ إلى أَهْلِ القَرْيَةِ التي كنَّا فيها مَنْ يَسْأَلُهُمْ عَمَّا حَصلَ ، واسْأَلْ أَهْلَ القافِلَةِ الَّتي كُنَّا فيها فَقَدْ شاهَدوا مِثْلَنا ما حَصَلَ ، وأَوْصاهُمْ أَخيراً أَنْ يُؤَكِّدوا صِدْقَهُمْ بِقَوْلِهِمْ (وإنَّا لَصادِقونَ) في كلِّ ما أَخْبرناكَ بِهِ واثِقونَ مِنْهُ ، ولا نُبالي إنْ سَأَلْتَ أَهْلَ القَرْيَةِ أَوِ القافِلَةَ عَمَّا حَدَثَ .

وقَدْ حاولَ كَبيرُهُمْ بهذا الكَلامِ تَأْكيدَ صِدْقِهِمْ بِأَكْثَرَ مِنْ وَسيلةٍ وأُسْلوبٍ ، فإنَّ ماضيهِمْ مَعَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وأخيهِ بَعيدٌ عَنِ الصِّدْقِ في التَّعامُلِ .

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

رَجَعَ الإخْوَةُ إلى أَبيهِمْ وأَخْبَروهُ بما حَصَلَ مَعَهُمْ ، فَقالَ لَهُمْ : لَيْسَ الأَمْرُ كما زَعَمْتُمْ ، ولكنَّ أَنْفُسَكُمْ هِيَ الَّتي سَوَّلَتْ لَكُمْ أمراً أَرَدْتُموهُ وَفَعلْتُموهُ ، وصَبْري على فِعْلِكُمْ هذا صَبْرٌ جميلٌ ، لا شَكْوى فيهِ لِغَيْرِ اللهِ ، والَّذي حَمَلَ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ على هذا القَوْلِ ، الَّذي سَبَقَ أَنْ قالَهُ لَهُمْ حينَ جاءوهُ بِقَميصِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، ماضيهِمْ وما سَبَقَ لَهُمْ فِعْلُهُ بيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَقَدْ عاهَدوا أباهُمْ على المُحافَظَةِ عَلَيْهِ وَمَع ذَلِكَ فَرَّطوا فيهِ ، فَلَمْ يَسْتَبْعِدْ عَلَيْهِمْ فِعْلَ الشَّيْءِ نَفْسِهِ مَعَ بنيامينَ ، مَعَ أَنَّ الواقِعَ في هذهِ المَرَّةِ أَنَّهُمْ كانوا صادِقينَ في كَلامِهِمْ ، ولَمْ يُقَصِّروا في حِفْظِ أخيهِم كَما فَعَلوه في المَرَّةِ الأُولى .

وأضافَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ ما يُفيدُ قُوَّةَ رَجائِهِ باللهِ تَعالى ، وأَمَلَهُ في رَحْمَتِهِ سُبْحانَهُ ، قائِلاً : عسى اللهُ أَنْ يَجْمَعَني بِأَوْلادي جَميعاً : يُوسفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَبنيامينَ ، وَكَبيرِهِمُ الَّذي بَقِيَ في مِصْرَ ، إِنَّهُ سُبْحانَهُ هُوَ العليمُ بِحالي ، الحَكيمُ في كُلِّ ما يَفْعَلُ .

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾

جَدَّدَ هذا المَوْقِفُ لِيَعْقوبَ عَلَيْهِ السلامُ أَحْزانَهُ القَديمةَ على يُوسُفَ عليْهِ السَّلامُ فَترك أَبْناءَهُ واعْتَزَلَهُمْ وقالَ : يا حُزْني الشَّديدُ على يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، أَقْبِلْ ، فَهذا أَوانُكَ ، وابْيضَّتْ عَينا يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَذَهَبَ بَصَرُهُ مِنْ شِدَّةِ الحُزْنِ ، وما كان يُسبِّبُهُ لَه مِنْ طولِ البُكاءِ ، فَهُوَ مَمْلوءٌ بالحُزْنِ على أَوْلادِهِ الغائبينَ وبالغَيْظِ مِنْ أَوْلادِهِ الحاضِرينَ ، وُهو كاظِمٌ لِغَيْظِهِ وَغَمِّهِ لا يُظْهِرُهُ لأَحَدٍ جَلَداً مِنْهُ وَصَبْراً .

وإنَّما تَأَسَّفَ على يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ دونَ أخويْهِ الغائِبيْنِ ، لأَنَّ المُصابَ بِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ كانَ أَوَّلَ مَصائِبِهِ ، ولأَنَّ حُبَّهُ في قَلْبِهِ أَشَدُّ وأَكْثَرُ .

﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

حينَ رَأى أَبْناءُ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ أباهُمْ على هَذهِ الحال مِنَ التَّأَثُّرِ والبُكاءِ والحُزْنِ قالوا لَهُ : نُقْسِمُ باللهِ يا أَبانا أَنَّكَ لا تَزالُ تَذْكُرُ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بهذا الحَنينِ ، ويُحيطُ بِكَ الحُزْنُ عَلَيْهِ بَعْدَ كُلِّ هذهِ السَّنواتِ الكَثيرةِ على فَقْدِهِ ، حتَّى تُصْبِحَ مُشْرِفاً على المَوتِ لِطولِ مَرَضِكَ ، أَوْ تُصْبِحَ مِنَ الهالِكينَ المُفارِقينَ لِهذهِ الدُّنْيا ، فَخَفِّفْ على نَفْسِك ، ولا تُرْهِقْها بالهَمِّ والأَسَى .

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾

قالَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ لأَوْلادِهِ مُجيباً على لَوْمِهِمْ إِيَّاهُ على حُزْنِهِ الَّذي طالَ أَمدُهُ على ابْنِهِ يوسُفَ عليْهِ السَّلامُ : ما أَشْكو مُصيبَتي الَّتي لا أَسْتَطيعُ إِخْفاءَها ولا أَشْكو حُزْني لأَحَدٍ إلاَّ للهِ ، فَهُوَ وَحْدَهُ القادِرُ على كَشْفِ الهَمِّ والضُرِّ ، وأَنا أَعْلَمُ مِنَ اللهِ تعالى ما لا تَعْلَمونَهُ أَنْتُمْ ، وإِنِّي لأَرْجوه أَنْ يَرْحَمَني ، وأَنْ يَجْمَعَ الشَّمْلَ بِمَنْ فارَقَني مِنْ أَوْلادي . وهَذهِ العِباراتُ مِنْ يعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ تَدُلُّ على عَظيمِ إيمانِهِ وَيَقينِهِ باللهِ تَعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ اسْتِحبابُ النَّصيحةِ لِمَنْ يَحْتاجُها .

٢ـ جوازُ الاسْتِشْهادِ بالآخَرينَ لِتأْكيدِ الكَلامِ .

٣ـ يَتبادَرُ إلى الذِّهْنِ اتِّهامُ الشَّخْصِ لِمواقِفِهِ السَّابقَةِ وحُصولِ الرَّيْبِ في كلامِهِ .

٤ـ مَشْروعِيَّةُ الحُزْنِ على فَقْدِ العَزيزِ دُونَ ارْتِكابِ أيِّ مَحْظورٍ شَرْعِيٍّ في التَّصَرُّفِ .

٥ـ مَشْروعِيَّةُ التَّخْفيفِ عَنِ الحَزينِ والمَهْمومِ .

٦ـ الشَّكْوى إلى اللهِ وَحْدَهُ لِكَشْفِ الضُّرِّ وإزالَةِ الهَمِّ .

٧ـ ضَرْبُ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ المَثَلَ في الصَّبْرِ على المَصائِبِ مَعَ عَدَمِ التَشَكِّي لِلْخَلْقِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بماذا أَوْصى كَبيرُ إخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إخْوَتَهُ حينَ يَرْجعونَ إلى والِدِهِمْ ؟

٢ـ ما سَبَبُ تَأْكيدِ إخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ كلامَهُمْ بِأَكْثَرَ مِنْ مُؤَكِّدٍ ؟

٣ـ ما سَبَبُ مُسارَعةِ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى تَكْذيبِهِمْ ؟

٤ـ ماذا حَصَلَ مَعَ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ انْتِهاءِ الحِوارِ مَعَ أَبْنائِهِ ؟

٥ـ بماذا أرادَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ التَّخْفيفَ مِنْ حُزْنِ أَبيهِمْ وانْفِعالِهِ ؟

٦ـ بماذا رَدَّ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ على أَبْنائِهِ ؟

٧ـ بَيِّنْ مَعنى ما يلي :

أـ وما كُنَّا لِلْغَيْبِ حافِظينَ .

ب ـ واسْأَلِ القَرْيَةَ الَّتي كُنَّا فِيها .

ج ـ وقالَ يا أَسَفَى عَلى يُوسُفَ .

د ـ حتَّى تَكونَ حَرَضاً أَوْ تَكونَ مِنَ الهالِكينَ .

هـ ـ وأَعْلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعْلَمونَ .



نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما يَقولُ مَنْ أصابَتْهُ مُصيبَةٌ .

الدَّرْسُ السَّابِعَ عَشَرَ

سورةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ السَّابِعَ عَشَرَ

يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **فَتَحسَّسوا** : اطْلُبوا خَبَرَهُما بِلُطْف .
- **رَوْحِ اللهِ** : رَحْمَةِ اللهِ وفَرَجِه .
- **الضُّر** : الهُزال مِنْ شِدّةِ الجُوعِ .
- **بِبضاعَةٍ** : بِأَثْمانٍ .
- **مُزْجاةٍ** : رَديئةٍ .
- **آثَرَكَ** : فَضَّلَكَ .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ الإخْبارُ بِرُجوعِ الإِخْوَةِ إلى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِلْمَرَّةِ الثَّالِثةِ بناءً على رَغْبَةِ أبيهِمْ في تَتبُّعِ أَخْبارِ ابْنَيْهِ ، وفي هذهِ الرِّحْلَةِ يَكْشِفُ لَهُمْ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ نَفْسِه ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

طَلَبَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ أبنائِهِ أَنْ يَرْجِعوا وَيَجْتَهِدوا في البَحْثِ عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وأَخيهِ وأَنْ يَتَتَبَّعوا أخْبارَهُما وَيَجِدّوا في طَلَبِ العُثورِ عَلَيْهِما ، فالتَّحَسُّسُ هُوَ طَلَبُ مَعْرِفَةِ الشَّيءِ عَنْ طَريقِ الحواسِّ بِدِقةٍ وَخِبْرَةٍ وَصَبْرٍ ، لإرادةِ الخَيْرِ بالتَّحَسُّسِ عَنْهُ ، بِخلافِ التَّجَسُّسِ فإنَّهُ تَتَبُّعُ الأَخْبارِ والبَحْثِ عَنْها بِقَصْدِ الإساءَةِ .

وَأَوْصى يَعقوبُ عَليهِ السَّلامُ بَنيهِ أَنْ يُواصِلوا البَحْثَ ولا يَيْأَسوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وفَرَجِهِ فإنَّهُ لا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إلاَّ الكافِرونَ لِعَدَمِ عِلْمِهِمْ باللهِ تَعالى وَواسِعِ رَحْمَتِهِ وعظيمِ قُدْرَتِهِ ، أَمَّا المُؤْمِنونَ فَتَبْقى قُلوبُهُمْ مُتَعلِّقَةً باللهِ تَعالى وَرَحْمَتِهِ ولا يَيْأَسُ أَحَدُهُمْ مَهْما اشْتَدَّتْ بِهِ الكُروبُ وأحاطَتْ بِهِ المَصائِبُ .

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

اسْتَجابَ الأَبْناءُ لِطَلَبِ والِدِهِمْ فَرَحلوا إلى مِصْرَ ، لِيُحاوِلوا إرْجاعَ أَخيهِمُ المُسْتَرَقِّ بنيامينَ ، وأخيهِمُ الكبيرِ وتَتَبُّعِ أخْبارِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، والحُصولِ على الطَّعامِ ، حَيْثُ اشْتَدَّتِ حاجَتُهُمْ إليْهِ ، فَلَمَّا دَخَلوا على يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ قالوا لَهُ : يا أَيُّها العَزيزُ لَقَدْ أَصابَنا وأَصابَ أَهْلَنا مَعَنا الفَقْرُ والجَدْبُ والهُزالُ مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ ، وَجِئْنا بِثَمنٍ لِلطَّعامِ غَيْرِ مَقْبولٍ لِرداءَتِهِ وعَدمِ جَوْدَتِهِ ، وهُوَ قَليلٌ لا يَتناسَبُ معَ مِقْدارِ الطَّعامِ الَّذي نَحْتاجُهُ . قَدَّموا كَلامَهُم هذا بَيْنَ يَديْ طَلَبِهِمْ اسْتِعْطافاً لَهُ ، ولِيَكونَ باعِثاً على الشَّفَقَةِ والرَّحْمَةِ ، والرَّأْفَةِ بِهِمْ ، ثُمَّ ذَكَروا طَلَبَهُمْ فَقالوا : (فَأَوْفِ لَنا الكَيْلَ) أيْ أَتْمِمْهُ لَنا كَعادَتِكَ ولا تُنْقِصْ مِنْهُ شَيْئاً ، (وتَصدَّقْ عَلَيْنا) فَوْقَ حَقِّنا بما أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ مِنْ كَرَمٍ وَرَحْمَةٍ ، وَبِرَدِّ أَخينا إلَيْنا فإنَّ اللهَ يَجْزي المُتَصَدِّقينَ جَزاءً طَيِّباً مُباركاً ويُخْلِفُ عَلَيْهِمْ ما أَنْفَقوهُ .

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

تَأَثَّرَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ بما رَأى مِنْ حالِ إخْوَتِهِ وَبما سَمِعَ مِنْ كلامِهِمْ ، فَقَصَدَ أَنْ يُعَرِّفَهُم بِنَفْسِهِ فقالَ لَهُمْ : هَلْ عَلِمْتُم قَبيحَ ما فَعَلْتُمْ بيوسُفَ وبِأَخيهِ بنيامينَ ، وأَنْتُمْ وَقْتَئِذٍ جاهِلونَ بِقبيحِ ما تَعْمَلونَ ، وَبِسوءِ عاقِبَتِهِ ، واكْتَفى عَلَيْهِ السَّلامُ بِذِكْرِ ما فعلوهُ بِهِ وبِأَخيهِ دُونَ ما لَحِقَ أباهُ مِنْ أَذىً بِسَبَبِ فِعْلِهِمْ ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَكونوا يَقْصُدونَ إيذاءَ أَبيهِمْ بَلْ فعلوا ذَلِكَ لِكَسْبِ مَودَّتِهِ .

وَفي هَذِهِ العِباراتِ مِنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ تَحْريضٌ لَهُمْ على التَّوْبَةِ ، وتَخْفيفٌ في لَوْمِهِمْ ، وعِتابِهِمْ ، وإعْذارٌ لَهُمْ بأَنَّهُمْ كانوا يَجْهَلونَ مآلَ فِعْلِهِمْ ، وفيهِ إشارَةٌ واضِحَةٌ تَكْشِفُ لَهُمْ عَنْ

شَخصيَّتِهِ ، ولعَلَّهُ لَمْ يَخْطُرْ ببالِهِمْ قطُّ أَنْ يكونَ عزيزُ مِصْرَ هُوَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

فورَ سَماعِهِمُ اسْمَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ على لِسانِهِ اسْتَيْقَظَ الإخْوَةُ مِنْ غَفْلَتِهِمْ وبَدأُوا يَتأمَّلون في مَلامِحِهِ وصُورَتِهِ ويُحاوِلونَ مُطابَقَتَها مَعَ ما يَتَذَكَّرونَ مِنْ ملامِحِهِ ، وانْطَلَقَ لِسانُ بَعْضِهِمْ لِيقولَ في تَردُّدٍ وَشَكٍّ : هَلْ أنتَ يُوسُفُ ؟ وهُمْ لا يَكادونَ يُصَدِّقونَ ، فقالَ لَهُمْ : أنا يُوسُفُ أخوكُمُ الَّذي تَآمَرْتُمْ عَلَيْهِ وأَلْقيتموهُ في البِئْرِ وَفَعلْتُمْ معهُ ما فَعلْتُمْ ، وهَذا أخي الَّذي ظَلَمْتُموهُ ، أيضاً بإبْعادي عَنْهُ ، وإنَّما نَصَّ عَلَيْهِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِهِ لِتَفْخيمِ شَأْنِهِ : (قَدْ مَنَّ اللهُ عَلينا) بالخَلاصِ مِمَّا ابْتُلينا بِهِ وبالاجْتِماعِ بَعْدَ الافْتِراقِ والعِزَّةِ بَعْدَ الذِّلَّةِ ، والأُنْسِ بَعْدَ الوَحْشَةِ ، وهذا تَكريمٌ مِنَ اللهِ تَعالى لِعبادِهِ الأَتْقياءِ ، فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ الإِنْسانِ الَّذي يَتَّقي اللهَ تعالى وَيَصْبِرُ على قَضائِهِ وقَدَرِهِ أَنْ لا يُضيعَ اللهُ أجرَهُ ، وأَنْ يُحقِّقَ لَهُ مَأْرَبَهُ جَزاءَ إِحْسانِهِ وَطاعَتِهِ .

﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾

تَذَكَّرَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ما فَعلوهُ بِهِ وندِموا عَلَيْهِ أَشَدَّ النَّدَمِ ، وقالوا لأَخيهِم المُشْفِقِ المُقابِلِ لِلإساءَةِ بالإحْسانِ : نُقْسِمُ باللهِ يا أَخانا أَنَّ اللهَ تعالى قَدِ اخْتارَكَ وَفضَّلَكَ عَلَيْنا ، بما أَنْعَمَ عَلَيْكَ مِنَ التَّقْوى والصَّبْرِ والإحْسانِ وَسائِرِ الفَضائِلِ والمَزايا ، أَمَّا نَحْنُ فَقَدْ كُنَّا خاطِئينَ أَشَدَّ الخَطأ في تَصَرُّفِنا مَعَكَ حينَ حَسَدناكَ وَتآمَرْنا عَلَيْكَ ، وأَلْقَيناكَ في البِئْرِ ، وأَبْعدناكَ عَنْ أَبيكَ وأَخيكَ ، وَقَدْ أَكَّدوا كَلامَهُم بِعدَّةٍ مُؤَكِّداتٍ ، مِمَّا يُشْعِرُ بِصِدْقِ تَوْبَتِهِمْ وَعَظيمِ نَدَمِهِمْ على ما بَدَرَ مِنْهُم ، وكَبيرِ أَمَلِهِمْ في عَفْوِ أخيهِمْ وصَفْحِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، مِنها :

١ـ عَدَمُ جوازِ اليَأْسِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَفَرَجِهِ .

٢ـ على الدَّاعي والنَّاصِحِ المُشْفِقِ أَنْ يَشْحَذَ هِمَمَ المَدْعوِّينَ ويَرْفَعَ مِنْ عَزيمَتِهِمْ .

٣ـ جوازُ إِظْهارِ الحاجَةِ لِمَنْ يُعينُ على رَفْعِها وإزالَتِها .

٤ـ الحَثُّ على فِعْلِ الخَيْرِ والتَّذْكيرِ بما أَعَدَّهُ اللهُ لِلْمُحْسنينَ والمُتَصدِّقينَ مِنْ ثوابٍ .

٥ـ التَّدَرُّجُ في إيصالِ المَعْلومَةِ الغَريبَةِ أَوْ غَيْرِ المُحْتَمَلِ تَصْديقُها تَمْهيداً لِتَثْبيتِها .

٦ـ رَدُّ النِّعَمِ إلى اللهِ تَعالى وَفضْلِه فَهُوَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ على عِبادِهِ بما يَشاءُ .

٧ـ فَضيلةُ الاعْترافِ بالذَّنْبِ وَعَدَمُ المُكابَرَةِ أوِ الإصرارِ على الخَطأ .

٨ـ قَدْ تَتكشَّفُ المَصائِبُ الجِسامُ عَنْ أَحْداثٍ فيها حِكَمٌ عِظامٌ ، كَما وَقعَ لإسْرائِيلَ وَبنِيهِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما معَنى التَحسُّسِ ؟ وما الفَرْقُ بَيْنَه وبَيْنَ التَجسُّسِ ؟

٢ـ ما المرادُ برَوْحِ اللهِ ؟ وما مَعنى اليَأْسِ مِنْ رَوْحِ اللهِ ؟

٣ـ ماذا فَعَلَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ حِينَ دَخَلوا عَلَيْه لِلمَرَّةِ الثَّالِثَةِ ؟

٤ـ ما الَّذي دَفعَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى الكَشْفِ عَنْ نَفْسِهِ لَهُمْ في هذا الوَقْتِ ؟

٥ـ بَيِّنْ كَيْفَ تَدَرَّجَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ في إعْلامِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ؟

٦ـ كَيْفَ تَلَطَّفَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ في مُعاقَبَةِ إِخْوَتِهِ ؟

٧ـ ما مَوْقفُ إِخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ أَنْ تَعرَّفوا عَلَيْهِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الكَريمةَ مِنْ سُورَةِ الحُجُراتِ الَّتي وَرَدَ فيها النَّهْيُ عَنِ التَّجَسُّس .

٢ـ اسْتَخْرِجِ المُؤَكِّداتِ المُسْتَخْدَمَةَ في الآيةِ الكَريمةِ (٩١) ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

٣ـ تَخَيَّلِ الحالَةَ النَّفْسِيَّةَ الَّتي كان عَلَيها إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ حِينَ عَرَّفَهُم بِنَفْسِهِ وعاتَبَهُمْ على سُوءِ فِعْلَتِهِمْ ، وتَبَيَّنَ لَهُمْ خَطؤُهُمْ وَرَأوْا الفَرْقَ الكَبيرَ بَيْنَ حالِهِمْ وحالِهِ ، وناقِشْ مَعَ زُملائِكَ ما تَتوصَّلُ إليْهِ مِنْ نُقاطٍ .

* * *

الدَّرسُ الثَّامِنَ عَشَرَ

سورةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الثَّامِنَ عَشَرَ

قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لا تَثْريبَ : لا لَوْمَ ولا عَتْبَ .

فَصَلَتِ العيرُ : غادرَتِ القافِلَةُ أَرْضَ مِصْرَ مُتَّجِهَةً إلى مَساكِنِ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

تُفَنِّدونِ : تُسَفِّهونَ كَلامي .

ضَلالِكَ : ابْتِعادِكَ عَنِ الصَّوابِ وَكَثْرَةِ ذِكْرِكَ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ ذِكْرُ عَفْوِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ إِخْوَتِهِ وعَوْدَةِ البَصَرِ إلى يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَعَفْوِهِ عَنْ أبنائِهِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنِ اعْتَرَفَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِخَطَئِهِمْ واسْتَسْمَحوا أخاهُمْ قالَ لَهُمْ : لا لَوْمَ وَلاَ تأنيبَ وَلاَ عَتْبَ عَلَيْكُمْ اليَوْمَ يا إِخْوَتي ، فَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ وَتَجاوَزْتُ عَمَّا صَدَرَ مِنْكُمْ في حَقِّي وحَقِّ

أَخي ، وأدْعو اللهَ تَعالى أَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ ما مَضى مِنْ ذُنوبِكُمْ . وَهُوَ سَبْحانَهُ أَرْحَمُ الرّاحِمينَ بِعبادِهِ .

﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ .

عَلِمَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ إِخْوَتِهِ ما أصابَ أباهُ مِنْ حُزْنٍ عَظيمٍ وما حَصَلَ لَهُ مِنْ فَقْدِ بَصَرِهِ ، فَأَعْطاهُمْ قميصَهُ وأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحوهُ على وَجْهِ أبيهِ لِيَرْتَدَّ إليهِ بَصَرُهُ بِفَضْلِ اللهِ تَعالى وأَمْرِهِ ، وطَلَبَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ إِخْوَتِهِ أَنْ يُحْضِروا أَهْلَهُم جَميعاً إلى مِصْرَ لِيَعيشوا مَعَهُ في رَخاءٍ وأَمْنٍ وَنِعْمَةٍ .

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ ﴾

انْطَلَقَ الإِخْوَةُ بِقَميصِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عائِدينَ إلى أبيهِمْ ، ولَمَّا جاوزوا حُدودَ مِصْرَ ، قالَ يَعْقوبُ لِمَنْ كانَ حَوْلَهُ وبِجوارِهِ : إنِّي لأَشُمُّ رائِحَةَ ابْني يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامَ ، وَلَوْلا أَنَّكُمْ تُسَفِّهونَ كَلامي وتَنْسبونَ إليَّ ضَعْفَ العَقْلِ بِسَببِ المَرَضِ والتَّقَدُّمِ في السِّنِّ لَصَدَّقْتُموني فيما أقولُ ، وَلَتَحَقَّقْتُمْ مِثْلي أَنَّ لِقائي بابْني يُوسُفَ أَصْبَحَ وَشيكاً قريباً ، وقَدْ أَوْصَلَ اللهُ سُبحانَهُ رائِحَةَ ما عَبَقَ وعَلِقَ بالقَميصِ مِنْ أَثَرِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى أبيهِ مَعَ بُعْدِ المَسافَةِ تَكْريماً لَهُ ، وَتَبْشيراً وتَمْهيداً لِما سَيَحْصُلُ بَعْدَ وُصولِ القَميصِ مِنْ خَيْرٍ وَشِفاءٍ .

﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾

قالَ الَّذين سَمِعوا كلامَ يَعقوبَ عَليهِ السَّلامُ : نُقْسِمُ باللهِ يا يَعقوبُ إنَّكَ ما زِلْتَ مُلازِماً لِخَطَئِكَ القَديمِ ، وما زِلْتَ لِشِدَّةِ حُبِّكَ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ تَظُنُّ أَنَّهُ حَيٌّ ، وأَنَّكَ سَتَلْتَقي بِهِ ، وهَذهِ أَوْهامٌ وَظُنونٌ .

﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

ولَمَّا اقْتَرَبَ أَبْناءُ يعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ دارِ أبيهِمْ ، تَقَدَّمَ البَشيرُ الَّذي كانَ يَحْمِلُ قَميصَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَأَلْقى القَميصَ على وَجْهِ أبيهِ فَعادَ إليهِ بَصَرُهُ كما كانَ ، بِأَمْرِ اللهِ تعالى وَقُدْرَتِه ، فَقالَ يَعْقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ لِمَنْ حَولَهُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إنّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ تعالى ، مِنْ فَضْلِهِ وإِحْسانِهِ ورَحْمَتِهِ ما لا تَعْلمونَ أَنْـتُمْ .

﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

بَعْدَ أَنْ رأى أَبْناءُ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ ما حَصَلَ ، وعَلِموا عَظيمَ ما ارْتَكَبوا مِنْ جُرْمٍ وإِثْمٍ في حَقِّ

أَخيهم ، وأبيهمْ ، انْطَلَقتْ أَلْسِنَتُهُمْ تَطْلُبُ مِنْ أَبيهِمْ أَنْ يَدعوَ اللهَ تعالى لَهُم بِالْمَغْفِرَةِ وَمَحْوِ السَّيئاتِ وهُمْ مُقِرّونَ بِخَطَئِهِمْ وَذَنْبِهِمْ .

وطَلَبُهُمْ الاسْتِغْفارَ مِنْ أَبيهِمْ يَتَضَمَّنُ طَلَبَهُمْ عَفْوَهُ وَصَفْحَهُ عَنْهُم ، فإنَّه لَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُم وَهُوَ غاضِبٌ عَلَيْهِم ، وَقَدْ عَلِموا أَنَّ عَفْوَ أَخيهِمْ وأَبيهِمْ لا يُغْني عَنْهُمْ شَيئاً إنْ لَمْ يَغْفِرِ اللهُ تَعالى لَهُمْ .

﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾

وَعَدَهُمْ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ في وَقْتٍ قَريبٍ ، وفي هذا التَّأْخيرِ للاسْتِغْفارِ إشْعارٌ لَهُمْ بعظيمِ ما ارْتَكَبوا مِنْ إثْمٍ ، وأنَّهُ يَحْتاجُ إلى تَوْبَةٍ صادِقَةٍ مِنْهُمْ ، ولَعَلَّهُ أَخَّرَ الاسْتِغْفارَ حتَّى يَطْمَئِنَّ إلى أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَفا عَنْ إخْوَتِهِ ، أَوْ إلى وَقْتٍ يَكونُ أدْعى لاسْتِجابَةِ الدُّعاءِ كَوَقْتِ السَّحَرِ .

(إنَّهُ هُوَ الغفورُ الرَّحيمُ) وخَتَمَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ بتأكيدِ حَقيقَةٍ إيمانِيَّةٍ ، هِيَ عَظيمُ ما عِنْدَ اللهِ تَعالى مِنْ مَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ تَسَعُ التَّائِبينَ مِنْ عبادِهِ الصَّادِقينَ في تَوْبَتِهِمْ وإنابَتِهِمْ إلَيْهِ ، ويُلاحَظُ تَأْكيدُ العِبارَةِ بِمَجْموعةٍ مِن المُؤَكِّداتِ الَّتي تَدُلُّ على كبيرِ الخَطأ الَّذي حَصَلَ ، وَلِذا فَهُوَ مُحْتاجٌ إلى تَأْكيدِ أَنَّ رَحْمَةَ اللهِ ومَغْفِرَتَهُ أَكْبَرُ مِنْ خَطَئِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ فَضْلُ العَفْوِ والصَّفْحِ عَمَّنْ أَساءَ ، وتَرْكِ عِتابِهِ وَلَوْمِهِ .

٢ـ تَرَقُّبُ الأَوْقاتِ الفاضِلَةِ لِلدُّعاءِ فيها فإنَّهُ أَدْعى لِلإجابَةِ .

٣ـ حصولُ الفَرَجِ بَعْدَ الضِّيقِ واليُسْرِ بَعْدَ العُسْرِ .

٤ـ إعطاءُ اللهِ رُسُلَهُ خَوارِقَ العاداتِ ، فَقَدْ رَدَّ اللهُ بَصَرَ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ إليهِ لَمَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِ قَميصُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ .



التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَوْقِفُ يُوسُفَ عليْهِ السَّلامُ مِنْ إِخْوَتِه بَعْدَ أَنِ اعْتَرَفوا لَهُ بِخَطَئِهِمْ ؟

٢ـ لِماذا أَرْسَلَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ قَميصَهُ مَعَ إِخْوَتِهِ ؟

٣ـ ماذا قالَ يَعقوبُ عَليْهِ السَّلامُ لِمَنْ حَوْلَهُ حِينَ غادَرَتِ القافِلَةُ مِصْرَ ؟ وكَيْفَ عَلِمَ ذَلِكَ ؟

٤ـ ماذا طَلَبَ أبناءُ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ رَدَّ اللهُ تَعالى إِلَيْهِ بَصَرَهُ ؟

٥ـ ما سَبَبُ تَأْخيرِ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ الاسْتِغْفارَ لأَبْنائِهِ ؟

٦ـ هَلْ مِنْ سَبَبٍ لإيرادِ المُؤَكِّداتِ في قَوْلِهِ (إنَّه هُو الغَفورُ الرَّحيمُ) ؟

نَشاطٌ :

١ـ قارِنْ بَيْنَ مَوْقِفِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَ إِخْوَتِهِ ، ومَوْقِفِ سَيِّدنا مُحَمَّدٍ ﷺ مَعَ قَوْمِهِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أَحْوالَ قَميصِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السلامُ الثَّلاثَ مُرَتَّبَةً كما جاءَ في السُّورةِ الكريمةِ .

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعَ عَشَرَ

سورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ التَّاسِعَ عَشَرَ

فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُوا۟ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

آوى إليْهِ : ضَمَّ إليْهِ .

العَرْشِ : كُرْسي المُلْكِ .

البَدْوِ : البادِيَة .

نَزَغَ الشَّيْطانُ : أَفْسَدَ وأَغْرى .

فاطِر : مُبْدِع .

وَليّي : ناصِري .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ الإِخْبارُ عَنِ انْتِقالِ أُسْرَةِ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى مِصْرَ وَتَحَقُّقِ رُؤْيا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِسُجودِهِمْ لَهُ سُجودَ التَّحِيَّةِ والتَّكْريمِ ، وَما نَطَقَ بِهِ لِسانُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ حَمْدِ اللهِ تَعالى على نِعَمِهِ عَلَيْهِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾

بَعْدَ وُصولِ إخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى أَبيهِمْ وإلْقاءِ القَميصِ على وَجْهِهِ وَرَدِّ بَصَرِهِ إلَيْهِ ، أخْبَروهُ أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ طَلَبَ مِنْهُمُ الذَّهابَ إليْه لِيُقيموا مَعَهُ ، فارْتَحلوا ، وَلَمَّا وَصَلوا إلَيْهِ اسْتَقْبَلَهُمْ اسْتِقْبالاً حارّاً ، وَضمَّ إليْهِ أبَوَيْهِ بأَنْ عانَقَهُما عِناقاً حارّاً ، وجَعَلَهُما مَعَهُ في قَصْرِهِ الخاصِّ تَكْرُمَةً لَهُما وَبَرّاً بِهِما ، وقالَ لَهُما ولِسائِرِ أَهْلِهِ : (ادْخُلوا مِصْرَ إنْ شاءَ اللهُ آمِنينَ) أَمَناً شامِلاً عامّاً ، على أَنْفُسِكُمْ وَمَواشيكُمْ مِنَ الجُوعِ والخَوْفِ وسائِرِ المَكارِهِ .

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

وأَجْلَسَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ أبويْهِ مَعَهُ على كُرْسِيِّ المُلْكِ الَّذي يَجْلِسُ عَلَيْهِ إعلاءً لِشَأْنِهما ، وَخَرَّ يَعقوبُ وأَبْناؤُهُ ساجِدينَ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وهُوَ سُجُودُ تَحِيَّةٍ لا سُجودَ تَعْظيمٍ وَعِبادَةٍ ، وكانَ هذا النَّوْعُ مِنَ التَّحِيَّةِ جائِزاً في شَرْعِهِمْ .

وقالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ لأَبيهِ : هذا السُّجودُ الَّذي سَجَدْتُموهُ لي الآنَ هُوَ تَأْويلُ الرُّؤْيا الَّتي رأَيْتُها في صِغَري ، ها هِيَ تَتحقَّقُ الآنَ وأَرى تَفْسيرَها بَعْدَ أَنْ مَضى عَلَيْها كُلُّ هذا الزَّمَنِ ، وكانَتِ الرُّؤْيا الَّتي رآها يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ هِيَ : سُجودُ الشَّمْسِ والقَمَرِ وأَحَدَ عَشَرَ كَوْكباً لَهُ .

ثُمَّ بَيَّنَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ عَظيمَ نِعْمَةِ اللهِ تَعالى عَلَيْهِ فَقالَ : وَقَدْ أَحْسَنَ بي رَبِّي إذْ أَخْرَجَني مِنَ السِّجْنِ بَعْدَ أَنْ مَكَثْتُ فيهِ سَنواتٍ ، وأحْسَنَ بي إذْ جاءَ بِكُمْ عِنْدي مِنَ البادِيَةِ حَيْثُ كُنْتُمْ تُعانونَ مِنْ شَظَفِ العَيْشِ وَصُعوبَةِ الإقامَةِ ، وأَحْسَنَ بي رَبِّي وأَنْعَمَ عَلَيَّ بِهذِهِ النِّعَمِ بَعْدَ ما أَفْسَدَ الشَّيطانُ بَيْني وبَيْنَ إخْوَتي ، حَيْثُ أغْراهُمْ على فِعْلِ ما فَعَلوا بي ، ولَمْ يُفَصِّلْ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ ما فَعَلَهُ إخْوَتُهُ بِهِ تَلَطُّفاً بِهِمْ ، كما أَسْنَدَ ما حَصَلَ مِنْهُمْ إلى إغْراءِ الشَّيطانِ وإغْوائِهِ وَلَمْ يُسْنِدْهُ إلَيْهِمْ ، حَيْثُ سَبَقَ لَهُ العَفْوَ عَنْهُمْ فَتَرَكَ عِتابَهُمْ .

ثُمَّ قالَ : (إنَّ ربِّي لَطيفٌ لِما يَشاءُ) أيْ إنَّهُ سُبْحانَهُ لَطيفُ التَّدْبيرِ لِما يَشاؤُهُ مِنْ أُمورٍ ، حتَّى يَجيءَ على وَجْهِ الحِكْمَةِ والصَّوابِ ، وإذا أرادَ شَيْئاً هَيَّأَ لَهُ الأَسْبابَ ، وإنْ كانَ في غايَةِ البُعْدِ عَنِ البالِ ، وهَلْ كانَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ يَظُنّونَ حينَ أَلْقَوْا أَخاهُمْ في البِئْرِ أَنَّهُمْ سَيَلْتَقونَ بِهِ بَعْدَ سَنواتٍ وهُو في عِزٍّ وَسُلْطانٍ وهُمْ في حاجةٍ وَضَعْفٍ ، (إنَّهُ هُو العَليمُ) بِمصالِحِ عِبادِهِ وأَحْوالِهِمْ (الحَكيمُ) في كُلِّ ما يَقولُ ويَفْعَلُ ويَحْكُمُ بِهِ بَيْنَ عِبادِهِ .

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

ثُمَّ اتَّجَهَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى رَبِّهِ بالحَمْدِ على نِعَمِهِ وبالدُّعاءِ الصَّادِقِ فَقالَ : يا إلَهي يا مَنْ رَبَّيْتَني وَكَفِلْتَني ، وأنْعَمْتَ عَلَيَّ فَوَهَبْتَني نَصيباً مِنَ الحُكْمِ والسُّلْطانِ وعَلَّمْتَني ما لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ مِنْ تَأْويلِ الأَحْلام وتَفْسيرِها ، يا خالِقَ السَّماواتِ والأَرْضِ ومُبْدِعَهُما ، يا مُتَوَلِّي أُموري في الحَياةِ الدُّنْيا وفي الآخِرَةِ ، أَضْرَعُ إِلَيْكَ خاشعاً وأَدْعوكَ أَنْ تَتَوَفاني مُؤْمِناً بِكَ مُخْلِصاً لَكَ وَأَلْحِقْني يا رَبُّ بالصَّالِحينَ مِنْ عِبادِكَ واجْعَلْني مِنْهُمْ .

وَبهذا الدُّعاءِ الجامِعِ الَّذي تَوَجَّهَ بِهِ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى رَبِّه ، بَعْدَ أَنْ أَتَمَّ سُبْحانَهُ عَلَيْهِ نِعَمَهُ وَجَمَعَ لَهُ أَهْلَهُ وأَقَرَّ عَيْنَيهِ بِرُؤْيَةِ والِديهِ مَعَهُ في العِزِّ والمَكانَةِ ، تُخْتَتَمُ هذه القِصَّةُ المَليئةُ بالعِبَرِ والعِظاتِ ، وما أَجْمَلَهُ مِنْ خِتامٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ إظْهارِ الاعْتِناءِ بالوالِدَيْنِ وَبِرِّهِما وَتَكْريمِهِما وتَقْديمِهِما على غَيْرِهِما .

٢ـ لا يجوزُ في شَرْعِنا السُّجودُ لِغَيْرِ اللهِ تَعالى .

٣ـ تَحقُّقُ رُؤْيا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، بَعْدَ وَقْتٍ طويلٍ حَسَبَ حِكْمَةِ اللهِ وأَمْرِه .

٤ـ تَقْديمُ حَمْدِ اللهِ تَعالى والثَّناءِ عَلَيْهِ بَيْنَ يَدَي الدُّعاءِ .

٥ـ عَدَمُ الانْشِغالِ عَنِ الدُّعاءِ وَذِكْرِ اللهِ تعالى بأَيِّ شَيءٍ وَلَوْ كانَ المُلْكَ والسُّلْطانَ .

٦ـ عَدَمُ التَعلُّقِ بالدُّنْيا وَزُخْرُفِها والتَّطَلُّعُ إلى الآخِرَةِ وما فِيها مِنْ نَعيمٍ دائِمٍ وَرِفْقَةٍ دائِمَةٍ لِلصَّالِحينَ .

٧ـ أَهَميَّةُ الدُّعاءِ بالوَفاةِ على الإيمانِ ، فإنَّ الأَعْمالَ بِخَواتيمِها .

٨ـ يَظْهَرُ في قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وإِخْوَتِهِ كَيْفَ يُجْري اللهُ قَدَرَهُ في عِبادِهِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لماذا مَيَّزَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَبَوَيْهِ في التَّكْريمِ ؟ وكَيْفَ مَيَّزَهُما ؟

٢ـ كَيْفَ تَحقَقَ تَأْويلُ رُؤْيا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٣ـ عَدِّدِ النِّعَمَ الَّتي أَنْعَمَ اللهُ تَعالى بِها على يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ والمَذْكُورَةَ في هذهِ الآياتِ .

٤ـ بماذا دَعا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٥ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآياتِ الكَريمَةِ دَليلاً على كُلٍّ مِمَّا يَلي :

أـ المُبالَغَةُ في تَوْقيرِ الأَبَوَيْنِ .

ب ـ جَوازُ سُجودِ التَّحيَّةِ في شَريعةِ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

ج ـ تَحَقُّقُ رُؤْيا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

د ـ كانَ يَعقوبُ وأبناؤُهُ يَعيشونَ في البادِيَةِ في فِلَسْطينَ ، ولَمْ تَكُنْ إقامَتُهُمْ في المُدُنِ .

هـ ـ اللهُ تَعالى يُدَبِّرُ الأُمورَ بِلُطْفٍ وَحِكْمَةٍ .

و ـ تَقديمُ الحَمْدِ بَيْنَ يَدَي الدُّعاءِ .

ز ـ الدُّعاءُ بالوَفاةِ على الإيمانِ .

ح ـ الصَّلاةُ مَنْزِلَةٌ عالِيَةٌ رَفيعَةٌ يَسْعى إلَيْها المُؤْمِنُ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً يَنْهى فيهِ الرَّسولُ ﷺ عَنِ الانْحِناءِ والرُّكوعِ في التَّحِيَّةِ .

٢ـ لَخِّصْ في دَفْتَرِكَ أَحْداثَ المَشْهَدِ الثَّالِثِ مِنْ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَضمَّهُ إلى المَشْهَدَيْنِ السَّابِقَيْنِ ، واعْرِضْهُ على طَلَبَةِ المَدْرَسَةِ في يومِ النَّشاطِ المَدْرَسِيِّ .

* * *

الدَّرْسُ العِشْرونَ

سورةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ العِشْرونَ

ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أجْمَعوا أَمْرَهُمْ : أحْكَموا تَدْبيرَهُمْ .

يَمْكُرونَ : يتآمَرونَ .

ذكرٌ للعالَمين : تَذْكِرَةٌ لِلنَّاسِ جميعاً .

وكأيِّنْ : وكَثيرٌ مِنْ .

مُعْرِضونَ : مُنْصَرِفونَ .

غاشِيةٌ : عُقوبَةٌ تَغْمُرُهُمْ .

بَغْتَةً : فَجْأَةً .

بَصيرةٍ : يَقينٍ .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ تَبْيينٌ أَنَّ ما عَلِمَهُ النَّبيُّ ﷺ مِنْ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلام إنَّما هُوَ وَحْيٌ

مِنَ اللهِ ، وَفيها تَبيينُ حالِ كَثيرٍ مِنَ النَّاسِ وَهوَ الكُفْرُ والإِعْراضُ عَنْ آياتِ اللهِ تعالى ، وتَبْيينُ مُهِمَّةِ الرَّسولِ ﷺ وَمَنْ تَبِعَهُ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

أيْ ذَلِكَ الَّذي قَصَصْناهُ عَلَيْكَ في هَذهِ السُّورَةِ مِنْ نَبأِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وإِخْوَتِهِ وما قَصَصْناهُ عَلَيْكَ في غَيْرِها مِنَ الأَخْبارِ الغَيْبِيَّةِ أَعْلَمْناكَ بِها وأَوْحَيناها إِلَيْكَ ، ومِمَّا يَشْهَدُ بِأَنَّ ما قَصَصْناهُ عَلَيْكَ في هَذهِ السُّورَةِ مِنْ أنْباءِ الغَيْبِ ، أَنَّكَ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ ما كُنْتَ حاضِراً مَعَ إِخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَقْتَ أَنْ أَحْكَموا تَدْبيرَهُمْ لِلْمَكْرِ بِهِ وتآمَروا عَلَيْهِ وَقَرَّروا إِبْعادَهُ عَنْ أَبيهِ ، وَلَمْ تَكُنْ حاضِراً سائِرَ أَحْداثِ هَذهِ القِصَّةِ ، ولَكِنَّا أَوْحَيناها إِلَيْكَ لِتُعْلِمَ النَّاسَ بِها لِيَنْتَفِعوا بِما فيها مِنْ عِبَرٍ وَحِكَمٍ .

﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

وبالرَّغْمِ مِنْ كَثْرَةِ الأَدِلَّةِ ـ وَمِنْها إِعْلامُكَ بِما حصَلَ بَيْنَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وإِخْوَتِهِ ـ الَّتي تَشْهَدُ بِأَنَّكَ رَسولُ اللهِ حَقّاً ، وأَنَّ القُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنونَ بِذلك ، ولَوْ حَرَصْتَ على أَنْ يُؤْمِنوا وَيُوَحِّدوا اللهَ وَيُطيعوا أَمْرَهُ وأَمْرَك ، فإِنَّهُمْ في غَفْلَةٍ عَنِ الحَقِّ وَبُعْدٍ عَنْهُ .

﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

أَيْ أَنَّكَ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ لا تَسْأَلُ النَّاسَ على هذا القُرآنَ الَّذي تَتْلوهُ عَلَيْهِمْ لِهِدايَتِهِمْ مِنْ أَجْرٍ وَلَوْ كانَ شَيئاً قَليلاً ، كَما يَفْعَلُ غَيْرُكَ مِنَ الأَحْبارِ والرُّهْبانِ ، وإِنَّما تَفْعَلُ ذَلِكَ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللهِ وَلِنَشْرِ دينِهِ ، وإِنَّ هذا القُرآنَ الَّذي تَقْرَأُهُ عَلَيْهِم ما هُوَ إِلاَّ تَذْكِرَةٌ لِلنَّاسِ جَميعاً ، وهِدايَةٌ لِلْخَلْقِ كافَّةً ، فالإِسْلامُ دينٌ عالَمِيٌّ جاءَ لِيُنْقِذَ البَشَرِيَّةَ كُلَّها مِنَ الضَّلالِ ويُرْشِدَها إِلى الخَيْرِ والهِدايَةِ .

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

وكَمْ مِنْ علامَةٍ دالَّةٍ على وُجودِ اللهِ تعالى وقُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ يَرَوْنَها في السَّماءِ كالشَّمْسِ والقَمَرِ والنُّجومِ والكواكِبِ ، وكَمْ يَرَوْنَ في الأَرْضِ مِنَ الآياتِ الَّتي تَدُلُّ على عَظَمَةِ اللهِ تَعالى كالجِبالِ والأَشْجارِ والبِحارِ وأَنْواعِ الحيوانِ والنَّباتِ ، ولكِنَّهُمْ يَمُرُّونَ عَنْها مُعْرِضينَ لا يَتَفَكَّرونَ ولا يَتَأَمَّلونَ في دَلالَتِها على وُجودِ الخالِقِ العظيمِ المُبْدِعِ سُبْحانَهُ وتَعالى .

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

وما يُؤْمِنُ أَكْثَرُ هؤلاءِ الضَّالينَ باللهِ حينَ يُقِرّونَ بِأَنَّهُ الخالِقُ المُدَبِّرُ ، إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكونَ بِهِ في العِبادَةِ ، فَيَعْبُدونَ مَعَهُ أَوْ مِنْ دونِهِ آلِهَةً أُخْرى .

وَمِنَ الشِّرْكِ باللهِ تَعالى وَصْفُ رِجالٍ بالأُلُوهِيَّةِ أَوِ الخُضوعِ لَهُمْ وَطاعَتِهِمْ دونَ اللهِ ، ومِنْهُ التَّوَجُّهُ

إلى غيْرِ اللهِ تَعالى بالدُّعاءِ ، واتِّباعُ الأَهْواءِ ، والرِّياءُ ، ومِنْهُ ما كانَ العَرَبُ في الجاهِلِيَّةِ يَقولونَهُ في تَلْبِيَتِهِمْ (لَبَّيكَ لا شَريكَ لَكَ ، إلاَّ شَريكاً هُوَ لَكَ ، تَمْلِكُهُ وما مَلَك) وكَيْفَ يَكونُ شَريكاً وَهُوَ مَمْلوكٌ ؟

﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٠٧ ﴾

هَلْ أَمِنَ هَؤلاءِ المُشركونَ أَنْ تُصيبَهُمْ كارِثَةٌ كُبْرى تُهْلِكُهُمْ وتَغْمُرُهُمْ جَزاءَ كُفْرِهِمْ باللهِ تعالى ، كما حَصَلَ مَعَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ مِنْ قَبْلِهِمْ ؟ وَهَلْ أَمِنوا أَنْ تأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ فَجْأَةً بِأَهْوالِها وَشَدائِدِها دونَ أَنْ يَشْعروا بِقُدومِها وَهُمْ مُسْتَمِرّونَ على شِرْكِهِم وَضلالِهِمْ ؟ إِنَّ أَمْنَهُمْ هذا دَليلُ غَفْلَتِهِمْ وَضَلالِهِمْ وَنِسْيانِهِمُ الآخِرَةَ وَلِذا فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَعودوا إلى رُشْدِهِمْ ويَحْذروا مِنْ غَضَبِ اللهِ تَعالى وعِقابِهِ .

﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ .

قُلْ أَيُّها الرَّسولُ الكريمُ لِهؤلاءِ المُعانِدينَ المُكابِرينَ ، هَذا مَنْهَجي وَطَريقي ، أَدْعو إلى تَوْحيدِ اللهِ تَعالى وَعِبادَتِهِ على يَقينٍ ثابتٍ قائِمٍ على الحُجَّةِ البَيِّنَةِ والبُرْهانِ الواضِحِ ، ومَنِ اتَّبَعني كذلكَ يَدْعونَ إلى اللهِ وهُمْ على يَقينٍ مِمَّا يَدْعونَ إليْهِ ، وأُنَزِّهُ اللهَ تعالى تَنْزيهاً كامِلاً ، فَهُوَ سُبْحانَهُ المُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ ، وما أنا مِنَ المُشْرِكينَ في عِبادَتِهِ وطاعَتِهِ في أيِّ وَقْتٍ وفي أيِّ عَمَلٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ عِلْمُ ما في قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ دَقائِقَ وتَفاصِيلَ مَصْدَرُهُ الوَحْيُ الصَّادِقُ ، فَهُوَ دَليلٌ عَلى نُبوَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ .

٢ـ ذَمُّ الغَفْلَةِ عَنْ آياتِ اللهِ الكَونيَّةِ وَعدمِ التَفكُّرِ بِها .

٣ـ الإيمانُ الصَّادِقُ يَنْبَغي أن يَخْلُوَ مِنْ كُلِّ شائِبَةٍ تُضادُّهُ كالرِّياءِ واتِّباعِ الهَوى ، وتَعْظيمِ غَيْرِ اللهِ ، وطاعَتِهِ في مَعْصِيَةِ اللهِ تعالى .

٤ـ الحَذَرُ مِنَ الهَلاكِ والدَّمارِ نَتيجَةَ الكُفْرِ والمَعاصي .

٥ـ تَعَيُّنُ الدَّعْوَةِ إلى اللهِ تعالى على كُلِّ مُتَّبِعٍ للرَّسولِ ﷺ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَصْدَرُ عِلْمِ النَّبيِّ ﷺ بِقصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٢ـ لماذا يَنْصَرِفُ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ عَنِ الإيمانِ باللهِ تعالى ؟

٣ـ كَيْفَ يُؤْمِنُ بَعْضُ النَّاسِ وَهُمْ مُشْرِكونَ ؟

٤ـ ما مُهِمَّةُ الرَّسولِ ﷺ وأتْباعِهِ ؟

٥ـ بَيِّنْ مَعنى ما تَحْتَهُ خَطٌّ فيما يلي :

أ ـ وما كُنْتَ لَدَيْهِم إذْ أجْمَعوا أَمْرَهُم وَهُمْ يَمْكُرونَ .

ب ـ وكأيِّن مِنْ آيةٍ في السَّماواتِ والأَرْضِ يَمُرّونَ عَلَيْها .

ج ـ أَفَأَمِنوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غاشِيَةٌ مِنْ عذابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعرونَ .

هـ ـ قُلْ هذهِ سَبيلي أدْعو إلى اللهِ على بَصيرةٍ أنا وَمَنِ اتَّبَعَني وسُبْحانَ اللهِ .

نَشاطٌ :

١ـ اذكُرِ الآيَةَ مِنْ آخِرِ سُورَةِ التَّوْبَةِ الَّتي تُبيِّنُ حِرْصَ الرَّسولِ ﷺ على أُمَّتِهِ واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبِ الآيَةَ الَّتي تَدُلُّ على أنَّ الرَّسولَ ﷺ أُرْسِلَ للناسِ كافَّةً .

٣ـ اكْتُبِ الآيَةَ مِنْ سُورَةِ الزُّمَرِ الَّتي تُبيِّنُ سَبَبَ عِبادَةِ المُشْرِكينَ لِلأَصنامِ وأنَّهُمْ يَتَقَرَّبونَ بِها إلى اللهِ تَعالى .

* * *

الدَّرْسُ الحادي والعِشْرونَ

سورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الحادي والعِشْرونَ

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

عاقِبَةُ : مَصيرُ .

اسْتَيْأَسَ : اسْتَحْكَمَ اليَأْسُ فيهِمْ .

بَأْسُنا : عَذابُنا .

عِبرةً : عِظَةً .

لأُولي الأَلْبَاب : لأَصْحابِ العُقولِ .

يُفْتَرى : يُخْتَلَقُ .

بَيْنَ يَديهِ : ما تَقَدَّمَ عَلَيْهِ .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ حَديثٌ عَنْ سُنَّةِ اللهِ تعالى في إرْسالِ الرُّسُلِ ، وإهْلاكِ المُكَذِّبين مِنْ أَقْوامِهِمْ ، وَعَنْ هَدَفِ ذِكْرِ قَصَصِهِمْ وأَخْبارِهِمْ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ .

يُخاطِبُ اللهُ تعالى رَسولَهُ ﷺ قائلاً : إنّنا ما أَرْسَلنا مِنْ قَبْلِكَ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ إلاّ رجالاً مِثْلَكَ ، نُوحي إلَيْهِمْ بما نَشاءُ مِنْ أمْرِنا ، ولَمْ نَجْعَلْهُمْ مِنَ النِّساءِ ، أَوْ مِنَ المَلائِكَةِ أَوْ مِنَ الجِنِّ ، لِيكونوا أقْرَبَ إلى النُّفوسِ ، لأَنَّهُمْ مِنْ جِنْسِ البَشَرِ ، وأَقْدَرَ على حَمْلِ أعباءِ الدَّعْوةِ لأنّهمْ مِنَ الرِّجالِ ، واصْطَفيناهُمْ مِنْ بَيْنِ أهْلِ القُرى والمُدُنِ ، لِما فيهِمْ مِنْ خَصائِصَ ومَزايا يَتحلَّونَ بها ، فَلَسْتَ أَيُّها الرَّسولُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ ، وهاهُمْ قَوْمُكَ قَدْ ساروا في الأَرْضِ وَرَأَوْا كَيْفَ كانَ مَصيرُ الأُمَمِ السَّابِقَةِ بَعْدَ أَنْ كَذَّبوا رُسُلَهُمْ ، ولكنَّهُمْ لَمْ يَتَّعِظوا بما رَأَوْا وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الجَهالَةُ والغَفْلَةُ ، وكانَ الأَوْلى بِهِمْ أَنْ يَنْتَفِعوا بما رَأَوْا وسَمِعوا . وفي هذا تَوْبيخٌ لِمَنْ لَمْ يَعْتَبِرْ بِمَصيرِ مَنْ سَبَقَهُ . ثُمَّ يُخْبِرُ سُبْحانَهُ أَنَّ دارَ الآخِرَةِ وما فيها مِنْ نَعيمٍ دائِمٍ خَيْرٌ لِلَّذينَ اتَّقَوا اللهَ وأطاعوهُ ، ويُوَجِّهُ الخِطابَ لِلْمُشْرِكينَ بِقَوْلِهِ (أَفَلاَ تَعْقِلونَ) أفَلا تَستَعْمِلونَ عُقولَكُمْ وتُدْرِكونَ أَنَّ العاقِبَةَ الحَسَنَةَ لِمَنْ آمَنَ باللهِ واتَّقاهُ وعَمِلَ صالِحاً .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ .

هذهِ الآيَةُ تَبْشيرٌ لِلنَّبيِّ ﷺ والمُؤْمِنينَ ، فإنَّهُ تَعالى يَأْتي بالنَّصْرِ لِلنَّبيِّ والمُؤْمِنينَ مَعَهُ عِنْدَ اشْتِدادِ الأَزْمَةِ ، وتَيَقُّنِ النبيِّ أَنَّ قَوْمَهُ قَدْ كَذَّبوهُ ، ويَأْسِهِ مِنْ إيمانِهِمْ ، فَفي هذهِ اللَّحْظَةِ يَأْتي نَصْرُ اللهِ ، فَيُهْلِكُ الكَفَرَةَ المُكَذِّبينَ ، ويُنْجي المُؤمِنينَ المُصَدِّقينَ ، ولا يَمْلِكُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ عَذابَ اللهِ عَنْ قَومٍ أَجْرموا بِكُفْرِهِمْ وتَكْذيبِهِمْ .

وهَذِهِ الآيَةُ وَعيدٌ لِكُفَّارِ قُرَيشٍ وَكُلِّ مَنْ أَشْبَهَهُمْ مِمَّنْ يُعْرِضُ عَنْ دَعْوَةِ النَّبيِّ ﷺ ولا يَتَّبِعُهُ ويَتمادَى في كُفْرِهِ إلى دَرَجَةِ تَيَقُّنِ النبيِّ وأَتْباعِهِ مِنْ عَدَمِ إيمانِهِ وإِصْرارِهِ على الكُفْرِ ، فإنَّ عذابَ اللهِ إذا نَزَلَ لا يَرُدُّهُ أَحَدٌ ولا يَصْرِفُهُ عَنِ المُجْرمينَ ومُسْتَحِقيهِ أَيُّ صارِفٍ .

﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ .

لَقَدْ كانَ في قَصَصِ الأَنْبياءِ السَّابِقينَ وما جَرى بَيْنَهُم وَبَيْنَ أَقْوامِهِم عِبْرَةٌ وَعِظَةٌ لأَصْحابِ العُقولِ السَّليمةِ والأَفْكارِ القَويمةِ ، لِما اشْتَمَلَ عَلَيْهِ هذا القَصَصُ مِنْ حِكَمٍ وَفَوائِدَ ، وهِيَ قَصَصُ حَقٍّ وَصِدقٍ ولَيْسَتْ حديثاً مُخْتَلَقاً أَوْ كلاماً مَكْذوباً لَمْ يَحْصُلْ ، ولكنَّها وَحْيٌ مِنَ اللهِ تَعالى أَنْزَلَهُ على رَسولِهِ ﷺ ، وُهو مُوافِقٌ لِما وَرَدَ في الكُتُبِ الإِلهيَّةِ السَّابِقَةِ ، مُؤَيِّدٌ لِما فيها مِنْ أَخْبارٍ صَحيحةٍ لَمْ

تُحرَّفْ أَوْ تُبدَّلْ ، ومُصَحِّحٌ لِما وَقعَ فيها مِنْ تَحْريفٍ وتَغْييرٍ ، وفي القُرْآنِ أيْضاً تَفْصيلُ كُلِّ شَيءٍ مِن العقائِدِ والأَحْكامِ والآدابِ ، وفيهِ الهُدى والرَّحْمَةُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَيَلْتَزِمُ بِأَمْرِهِ ، ويَعْمَلُ بما فيهِ ، ويَنْتَفِعُ بما اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَرٍ وَحِكَمٍ .

وَمَنْ يَتأَمَّلْ في قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ المَذكورَةِ في هَذهِ السُّورَةِ يَجدْ فيها الكَثيرَ مِنَ العِبَرِ العَظيمةِ والحِكَمِ الجَليلةِ ، الدَّالةِ على عَظَمَةِ اللهِ تَعالى وقُدْرَتِهِ وأنَّهُ الفعَّالُ لِما يُريدُ ، وَرِعايَتِهِ لأَهْلِ طاعَتِهِ ، وأَنَّ الابْتِلاءاتِ والفِتَنَ لها صُوَرٌ مُتعدِّدَةٌ ، وأشْكالٌ كثيرةٌ ، وأنَّ على الدَّاعي إلى اللهِ أَنْ يَصْمِدَ في وَجْهِها ويَلْجأَ إلى اللهِ تعالى لِعِصْمَتِهِ مِنْها ، وأَنْ يَغْتَنِمَ كُلَّ فُرْصَةٍ لِلدَّعْوَةِ إلى اللهِ ، وأَنْ يَعْفوَ ويَصْفَحَ عَمَّنْ أساءَ إليهِ ، وأَنْ يُحْسِنَ تَدْبيرَ الأُمورِ وَيَتَدَرَّجَ في الإِصْلاحِ وتَنْفيذِ المُرادِ ، وأَنْ يَجْعَلَ تَطَلُّعَهُ لِلآخِرَةِ أَكْثَرَ مِنَ الدُّنْيا . . . إلى غَيْرِ ذَلكَ مِمَّا حَوَتْهُ السُّورةُ الكريمةُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ اختارَ اللهُ تعالى الرُّسُلَ رِجالاً لِيكونوا أَقْدَرَ على تَحملِ أَعْباءِ الدَّعْوةِ ، وأَقْرَبَ إلى نُفوسِ المَدْعوِّينَ .

٢ـ على المَرْءِ أَنْ يُعْمِلَ عَقْلَهُ ، ويَتَفَكَّرَ في مَصيرِ الأُمَمِ السَّابِقَةِ وَسَبَبِ هَلاكِهِمْ ، لِيَبْتَعِدَ عَنْ أَسْبابِ الهَلاكِ والدَّمارِ .

٣ـ لا يأْتِي النَّصْرُ إلاَّ بَعْدَ الشِّدَّةِ والمُعاناةِ والحاجَةِ الماسَّةِ إليهِ وانْتِظارِهِ وتَرَقُّبِهِ .

٤ـ إيرادُ القَصَصِ في القُرْآنِ الكريمِ لِلْعِبْرَةِ والعِظَةِ .

٥ـ القُرْآنُ كِتابُ الهِدايَةِ والرَّحْمَةِ ، ولا يَنْتَفِعُ مِنْهُ إلاَّ المُؤْمِنونَ .



التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الحِكْمَةُ مِنَ اخْتيارِ الرُّسُلِ مِنَ البَشَرِ ؟ وَمَنْ كَوْنِهم رِجالاً ؟

٢ـ مَتَى يَأْتِي النَّصْرُ للرُّسُلِ وأَتْباعِهِمْ ؟ وما الحِكْمَةُ في ذَلِكَ ؟

٣ـ ما فائِدةُ ذِكْرِ القَصَصِ في القُرْآنِ الكَريمِ ؟

٤ـ اذْكُرْ خَمْساً مِنَ العِبَرِ المُسْتَنْبَطَةِ مِنْ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

٥ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآياتِ الكَريمَةِ دَليلاً على كُلٍّ مِمَّا يَلي :

أ ـ اللهُ تَعالى يَخْتارُ الرُّسُلَ مِنَ الرِّجالِ .

ب ـ تَوْبيخُ الّذينَ يَسيرونَ في الأَرْضِ ولا يَنْتَفِعونَ مِنْ مَصيرِ السَّابِقينَ .

ج ـ إذا جاءَ نَصْرُ اللهِ هَلَكَ المُكَذِّبونَ وَنَجاالمُؤْمِنونَ .

د ـ لا أَحَدَ يَسْتطيعُ مَنْعَ عَذابِ اللهِ عَنِ المُجْرِمينَ .

هـ ـ القَصَصُ القُرْآنِيُّ لَيْسَ حَديثاً مُخْتَلَقاً وَلا كَذِباً .

و ـ في القُرْآنِ الكريمِ تَصْديقُ ما في الكُتُبِ السَّماوِيَّةِ السَّابِقَةِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثّاني والعِشْرونَ

سورَةُ الرَّعْدِ ـ القِسْمُ الأوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورةُ الرَّعْدِ سورَةٌ مَكيّةٌ على الرّاجحِ مِنْ أقوالِ العُلَماءِ ، وسُمِّيَتْ بهذا الاسْمِ لِوُرُودِ تَسْبيحِ الرَّعْدِ بِحَمْدِ اللهِ تَعالى فيها ، ومَوْضوعُ السورةِ الرَّئيسُ هو : إقامَةُ الأدِلَّةِ المُتنوِّعَةِ على كمالِ قُدْرَةِ اللهِ تَعالىٰ ، مِنْ خِلالِ لَفْتِ النَّظَرِ إلى ما في هذا الكَوْنِ من بَديعِ الخَلْقِ الشّاهدِ على عَظَمَةِ خالقِهِ سُبْحانَه ، ومِنْ مَوْضوعاتِ السّورَةِ : إثباتُ أنَّ القُرْآنَ مِنْ عندِ اللهِ تعالى ، والرَّدُّ على المُشْرِكينَ ، وتَقْريرُ عِلْمِ اللهِ الشّاملِ لِكُلِّ شَيءٍ صَغيرٍ وكَبيرٍ في هذا الكَوْنِ ، وتَثْبيتُ قَلْبِ النَّبيِّ ﷺ في مُواجَهَةِ أذى المُشْرِكينَ ، وذِكْرُ صِفاتِ المُؤْمِنينَ وما أَعدَّهُ اللهُ تَعالى لَهُمْ مِنْ ثَوابٍ ونَعيمٍ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

عَمَدٍ	دعائمَ .
يُدبِّرُ الأمرَ	يُصرِّفُه حَسَبَ ما يشاءُ .
تُوقِنونُ	تُصدِّقُونَ تَصْديقاً جازِماً لا رَيْبَ فيهِ .
مَدَّ الأَرْضَ	بَسَطَها .
رواسِيَ	جِبالاً ثَوابتَ .
يُغشِي	يُغطِّي .
قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ	قِطَعٌ مُختلِفَةٌ من الأرضِ تُجاوِرُ بَعْضَها بَعْضاً .
صِنْوانٌ	نَخْلاتٌ مُجتَمِعَةٌ تتشعَّبُ من أَصْلٍ واحدٍ .
الأُكُل	الثَّمَر .

التفسيرُ :

﴿ الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾ .

تبدأُ السّورةُ الكريمةُ بهَذِهِ الحُروفِ المُقطَّعَةِ : أَلِفْ لامْ ميمْ را ، وفيها إشارةٌ إلى أنَّ هذا القُرْآنَ إنَّما هو مِنْ جنسِ الحُروفِ التي تتكلَّمُونَ بها ، فإنْ كُنتُم في شكٍّ من كَوْنهُ منزَّلاً مِنْ عندِ اللهِ فأتُوا بِمِثْلِهِ أو بِمِثْلِ سورةٍ منهُ ، فإنْ عَجَزْتُم ، وقد حَصَلَ ذلكَ ، وجَبَ عَلَيْكُمْ الإيمانُ بأنَّه كلامُ اللهِ تعالى .

﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ ﴾ تلك الآياتُ التي أنزَلْناها عَلَيْكَ هِيَ آياتُ الكِتابِ العَظيمِ ، وما أنزلَهُ اللهُ تعالى في هذا الكِتاب هُوَ الحقُّ الخالِصُ الثَّابتُ ، الَّذي لا مَجال لِلشَّكِّ ، والارْتِياب فيهِ ، وهو مُنزَّلٌ (من ربِّكَ) أيها الرسولُ الكريمُ الذي تعهَّدَك بالرعايةِ والتربيةِ ، ولكنّ أكثرَ الناسِ لا يُؤمنِونَ بِهذا القُرْآنِ المُنزَّلِ عَلَيْكَ مِنْ ربِّكَ ، فَهُم مُتَّبِعُونَ لأهوائِهِمْ ، ومُؤْثِرونَ للعِنادِ على الحَقِّ المُبينِ .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ .

أيْ : اللهُ سُبحانَهُ هو الَّذي رَفَعَ هذه السَّمواتِ الهائِلَةَ في ضَخامَتِها ، والمُتقَنَةَ في صُنْعِها بِغَيْرِ

أَعْمِدَةٍ تَعْتَمِدُ عليها ، وأنتُمْ تَرَوْنَ ذلك بأَعْيُنِكُم ، ثُمَّ اسْتَوى سُبْحانَه على العَرْشِ اسْتواءً يَليقُ بجَلالِه وعَظَمَتِهِ ، ومِنْ مظاهِرِ قُدْرَتِهِ سُبْحانَهُ أنَّه سَخَّرَ الشَّمسَ والقَمَرَ ، فَهُما مُطيعانِ لأَمْرِهِ ، يَسيرانِ وَفْقَ ما قدَّرَ لَهُما لِيَنتفعَ البَشَرُ منهُما ، وهُما يَجْريان في المَجرى المُخَصَّصِ لِكُلٍّ منهُما ، ومُسْتَمِرَّانِ على ذَلِكَ ، إلى الوَقْتِ الَّذي حَدَّدَهُ اللهُ تَعالى لَهُما ، واللهُ هو الّذي يُصَرِّفُ أُمورَ خَلْقِهِ على أَكْملِ الوُجوهِ ، ويُنَزِّلُ الآياتِ مِنَ القرآنِ واضِحَةً مُفَصَّلَةً ، دالَّةً على عَظيمِ صُنْعِهِ وجَليلِ حِكْمَتِهِ ، لِنَتفكَّرَ فيها ونُؤمِنَ إيماناً راسِخاً بِلقاءِ اللهِ تَعالى يَوْمَ القِيامةِ ، فإنَّ القادرَ على رَفْعِ السَّمواتِ بلا عَمَدٍ ، وتَسْخيرِ الشَّمْسِ والقَمَرِ قادرٌ كذلكَ على إحياءِ الإنسانِ بعدَ مَوْتِهِ لِيُجازِيَهُ على عَمَلِهِ .

وفي الآيةِ الكريمة التعبيرُ عَنْ رَفْعِ السَّمواتِ وتسخيرِ الشَّمْسِ والقَمَرِ بالفِعْلِ الماضي (رَفَعَ) و(سخَّرَ) لأنَّها أُمورٌ قَدْ تمَّتْ واسْتَقَرَّتْ ، والتَّعبيرُ عن تَدْبيرِ الأُمورِ وتَفْصيلِ الآياتِ بالفِعْلِ المُضارِعِ (يُدَبِّرُ) (يُفَصِّلُ) لأنَّهما مُتجدّدان ومُسْتَمِرّانِ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

بعدَ أنْ ذكرَ سُبْحانَه بعْضَ مَظاهِرِ قُدْرَتِهِ في السَّمواتِ ، أَتْبَعَهُ بذِكْرِ بعضِ هَذهِ المَظاهِرِ في الأَرْضِ ، فأخبرَ سُبْحانَهُ أَنَّهُ الَّذي بَسَطَ الأَرْضَ لِيُسَهِّلَ على الناس الانْتِفاعَ بها ، ولا تَعارُضَ بينَ بسْطِ الأرضِ وكَوْنِها كُرويّةً ، فإنَّ بَسْطَها دليلُ كُرَويّتِها ، وهي مَبْسوطةٌ حَسَبَ رُؤْيَةِ العيْنِ وممتدَّةٌ إلى غَيْرِ حدٍّ لأنَّها كُرويّةٌ ، وجَعَلَ سُبْحانَهُ في الأَرْضِ جبالاً ثَوابتَ راسِخاتٍ لتحفظَها مِنَ الاضْطِرابِ والاخْتِلالِ ، وجَعَلَ فيها أَنهاراً جاريةً لِيَنْتَفعَ منها الناسُ ، والحيوانُ ، ولينبُتَ بها الزَّرْعُ والشَّجَرُ ، وجَعَلَ فيها مِنْ كلِّ أنْواعِ الثمراتِ زوجيْنِ اثنيْنِ ، ذكراً وأُنثى ، وهذهِ حقيقةٌ عِلْميَّةٌ توصَّلَ إليْها العِلْمُ الحديثُ ، وسَبَقَ القرآنُ الكريمُ إلى تقريرِها ، مِمّا يُؤكدُ أنَّه كلامُ الخالِقِ المُبْدِعِ .

ومِنْ مَظاهِرِ قُدْرَتِهِ سبحانَهُ أنّه جَعَلَ الليلَ يُغطّي ضوءَ النَّهارِ فَيَرْتاحُ الناسُ فيهِ ، وجَعَلَ النَّهارَ يُغطّي الليلَ بِضيائِهِ فَيَنطلقُ الخَلْقُ إلى مَعاشِهِم ومَنافِعِهِم ، إنَّ في هَذهِ الآياتِ المُتعدِّدَةِ عَلاماتٍ وبَراهينَ دالَّةً على وَحْدانيةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ ، وعَظَمَتِهِ ، يُدْرِكُها مَنِ اسْتَعْمَلوا عُقولَهُم ، وتفكّرُوا فيها وتأمّلوا في بَديعِ خَلْقِ اللهِ .

﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ .

ومِنْ مظاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ وعَظمتهِ أنّه جعَلَ في الأَرْضِ بِقاعاً كَثيرةً مُتجاوِرَةً ، ومَعَ ذَلِكَ فَهِيَ مُخْتَلِفَةٌ في أَوْصافِها وطَبيعَتِها ، فمِنْها قِطَعٌ تُنبِتُ بَساتينَ كَثيرةً تَشْتَمِلُ على أشْجارِ الكُرومِ الّتي تُنْبِتُ العِنَبَ ، وأَنْواعٌ أُخرىٰ مِنَ الأَشْجارِ والزُّروعِ ، ومِنْها قِطَعٌ لا تُنبِتُ زَرْعاً ولا شَجَراً .

وشجَرُ النَّخيلِ كَذلكَ مُختلِفٌ فمنهُ النَّخْلاتُ المُشتعِبَةُ من أصلٍ واحِدٍ فَهِيَ صِنوانٌ ، ونَخْلاتٌ لا يَجْمَعُها أصْلٌ واحِدٌ بل كُلٌّ مِنْها على أصْلٍ فَهِيَ غيرُ صِنْوانٍ ، وكلُّ هذهِ الأَصْنافِ المُتعدِّدَة مِنَ النَّباتاتِ والمُختلِفَةِ في أشْكالِها ، وأحْجامِها ، وطعْمِ ثِمارِها ، والمُتميزةِ فيما بَيْنَها بجودةِ الطَّعْمِ وحُسْنِهِ ، إنَّما تُسقى بماءٍ واحِدٍ وتَنبُتُ في أَرْضٍ واحِدَةٍ ، وَمَع ذلك بَيْنَها كُلٌّ هذا التفاوتِ والاختلافِ ، وهذا مِنْ أَوْضحِ الأدِلَّةِ على وَحْدانيةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ ، ولا يتأمَّلُ في هذهِ الآياتِ ولا يَنْتفِعُ مِنْها إلاّ القَوْمُ الّذينَ يَسْتَعْمِلُونَ عُقولَهُم ويُدْرِكُونَ بها بَديعَ الخَلْقِ ، ودَلالَتَهُ على المُوجِدِ سُبْحانَهُ .

واقْتَصَرَتِ الآيَةُ الكَريمةُ على ذِكْرِ التَّفْضيلِ بَيْنَ أصْنافِ النَّباتِ بالثَّمَرِ والطَّعْمِ ، لأنهُ أَعْظمُ منافِعِها ، وأَظْهَرُ أَوْجُهِ الاخْتِلافِ بَيْنَها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ في الكونِ الواسعِ كثيرٌ مِنَ الآياتِ الدَّالَّةِ على عَظَمةِ اللهِ تعالى .

٢ـ مِنْ فوائدِ الجبالِ أنَّها تحفظُ الأرْضَ مِنْ أَنْ تَضْطَرِبَ وتختلَّ .

٣ـ حُصولُ الاخْتِلافِ في الأرْضِ بالرّغمِ مِن تَقارُبِها وتجاوُرِها ، وحُصولُ الاختلافِ بين أنواعِ النباتِ وأشكالهِ ، مِنْ أعظمِ الأدلَّةِ على قُدْرَةِ اللهِ تعالى .

٤ـ على المرْءِ أنْ يتفكَّرَ في مَخْلوقاتِ اللهِ الدَّالَّةِ على عَظَمَتِه سُبْحانَهُ .

٥ـ عَرْشُ الرّحمنِ أَعْظَمُ المخلوقاتِ وأطْهَرُها وأفْضَلُها ، استوى عليهِ اللهُ استواءً يليقُ بجلالهِ وعَظَمَتِه .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذكرْ أبرزَ مَوْضوعاتِ سورةِ الرَّعدِ .

٢ـ ما سَبَبُ افْتِتاحِ هذهِ السّورةِ وغَيْرِها مِنَ السُّورِ بالحُروفِ المُقطَّعَةِ ؟

٣ـ عدِّدْ ما ذَكَرَتْهُ الآياتُ الكريمةُ مِنَ المَخْلوقاتِ الدالَّةِ على عَظَمةِ مُوجِدِها .

٤ـ على ماذا يَدُلُّ اخْتِلافُ ثِمارٍ وطُعومِ أصْنافِ النَّباتاتِ المُختلِفَةِ مَعَ أنها تُسقى بماءٍ واحدٍ ؟

٥ـ بَيِّنْ معنى كُلٍّ مِمّا يلي :

أ ـ بغيرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها .

ب ـ ثُمّ استوى على العرشِ .

ج ـ مَدَّ الأرْضَ .

د ـ يُغْشي اللّيلَ النَّهارَ .

هـ ـ قِطَعٌ مُتَجاوراتٌ .

و ـ صِنوانٌ وغيرُ صِنْوانٍ .

ز ـ ونُفَضِّلُ بعضَها على بَعْضٍ في الأُكُلِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ جوابَ الإمام مالكٍ لِمَنْ سألَهُ عن تفسير ﴿ثم اسْتَوى على العَرْشِ﴾ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ كيفَ يَتِمُّ حُصولُ الثَّمَرِ مِنَ الزَّهْرِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الثَّالثُ والعشرونَ

سورةُ الرَّعْدِ ـ القِسمُ الثَّاني

﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٦ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ٧ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩ ﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الأغلالُ : القُيودُ .

المَثُلاتُ : العُقوباتُ الشَّديدةُ الفاضِحَةُ .

لولا : هلاّ .

آيةٌ : مُعجزَةٌ .

تَغيضُ : تَنْقُصُ .

المُتعالِ : المُستعْلي على كُلِّ شيءٍ بقُدْرتِه .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ الرَّدُّ على المُشركينَ في إنكارِهِمُ البَعْثَ وطلَبِهِمُ الخَوارِقَ والمُعْجزاتِ ، وبَيانُ شُمولِ عِلْمِ اللهِ تَعالى لِكُلِّ صَغيرةٍ وكَبيرةٍ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

وإنْ تَعْجَبْ أيُّها الرَّسولُ الكريمُ مِنْ تكذيبهِم لكَ بعدَ ما كُنْتَ عِنْدَهُم الصَّادِقَ الأمينَ ، فالأَعْجَبُ مِنْ ذلكَ تكذيبُهُم البعثَ بعدَ ما ظهَرَ لَهُمْ مِنَ الآياتِ الكثيرةِ الدَّالَّةِ على قُدْرَةِ الخالقِ إعادةَ الخَلْقِ ، وهُمْ في إنكارهمُ البَعْثَ يقولُون : أئِذا كُنا تُراباً ، ونَخَرَتْ عِظامُنا بعد المَوْتِ أئِنّا بَعْدَ ذلكَ مبعوثُونَ إلى الحياةِ مَرّةً أُخرى ، فرَدَّ اللهُ تعالى عَلَيْهم مُبيّناً أنَّ أولئكَ الّذينَ يقولُونَ هذا القَوْلَ ويَسْتَبْعِدُونَ البَعْثَ قَدْ كَفرُوا بربِّهم ، وأُولئكَ سَتُوضَعُ القيودُ في أَيْديهِم وأعناقِهِم يومَ القيامةِ عندما يُساقُونَ إلى العذابِ ، وأُولئكَ هُمْ أصْحابُ النَّارِ لا يُغادِرُونَها ، ولا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِنْ عذابِها ، وإقامَتُهُمْ فيها دائِمَةٌ ثابِتَةٌ .

وإعادةُ اسْمِ الإشارةِ في الآيةِ (أولئكَ) أكْثَرُ مِنْ مَرّةٍ لتأكيدِ الأمْرِ المُشارِ إليْهِ في كُلِّ جُملةٍ مِنْها .

﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾ .

ويطلبُ مِنْكَ المُشْرِكُونَ أنْ تُعجِّلَ لَهُمُ العُقوبَةَ الّتي تُنذرُهُم بها بِسَبَبِ إصْرارِهم على الكُفْرِ ، ظَنّاً منْهُم أنَّ هذه العُقوبةَ لا تَحْصُلُ ، واسْتِهْزاءً منْهُم بكَ أيُّها الرَّسولُ الكريمُ ، وقَدْ مَضَتْ مِنْ قَبْلِهم عُقوباتُ الأُمَمِ السَّابقةِ الّتي هَلَكتْ وآثارُ تِلْكَ الأقوامِ ما زالَتْ ماثِلَةً أمامَ أعْيُنِهِمْ ، والأَوْلى بِهِمُ الاعْتِبارُ بها والتَّصديقُ بِوُقوعِ العذابِ على المُكذِّبينَ ، وإنَّ اللهَ تعالى ذو المَغْفِرَةِ الواسعَةِ العظيمةِ للنَّاسِ ، مَع ظُلْمِهِم ، لم يُعاجِلْ هؤلاءِ العُتاةَ الجاهِلينَ بالعُقوبةِ ، بَلْ أَمْهَلَهُمْ وأخَّرَهُم لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ عَنْ ضَلالِهِم ، وكما أنَّهُ سُبْحانَهُ ذو مَغْفِرَةٍ للنَّاسِ إنْ تابُوا وأصلَحُوا فإنَّهُ شَديدُ العِقابِ لِمَنْ أَصرَّ على كُفْرِهِ وعِصْيانِهِ . كما قالَ سُبْحانَهُ في مَوضِعٍ آخرَ : ﴿ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر : ٤٩-٥٠] .

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾

وممّا كانَ يقولُ أهلُ مكةَ كُفراً واستهزاءً بالنبيِّ الكريم : هلاَّ أُنْزِلَتْ عليه مُعجزةٌ مِنْ ربِّهِ ، كما حَصَلَ مع غيرِه مِنَ الأنبياءِ السّابقينَ مِنْ خوارقِ العاداتِ ، ويَردُّ اللهُ تعالى عَلَيْهِمْ بقوله : ﴿إنما أنت منذر﴾ أيْ إنَّ وظيفتَكَ أيُّها الرسولُ الكريمُ هي إنذارُ هؤلاءِ المُكذِّبينَ الجاحدينَ بسوءِ المَصيرِ إذا اسْتَمرُّوا على كُفْرِهِم ، وعِنادِهم ، ولَيْسَ مِنْ وَظيفَتِكَ الاسْتِجابةُ إلى طَلَباتِهم المُتعنِّتَةِ ، وقَدْ أيَدْناكَ بما يَكْفي الاسْتِدْلالُ بهِ على نُبُوَّتِكَ وَهُوَ القُرْآنُ الكريمُ ، ولكلِّ قَوْمٍ نبيٌّ يَهديهِمْ إلى الحَقِّ بالوسيلةِ المُناسِبَةِ لَهُمْ ، وبالمُعْجزَةِ الأَنْسَبِ لِحالِهِمْ ، ومُعجزَتُكَ أيّها النبيُّ هِيَ الأنْسَبُ لِحالِ هذه الأُمَّةِ .

﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ .

الله وحْدَهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُهُ كُلُّ أُنثى في بَطْنِها هَلْ هُوَ ذَكَرٌ أمْ أُنثى ؟ تامٌّ أمْ ناقِصٌ ؟ حَسَنٌ أم قبيحٌ ؟ صالحٌ أم غَيْرُ صالح ؟ وهُوَ وَحْدَهُ يَعْلَمُ ما يكونُ في الأَرْحام مِنْ نَقصٍ في الخِلْقَةِ أو زيادةٍ فيها ، ومِنْ نَقْصٍ في مُدة الحَمْلِ أو زيادةٍ عليها ، ومِنْ تَمامِ الحَمْلِ أو نُزولِ الجَنينِ قبلَ تمامِ خَلْقِهِ سَقطاً ، وكُلُّ شيءٍ عندَهُ تعالى بِقَدَرٍ وحدٍّ لا يتجاوزُه ولا يُنقِصُ مِنْهُ .

﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾

وهو سُبْحانَهُ عالِمُ كلِّ ما غابَ عَنِ الخلْقِ وما لَمْ يغِبْ عَنْهُم مِمّا يشاهِدُونَهُ ، فَهُو العَليمُ بكلِّ شيءٍ كمّاً وكيفاً ومَكاناً وَزماناً لا يَغيبُ عَنْ عِلْمِهِ شيءٌ في الأَرْضِ ، ولا في السَّماءِ ، وهو العَظيمُ الشَّأْنِ المُسْتَعلي على كُلِّ شَيْءٍ بِقُدْرَتِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ إنكارُ المُشْرِكينَ البَعْثَ مَدْعاةٌ إلى العَجَبِ .

٢ـ استِعْجالُ المُشرِكينَ وُقوعَ العَذابِ بِهِم مِنْ علاماتِ غُرورِهِمْ وعَدَمِ إعْمالِ عُقولِهِمْ .

٣ـ هيّأَ اللهُ تَعالى لكلِّ أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ ما يَكفي لِهدايَتِهِم بالوَسائلِ المُناسِبَةِ ولكنَّ أكثرَ الناسِ لَمْ يَتَّبِعُوا الهُدى .

٤ـ شُمولُ عِلْمِ اللهِ تعالى لِكُلِّ صَغيرٍ وكَبيرٍ ، وشاهِدٍ وغائِبٍ ، في هذا الكَوْنِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الأمرُ الذي يُمْكِنُ أنْ يَعجبَ منهُ الرَّسولُ ﷺ ؟ وما الأَمْرُ الأعْجَبُ منهُ ؟

٢ـ بماذا وَصَفَتِ الآيةُ (٥) الَّذين يُنْكِرُون البَعْثَ وما العِقابُ الَّذي أُعِدَّ لَهُم ؟

٣ـ ما السَّبَبُ الَّذي مِنْ أَجْلِهِ طَلَبَ المُشرِكونَ المُعجزاتِ الحسِّيَةَ ؟

٤ـ اذْكُرِ الأدِلَّةَ الوارِدَةَ في الآية (٨) على شُمولِ عِلْمِ اللهِ لِكُلِّ شَيءٍ ؟

٥ـ اذكُرْ دليلاً مِنَ الآياتِ الكَريمةِ على كُلٍّ مِمّا يلي :

ـ إنكارُ المُشْرِكينَ البَعْثَ مَعَ قيامِ الأدلَّةِ الكَثيرةِ عَلَيْهِ أَمْرٌ مُسْتَغربٌ .

ب ـ استعجالُ المُشركينَ العُقوبَةَ .

ج ـ أُعْطِيَ كُلُّ نَبيٍّ مِنَ الآياتِ ما يَكفي لِهداية قَوْمِهِ .

د ـ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ اللهِ تَعالى بِقَدَرٍ وَحَدٍّ .

هـ ـ شمولُ عِلْمِ اللهِ لِلْغَيْبِ والشَّهادَةِ .

٦ ـ بيِّنْ مَعنى الألفاظِ التاليةِ : الأغلالُ ، المَثُلاتُ ، تَغيضُ ، المُتعالِ .

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ آيةً تُبينُ ما طَلَبَهُ بنو إسْرائيلَ مِنْ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ لِيَكونَ دَليلاً على نُبوَّتِهِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الرّابِعُ والعِشْرونَ

سورَةُ الرَّعْدِ - القِسْمُ الثّالِثُ

سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **مُستَخْفٍ** : مُبالِغٌ في الاختفاءِ .
- **سارِبٌ** : بارزٌ ظاهِرٌ .
- **مُعَقِّباتٌ** : ملائكةٌ يَتعاقَبُونَ على حِفْظِهِ .
- **والٍ** : ناصِرٍ يَلي أمْرَهُمْ .
- **الثِّقالَ** : المليئَةَ بالماءِ .
- **يُجادِلونَ** : يُخاصِمُونَ .
- **المحالِ** : القُوّةِ والعُقوبَةِ .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكريمةِ تَبيينُ حِفْظِ اللهِ تعالى لِخَلْقِهِ ، وأنّه لا يُغيِّرُ أحْوالَهُمْ حَتّى يُغَيِّرُوا هُمْ

ما بأنفُسِهِم ، وأنَّ البَرْقَ والرَّعْدَ مِنْ آياتِ اللهِ يُخَوِّفُ بِها عِبادَهُ ، ويَجْعَلُ بِهِما البِشارةَ بالمَطَرِ والغَيْثِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ .

هذهِ الآيةُ الكَريمةُ تأكيدٌ آخرُ لِشُمولِ عِلْمِهِ سُبْحانَه بكلِّ شيءٍ فإنَّه يَستوي في عِلْمِهِ مَنْ أخْفى القَوْلَ في نَفْسِهِ وَلَمْ يَتَلفَّظْ بِهِ ، ومَنْ جَهَرَ بِهذا القَوْلِ ، وأعْلَنَهُ لِغيرِه ، كما يَستوي في عِلْمِهِ سُبْحانَهُ مَنْ هو مُبالِغٌ في الاخْتِفاءِ في الظُلْمَةِ الَّتي تكونُ باللَّيلِ ، ومَنْ هُوَ ظاهِرٌ بارِزٌ يَسيرُ في طَريقهِ بالنَّهارِ ، فَهُمْ جَميعاً في عِلْمِ اللهِ تَعالى سَواءٌ .

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ .

الضَّميرُ في (لَهُ) يَعودُ على (مَنْ) المَذكورِ في الآيةِ السَّابقةِ ، أيْ : أنَّ لِكُلِّ مَنْ أسرَّ القَوْلَ أوْ جَهرَ بِهِ مَلائكةٌ يَتعاقَبُونَ عَلَيْهِ باللَّيْلِ والنَّهارِ ويُحيطُونَ بِهِ لِحِفْظِهِ ورِعايتِهِ .

وحِفْظُ المَلائكةِ لِلإنْسانِ إنَّما هُوَ بأمْرِ اللهِ تَعالى لَهُمْ ، فإذا وَقَعَ قَدَرٌ مِنَ اللهِ خَلَّوْا بينَهُ وبَيْنَ قَدَرِ اللهِ .

وَقَدْ وَرَدَ في عَدَدٍ مِنَ الأحاديثِ ما يُؤكِّدُ مَلازَمَةَ المَلائكَةِ للإنْسانِ وتَعاقُبَهُمْ عَلَيْهِ ، ومِنْ ذلكَ قَوْلُهُ ﷺ : « يَتَعاقَبُونَ فيكُم ملائكةٌ بالليلِ وملائكةٌ بالنهارِ ويجتمِعُونَ في صلاةِ الصُّبحِ وصلاةِ العَصْرِ ، فَيَصْعَدُ الَّذينَ باتُوا فيكُم فيسأَلُهُم ربُّهُم وهو أعْلمُ بِهِمْ : كَيْفَ تركْتُم عبادِي ، فيقولُونَ : أتَيْناهُم وهم يُصَلُّونَ وترَكْناهُم ، وهُمْ يُصَلُّونَ . . . . »[1] .

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحانَهُ أنَّ مِنْ سُنَّتِهِ أنْ لا يُبدِّلَ ما بِقَوْمٍ مِنْ خَيْرٍ ونِعْمَةٍ ، وعافيةٍ حتى يُغَيِّرُوا هُمْ ما بأنفُسِهِمْ مِنْ طاعةٍ إلى مَعْصِيةٍ ومِنْ صَلاحٍ إلى فَسادٍ ، فَيَسْتَحِقُّونَ حينئذٍ الحِرْمانَ مِنَ النِّعْمَةِ ، وتغيُّرِ الحالِ ، وإذا أراد اللهُ تعالى بِقَوْمٍ سوءاً مِنْ عذابٍ أوْ هَلاكٍ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَضلالِهِمْ ، فلا دافِعَ لِعَذابِهِ ، ولا رادَّ لِقَضائِهِ ، وَقدَ يأْتي الإنْسانُ الفِعْلَ الَّذي فيهِ هَلاكُهُ ودَمارُهُ وهُوَ يَظُنُّه نافِعاً لَهُ فَيَهْلِكُ باخْتِيارِهِ ورِضاهُ .

وليسَ لِلْبَشَرِ مِنْ دون اللهِ تعالى ناصِرٌ منهُ يَرْفَعُ عنْهم عِقابَهُ أوْ ما يُريدُ إنزالَهُ بِهِمْ مِنْ سوءٍ بِسَبَبِ تَغييرِ ما بِأَنفُسِهِمْ فلْيحذَرُوا عِقابَه وليبتَعِدوا عَنْ أسبابِ هذا العِقابِ .

---

(١) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ، رقم الحديث ٥٢٢ ، ورواه مسلم في كتاب المساجد ، ومواضع الصلاة رقم الحديث ١٠٠١ .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

اللهُ الَّذي يُريكُمُ البَرْقَ ، وهو النورُ اللامعُ الَّذي يَظْهَرُ مِنْ خِلالِ السَّحاب ، ويترتَّبُ على رُؤيةِ البَرْقِ أنْ يخافَ بعضُكُمْ ما يُمْكِنُ أَنْ يَنْتُجَ عنهُ مِنْ صَواعِقَ أو سيولٍ مُدمِّرَةٍ ، وأنْ يَطْمَعَ بَعْضُكُمْ فيما يَنْتُجُ مِنْ هذا البَرْقِ مِنْ مَطَرٍ نافِعٍ وما يعقُبُه مِنْ غَيْثٍ مُغيثٍ .

واللهُ تعالى هو الَّذي يُنشِئُ السُّحُبَ المُحمَّلَةَ بالماءِ ، ويُرْسِلُها إلى حَيْثُ يَشاءُ أنْ تُفْرِغَ حِمْلَها وتجودَ بمائِها فتَحيا بها الأرْضُ ويَنْبُتُ بها الزَّرْعُ .

﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ .

الرَّعْدُ : هُوَ الصَّوْتُ الَّذي يُسْمَعُ بَعْدَ البَرْقِ ، ويَحْدُثُ نَتيجةَ اصْطدامِ السُّحُبِ بِبَعْضِها ، وفي هذهِ الآيةِ الإخْبارُ بتَسْبيحِ الرَّعْدِ بحَمْدِ اللهِ كما أنَّ المَلائِكَةَ تُسبِّحُ اللهَ تعالى خَوْفاً مِنْهُ وإجْلالاً لِمَقامِهِ ، وتَسْبيحُ الرَّعدِ يَكونُ بكَيفيَّةٍ لا نَعلمُها كما لا نَعْلَمُ تَسبيحَ كثيرٍ مِنَ المَخْلوقاتِ الَّتي أَخْبَرَ اللهُ تَعالى أنَّها تُسَبِّحُهُ وتَحْمَدُهُ ، ونُؤْمِنُ بهذا التَّسْبيحِ ونُصَدِّقُهُ .

ثم أَخْبَرَ سُبْحانَه أنه يُرْسِلُ الصَّواعِقَ المُهْلِكَةَ المُحْرِقَةَ ، فَيُصيبُ بها مَنْ يَشاءُ مِنْ عبادِهِ .

ومَعَ كُلِّ هذهِ الآياتِ البيِّناتِ الدالَّةِ على عَظَمَةِ اللهِ تَعالى وكَمالِ قُدْرَتِهِ ، مِنْ بَرْقٍ لامِعٍ وسَحابٍ مُحمَّلٍ بالماءِ ، ورَعْدٍ مُسَبِّحٍ بحَمْدِ اللهِ ، فإنَّ الكافرينَ يُجادِلُون في عَظَمةِ اللهِ تَعالى وَوحدانيّتِه ، وَهُوَ سُبْحانَه عَظيمُ القُوّةِ ، شَديدُ العُقوبةِ لِمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بهِ وَلَمْ يُطِعْ أَمْرَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ ـ السرُّ والجَهْرُ ، والخَفاءُ والعَلَنُ ، في عِلْمِ اللهِ تَعالى سواءٌ .

٢ ـ الملائِكَةُ الكِرامُ تُرافِقُ الإنسانَ في حَياتِهِ وتَحْفَظُهُ بِأَمْرِ اللهِ ، ولِذا فَعَلَيْهِ أَنْ يَحْتَرِمَ وُجودَ هذهِ المَلائِكَةِ مَعَهُ .

٣ ـ تأكيدُ أنَّ الإنْسانَ هُوَ الَّذي يَبْدأُ بالتَّغييرِ مِنَ الخَيْرِ إلى الشرِّ أو عَكْسِهِ فإنْ فَعلَ ذَلِكَ غيّرَ اللهُ تَعالى الحالَ إلى ما يَسعى إلَيْهِ الإنْسانُ .

٤ ـ تَسبيحُ المَخْلوقاتِ بِحَمْدِ اللهِ وبِكَيفيّةٍ يَعلَمُها اللهُ سُبْحانَهُ .

٥ ـ مَعَ كَثْرَةِ الآياتِ الدالَّةِ على عَظَمَةِ اللهِ فإنَّ الكافِرينَ يُنكِرُونَها ويُجادِلُون فيها .



التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما المُراد بالمُعَقِّباتِ ؟ وما عَمَلُها ؟

٢ـ ما فوائدُ البَرْقِ وما مَضارُّه ؟

٣ـ بيِّنْ معنى كلٍّ مِمَّا يلي :

أ ـ ومَنْ هو مُسْتَخفٍ بِاللَّيلِ وساربٌ بالنَّهارِ .

ب ـ إن اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ حتَّى يغيِّروا ما بأَنْفُسِهِمْ .

ج ـ ويُنْشِىءُ السَّحابَ الثِّقالَ .

د ـ ويُسبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِه والملائكةُ مِنْ خِيفَتِهِ .

هـ ـ وهُوَ شَديدُ المِحالِ .

تَعَلَّمْ :

كان رَسولُ اللهِ ﷺ إذا سَمِعَ الرَّعْدَ والصَّواعِقَ يقولُ : « اللَّهُمَّ لا تَقْتُلْنا بِغضَبِكَ ولا تُهلِكْنا بِعَذابِكَ وعافِنا قَبْلَ ذَلِكَ »[١] .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ آيةَ سورةِ لُقْمانَ الَّتي تُبَيِّنُ عِلْمَ اللهِ بأدقِّ المَخْلوقاتِ وأخْفاها .

٢ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ كَيْفَ يَحْصُلُ الرَّعْدُ والبَرْقُ .

٣ـ اذكرِ الآيةَ مِنْ سورةِ الإِسْراءِ الَّتي تُبَيِّنُ تَسْبيحَ جَميعِ المَخْلوقاتِ للهِ تَعالى .

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات ، رقم الحديث ٣٣٧٢ ، ورواه أحمد في المسند برقم ٥٥٠٣ .

الدَّرسُ الخامِسُ والعِشْرونَ

سورَةُ الرَّعْدِ - القِسْمُ الرّابِعُ

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ (١٤) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ (١٥) قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ (١٦)﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **لِيبلُغَ فاه** : لِيَصِلَ إلى فَمِهِ .
- **يَسْجُدُ** : يَخضَعُ وينقادُ .
- **بالغدُوِّ** : أوّلِ النَّهارِ .
- **الآصالِ** : آخرِ النهارِ .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكريمَةِ تَقْريرُ وُجوبِ عِبادَةِ اللهِ تَعالى وتَعظيمِهِ ، وأنّ عِبادَةَ غَيْرِهِ لا نَفْعَ فيها وَهِي بُطْلانٌ وبَوارٌ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ (١٤)﴾ .

أيْ أنَّ اللهَ تعالى هُوَ الحَقُّ الَّذي لا يُدْعَى سِواهُ ولا يُجيبُ دُعاءَ الدّاعِي غَيْرُهُ ، ولَهُ وَحْدَهُ سُبْحانَهُ

العِبادَةُ الحَقُّ الَّتي لا تنبغِي لأَحَدٍ دونَهُ ، وفي مُقابِلِ هذا فإنَّ المُشْرِكينَ الَّذين يَدْعُونَ غيْرَ اللهِ مِنْ أَصْنامٍ وآلِهَةٍ باطِلَةٍ لا تَسْتَجيبُ لِدُعائِهِمْ لأنَّها عاجِزَةٌ عَنْ ذَلِكَ ، وحالُهُمْ في دُعائِهِمْ غَيْرَ اللهِ تَعالى كَحالِ مَنْ بَسَطَ كفَّيْهِ وفَتَحَهُما إلى الماءِ آملاً أنْ يَصِلَ إلى فَمِهِ ، والماءُ لا يَسْتَجيبُ لِطَلَبِهِ فإنَّه جَمادٌ لا يَعي ، وكَذلِكَ ما يَعْبُدُهُ هَؤلاءِ المُشْرِكونَ مِنْ آلِهَةٍ ويَدْعُونَها لا تَسْتَجيبُ لَهُمْ لِعَدَمِ قُدْرَتِها على نَفْعِهِم ، فَدُعاءُ الكافرينَ هَذهِ الآلِهَةَ في خَسارَةٍ ، وضَياعٍ .

وتَنْكيرُ (شيءٍ) في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿لا يَسْتَجيبونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ للتَّقْليلِ ، أيْ أنَّهم لا يستجيبُونَ أَيَّ اسْتِجابةٍ وَلَوْ كانَتْ قَليلةً ، وإِجْراءُ ضَميرِ العُقَلاءِ في قَوْلِهِ ﴿لا يَستجيبونَ﴾ للأَصْنامِ ، مُجاراةً لِظَنِّ المُشْرِكينَ الَّذينَ يُعامِلُونَ الأَصْنامَ مُعامَلَةَ العُقَلاءِ .

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾

أيْ أنَّ جميعَ المَخْلوقاتِ الَّتي في السَّمواتِ والَّتي في الأَرْضِ مُنقادَةٌ لأَمْرِ اللهِ تَعالى وحُكْمِهِ وإِرادَتِهِ مُخْتارينَ لِذلكَ أو مُجْبَرينَ عَلَيْهِ ، فإنَّهُم لا يَسْتَطِيعُونَ الخُروجَ عَنْ حُكْمِهِ وأمْرِهِ .

وإنَّ خُضوعَ المُؤْمِنِ هُوَ خُضوعُ الرِّضى والطَّواعِيَةِ لأَمْرِ اللهِ ، أمَّا خُضوعُ الكافِرِ فَهُوَ خُضوعُ كُرْهٍ وإِجْبارٍ ، فإنَّهُ وإنْ لَمْ يُسَلِّمْ أمْرَهُ للهِ تَعالى في الظَّاهِرِ ، يَسيرُ في هذهِ الحياةِ وَفْقَ المَنْهَجِ الَّذي وَضَعَهُ اللهُ ولا يَمْلِكُ أَنْ يَحيدَ عَنْهُ ولا أنْ يَخْرُجَ منهُ ، فَهُوَ بهذا مُنقادٌ لِحُكْمِ اللهِ وسُلْطتهِ .

وكما أنَّ جميعَ مَنْ في السَّمواتِ والأَرْضِ يَخْضَعُ للهِ تَعالى وينقادُ لأمْرِهِ فإنَّ ظِلالَهُمْ خاضِعَةٌ لَهُ كَذلِكَ ، فإنَّ الظِلَّ مُلازِمٌ لِصاحبِهِ ، وهُوَ خاضِعٌ لأمْرِ اللهِ في مَيْلِهِ مِنْ جانِبٍ إلى جانِبٍ ، وفي تَمدُّدِهِ وتَقَلُّصِهِ وحَرَكَتِهِ وسُكونِهِ . وخُضوعُ هذه الظِّلال كائِنٌ في كلِّ وَقْتٍ وحينٍ ، وخَصَّ الغُدُوَّ والآصالَ بالذِكْرِ وهُما أوَّلُ النَّهارِ وآخِرُهُ لأنَّ الظِلالَ تَعْظُمُ وتكبُرُ فيهما فيَراها النَّاسُ ولا تَغيبُ عنْهُم .

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ بيَّنَ اللهُ سُبْحانَه أنَّ كُلَّ مَنْ في السَّمواتِ وكُلَّ مَنْ في الأَرْضِ خاضِعٌ لأَمْرِهِ ، أَمَرَ رَسولَه ﷺ أنْ يُظهِرَ للمُشركينَ طريقَ الهدايةِ وأنْ يُحاوِرَهُم بما يُثْبِتُ تَوْحيدَ اللهِ تعالى ، وأنْ يقولَ لَهُمْ : ﴿مَنْ رَبُّ السَّمواتِ والأرْضِ﴾ ولَمَّا كانَ جوابُ هذا السُّؤالِ مَعلوماً عندَهُمْ ولا يُنكِرونَ أنَّه اللهُ ، أَمَرَ اللهُ تعالى رسولَهُ ﷺ بالإجابة عنه ﴿قلِ اللهُ﴾ ثُمَّ أَنْ يقولَ لَهُمْ مَوبِّخاً : أَعَلِمتُم أنَّ اللهَ تَعالى خالِقُ السَّمواتِ والأَرْضِ وتَركْتُم عِبادَتَهُ ، واتَّخذْتمْ مِنْ دونِهِ أولياءَ هُمْ في الحَقيقةِ لا يَملِكُونَ لأنفُسِهم نَفعاً ولا ضَرّاً فكيفَ يَملِكُونَ ذلكَ لِغَيرِهم ؟ ثُمَّ أمرَ اللهُ تعالى رسولَه ﷺ أَنْ يَقولَ لَهُم : كما أَنَّهُ لا يَستوِي في نَظَرِ العُقَلاءِ الأَعْمَى والبَصيرُ ، ولا تَستوِي الظُّلماتُ والنُّورُ ، فَكَذلكَ

لا يَستوِي الكُفْرُ والإيمانُ ، وإنَّ الكافِرَ الَّذي يَرى الخَيْرَ ، ولا يَهتدِي إلى الطَّريقِ الصَّحيحِ هو الأَعْمى ، أمَّا المُؤْمِنُ الذي يُبْصِرُ الحَقَّ ويتَّبعُهُ فَهُوَ البَصيرُ حَقّاً .

﴿ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴾ هذا اسْتِفْهامٌ إنْكاريٌّ ، أيْ إنَّ المُشرِكينَ لَمْ يَتَّخذُوا مِنْ دونِ اللهِ آلِهَةً يَخلُقونَ مِثْلَ خَلْقِ الله ، حتَّى يُقالَ إنَّ ما خَلَقُوهُ يُشبِهُ ما خَلَقَهُ اللهُ ، فيَلتمِسُ لَهُم بذلكَ العُذْرَ ، فإنَّ هذهِ الآلِهَةَ المَزْعومةَ لَمْ تَخْلُقْ شَيئاً ، ولا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ ، وإنَّ المُشْرِكينَ يَعلَمُونَ ذَلِكَ كما يَعلَمُونَ أنَّ اللهَ تَعالى هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ ، ولِذا أَمَرَ اللهُ تَعالى رسولَه ﷺ أنْ يُلْزِمَهُمُ الحُجَّةَ ، وأنْ يُبيِّنَ لَهُمْ بجَلاءٍ ووُضوحٍ لا رَيْبَ فيه هذا الأَمْرَ ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ وهُوَ سُبْحانَهُ الواحِدُ لا شَريكَ لَهُ ، القَهّارُ لِكُلِّ ما سِواهُ والغالِبُ لِكُلِّ مُتكَبِّرٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ دَعْوَةُ الحقِّ للهِ وحْدَهُ فَهُوَ المَعْبودُ بحَقٍّ .

٢ـ انقياد كُلِّ مَنْ في السَّمواتِ والأرضِ واسْتِسلامُهُ لأمرِ اللهِ طَوْعاً أو كَرْهاً .

٣ـ ظِلالُ الأشياءِ تابِعَةٌ لأُصولِها ، فكما أنَّ الأَشياءَ مُستجيبةٌ لأمرِ اللهِ فكذلِكَ ظِلالُها .

٤ـ الإنكارُ على المُشْرِكينَ عِبادَتَهُم آلِهَةً يَعْلَمُونَ أنَّها لا تَملِكُ لِنَفْسِها نَفعاً ولا ضَرّاً فَضْلاً عَنْ أَنْ تَملِكَ ذَلِكَ لِغَيْرِها .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بماذا شَبَّهَتِ الآيةُ الكريمةُ الَّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دونَ اللهِ في عَدَمِ اسْتِجابَتِهِم لَهُمْ ؟

٢ـ أـ ما معنى سُجودُ مَنْ في السَّمواتِ والأَرْضِ للهِ ؟

ب ـ اذكُرْ مِثالاً لِمَنْ يَسْجُدُ للهِ طَوْعاً ومِثالاً لِمَنْ يسَجُدُ كَرْهاً .

٣ـ ما وَجْهُ تَخصيصِ ذِكْرِ الغُدوِّ والآصالِ عِنْدَ الحَديثِ عَنْ سُجودِ الظِّلالِ ؟

٤ـ بيِّنِ الأدلَّةَ المَذْكورةَ في الآية ١٦ على بُطْلانِ الشِّرْكِ .

٥ـ بَيِّنْ مَعْنى كُلٍّ مِمّا يلي :

أ ـ كباسطِ كَفَّيهِ إلى الماءِ ليَبْلُغَ فاهُ .

ب ـ وظلالُهُمْ بالغدُوِّ والآصالِ .

ج ـ أمْ جعَلوا لهُ شُرَكاءَ خلَقوا كَخلْقِهِ فتَشابَهَ الخَلْقُ عليْهِمْ .

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دَفْترِكَ كَيْفَ يَكونُ الكافِرُ خاضِعاً لله وهُوَ يَكْفُر بِهِ ؟ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ السّادِسُ والعِشْرونَ

سورَةُ الرَّعْدِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- أوديةٌ : جَمعُ وادٍ وهو كُلُّ مُنخفَضٍ بينَ جَبلَيْنِ .
- زَبَداً : ما يَطفُو على وَجْهِ الماءِ مِنْ رَغْوَةِ الأشياءِ وحُطامِها .
- رابياً : مُرتَفِعاً فوقَ الماءِ .
- حِلْيَةٍ : ما يُتَّخذُ للزِّينةِ مِنْ ذَهَبٍ ونَحْوِهِ .
- مَتاعٍ : ما يُنتفعُ بهِ .
- جُفاءً : مَرْمِيّاً مَطْروحاً .
- فَيَمْكُثُ : فيَبقى .

التفسيرُ :

ضربَ اللهُ في هاتيْنِ الآيتيْنِ مَثَلَيْنِ واضِحَيْنِ لِلْحَقِّ والباطلِ ، والإيمانِ والكُفْرِ ، فالحَقُّ ثابتٌ باقٍ ، والباطِلُ ذاهِبٌ زائِلٌ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

المَثَلُ الأوّلُ : أنَّ اللهَ تعالى أنزلَ مِنَ السَّماءِ ماءً ، فسالَتِ المِياهُ في الأوديةِ ، كُلُّ وادٍ فيها يَسيلُ فيهِ ماءٌ بِمِقْدارِهِ الَّذي يَحتَمِلُهُ ، فَتَفاوُتُ الأَوْدِيَةِ ، بِحَسَبِ حَجْمِها واتِّساعِها ، ويَحْمِلُ الماءُ الجاري في الأوديةِ غُثاءً كثيراً يَطفُو فَوْقَ الماءِ ، ولا نَفْعَ في هذا الغُثاءِ ولا فائِدةَ مِنْهُ .

وفي هذا المَثلِ تَشبيهُ الحَقِّ وأَهْلِهِ بالماءِ الصّافي الَّذي يَنزلُ مِنَ السَّماء ، ويَسيلُ في الأَوْدِيَةِ وينتَفِعُ منهُ النَّاسُ ، وتَشْبيهُ الباطِلِ في عَدَمِ الانْتِفاعِ مِنهُ وسُرْعَةِ زَوالِهِ بزبدِ السَّيْلِ الكَثيرِ الَّذي يَطفُو فَوْقَ الماءِ ، إلاَّ أنَّه لا يُنْتَفَعُ مِنْهُ بشَيءٍ وسُرْعانَ ما يُلقيهِ السَّيْلُ على جَوانِبِهِ فَيزولُ ويَنْتَهي أمرُهُ .

والمَثَلُ الثانِي قولُه تعالى : ﴿ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله﴾ أيْ أنَّ النَّاسَ يُوقدونَ النَّارَ على المَعادِنِ حتَّى تَنْصَهِرَ وتَذوبَ ، وفي أَثْناءِ إيقادِ النَّارِ على هذهِ المَعادِنِ يَعلُوها زَبَدٌ مِثلُ الزَّبَدِ الَّذي يَعلوُ سَطْحَ الماءِ في كَوْنِهِ لا فائِدَةَ منهُ ، وإنَّما تُوقَدُ النَّارُ على المَعادِنِ لِتَصْفِيَتِها وتَنْقِيَتِها واسْتِخْراجِ النَّافِعِ مِنْها لِصِناعَةِ الأَمْتِعَةِ والحُلِيِّ ، وطَرْحِ الزبَدِ الَّذي لا يَنْفَعُ ولا يَكونُ مِنْ أَصْلِ المَعْدِنِ .

وفي هذا المَثَلِ تَشبيهُ الحقِّ وأَهْلِهِ في البَقاءِ بالمعادِنِ النَّافِعَةِ الباقية ، وتَشْبيهُ الباطِلِ وأتباعِهِ في الفَناءِ وعَدَمِ النَّفْعِ بالزَّبدِ الَّذي يَطْفو فوْقَ المَعادِنِ حالَ صَهْرِها وإذابَتِها .

ثُمَّ ذَكَرَ سُبحانه الحِكْمَةَ مِنْ ضَرْبِ هَذيْنِ المَثَلَيْنِ فقالَ : ﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل﴾ أيْ بهذا البيانِ البَديعِ يَضْرِبُ اللهُ الأمثِلَةَ لِلْحَقِّ ولِلْباطِلِ .

﴿فأما الزبد فيذهب جفاء﴾ أيْ فأمَّا الزَّبَدَ الَّذي عَلا فَوْقَ الماءِ والمَعدِنِ فإنَّه يُرمَى ويُطْرَحُ بَعيداً لأنّه لا نَفْعَ فيهِ .

﴿وأما ما ينفعُ الناسَ فيمكثُ في الأرضِ﴾ وأمَّا ما يَنتفِعُ منهُ النَّاسُ وهُوَ الماءُ الصَّافِي ، والمَعْدِنُ النقيُّ الخالي مِنَ الخَبَثِ والشَّوائِبِ ، فيبقى لِيَنتفع النَّاسُ مِنْهُ .

وبَدَأ سُبْحانَهُ بِذِكْرِ الزَّبَدِ ، لأنَّه هو الظَّاهِرُ للأعْيُنِ بِسَبَبِ ارتفاعِهِ وعُلُوِّهِ .

﴿كذلك يضربُ الله الأمثالَ﴾ أيْ كَهذيْنِ المَثَلَيْنِ في الوُضوحِ والجَلاءِ يَضْرِبُ اللهُ الأمثالَ للنَّاسِ لِيُبَصِّرَهُم بالحَقِّ والباطِلِ ، والخَيْرِ والشرِّ ولِيَنْتَفِعُوا ويعْتَبِرُوا .

﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ﴾ .

هذا بيانٌ لِعاقِبَةِ أهْلِ الحَقِّ وأهْلِ الباطِلِ ، فأَهْلُ الحَقِّ هُمُ الَّذينَ اسْتَجابُوا لأَمْرِ ربِّهم وأطاعُوهُ ، فَلَهُمْ مُقابِلُ ذلكَ المثوبةُ الحُسنى والنعمةُ الكُبرى ، وهي الجَنَّةُ ، وأهلُ الباطِلِ الَّذينَ لم يُطيعُوا أمْرَ ربِّهم ولَمْ يَستجيبُوا لَهُ ، لوْ أنَّهم يَملِكُونَ جَميعَ ما في الأَرْضِ مِنْ أَصْنافِ المالِ والمَتاعِ ، ويَمْلِكُونَ مِثْلَ ذلكَ معهُ ، لقَدَّمُوهُ افتداءً لأنفُسِهِمْ وتَخلُّصاً مِنَ العَذابِ الَّذي سيُصيبُهُم ، فَلَهُمْ سوءُ الحساب ، حيثُ يُحاسَبُ كُلٌّ مِنْهُمْ على عَمَلِهِ ولا يُتَجاوَزُ لَهُم عَنْ أيِّ ذَنْبٍ أو مَعْصيَةٍ ومُقامُهُمْ جهنَّمُ يأْوُون إليْها ، وبِئْسَ ما يَنتظِرُهُمْ فيها مِنْ مِهادٍ وفِراشٍ لأنَّ فيهِ العَذابَ الشَّديدَ المُعَدَّ لَهُمْ في نارِ جهنَّمَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ يتفاوتُ الناسُ في قُدُراتِهِمْ وطاقاتِهِمْ ، واسْتيعابِهِمْ كما هُوَ شَأْنُ الأودِيَةِ المُتفاوِتَةِ .

٢ـ إنَّ الباطِلَ وإنْ ظَهَرَ على الحَقِّ في بَعْضِ الأَحْوالِ وعَلا ، فإنَّ اللهَ سَيَمْحَقُهُ ويُبْطِلُهُ ويَجْعَلُ العاقِبَةَ لِلْحَقِّ وأهلِهِ .

٣ـ مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذي يَنْفَعُ نفسَهُ وغَيْرَهُ ، كالماءِ النَقيِّ والمَعْدِنِ الطَّيِّبِ ، ومَثَلُ الكافِرِ كالزَّبَدِ الَّذي لا يُنْتَفَعُ مِنْهُ وسُرْعانَ ما يَزولُ ويَذْهَبُ .

٤ـ اسْتِحْسانُ ضَرْبِ الأَمْثالِ لِتقريبِ المَعاني إلى الأَذْهانِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيِّنِ المَثَلَيْنِ المَضْروبيْنِ في الآيةِ (١٧) .

٢ـ أ ـ ما الأَمْرُ الَّذي يَجْمَعُ بَيْنَ الحَقِّ في المِثالَيْنِ ؟

ب ـ بِماذا شَبَّهَ اللهُ تَعالى الباطِلَ في كُلٍّ مِنَ المِثالَيْنِ ؟

٣ـ ما المَقْصودُ مِنْ ضَرْبِ المَثَلَيْنِ في الآيةِ ؟

٤ـ ما عاقِبَةُ كُلٍّ مِنَ الإيمانِ والكُفْرِ كما بَيَّنَتْهُ الآيةُ الكريمةُ ؟

٥ـ بيِّنْ معنى كُلٍّ مِمّا يلي :

أ ـ فَسالَتْ أودِيةٌ بِقَدَرِها .

ب ـ فاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابياً .

ج ـ ومِمّا يُوقِدونَ عليهِ في النَّارِ ابتغاءَ حِلْيَةٍ أو مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ .

د ـ فأمّا الزَّبَدُ فيذهبُ جُفاءً .

هـ ـ لو أنَّ لهُمْ ما في الأرْضِ جَميعاً ومِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بهِ .

و ـ وبئسَ المِهادُ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ ثلاثةَ أشياءَ تطفُو فوقَ الماءِ .

٢ـ اكتبْ في دفترِكَ ما كان يُردِّدُه رسولُ الله ﷺ يومَ فَتْحِ مَكَّةَ وهو يُحطِّمُ الأصْنامَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السّابِعُ والعِشْرونَ

سورَةُ الرَّعْدِ - القِسْمُ السّادِسُ

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ (١٩) ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ (٢٠) وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ (٢١) وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ (٢٢) جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ (٢٤) وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ (٢٥) ﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أُولو الألبابِ : أَصْحابُ العقولِ السَّليمةِ .

ولا ينقُضونَ الميثاقَ : ولا يُخْلِفونَ العُهودَ .

يَدْرؤونَ : يَدْفعُونَ .

عُقْبى الدارِ : العاقِبَةُ الحَسَنَةُ للدُّنيا وهي الجَنَّةُ .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ تَبيينُ بعضِ صِفاتِ المُؤْمنينَ وعاقِبَتِهم ، وتَبيينُ بعضِ صِفاتِ الكافِرينَ وعاقبتِهِم ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ (١٩) ﴾ .

الاسْتِفهامُ في الآيةِ للإنكارِ والاسْتِبعادِ ، أيْ : هَلْ يُمكِنُ أَنْ يَستوِيَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ الَّذي أُنزِلَ إليكَ

أيُّها الرسولُ الكريمُ مِنْ وحْيٍ هو الحقُّ الواضِحُ الجَلِيُّ ، ومَنْ هُوَ أَعْمَى القَلْبِ لا يَميزُ الحَقَّ عَنْ غيرِهِ ؟ والجوابُ الواضِحُ على هذا أنَّهما لا يَسْتويانِ ، فإنَّه لا يَنْتَفِعُ بآياتِ اللهِ إلاَّ أصحابُ العُقولِ السَّليمَةِ ، الَّذين يُمَيِّزُونَ بها بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ .

ثُمَّ بَيَّن سُبْحانَهُ عَدَداً مِنْ صفاتِ أُولي الأَلْبابِ فقالَ :

﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾

الصِّفَةُ الأُولى لأُولي الأَلْبابِ : الوَفاءُ بِعَهْدِ اللهِ والإقْرارُ بوَحْدانيَّتِهِ وأُلوهيَّتِهِ ، والقِيامُ بما أَمَرَ مِنْ طاعاتٍ ، والامْتِناعُ عمَّا نهَى عنهُ مِنَ المَعاصِي ، ومِنْ صِفات أُولي الأَلْبابِ عَدَمُ إخْلافِ العُهودِ والمَواثيقِ الَّتي الْتَزَمُوا بها سَواءً أكانَتْ بَيْنَهُم وبَيْنَ رَبِّهِمْ أو بينَهُم وبينَ الناسِ .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾

والصِّفَةُ الثَّانيةُ مِنْ صفاتِ أُولي الأَلْبابِ : أنَّهم يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللهُ تَعالى بِوَصْلِهِ ، ويَشْمَلُ ذلكَ أعمالاً صالِحَةً كثيرةً كَصِلَةِ الرَّحِمِ وبرِّ الوالدَيْنِ ، والإحسانِ إلى الجارِ وإلى اليَتيمِ وإفْشاءِ السَّلامِ وأداءِ الحُقوقِ لأَهْلِها .

والصِّفةُ الثَّالثَةُ مِنْ صِفاتِهِمْ : أنَّهم يَخشَوْنَ رَبَّهمْ خشْيَةً تَحمِلُهُمْ على طاعَتِهِ ، وتَرْكِ مَعْصيَتِهِ ، وفِعْلِ الخَيْرِ ، والابْتِعادِ عمَّا يُغضِبُ اللهَ تَعالى ، ومُحاسَبةِ أنفُسِهِمْ على كُلِّ عَمَلٍ يَصدُرُ عَنْهُمْ قبلَ أنْ يُحاسَبُوا عليهِ ، والخَوْفِ مِنْ سوءِ العَذابِ يَوْمَ القِيامَةِ .

ويُلحَظُ في الآيةِ اسْتِخدامُ لفظِ الخَشْيةِ مِنَ اللهِ تعالى والخَوْفِ مِنْ سوءِ الحِسابِ ، والفَرْقُ بينَهُما أنَّ الخَشْيَةَ خَوْفٌ مَعَ تعظيمٍ وتَوْقيرٍ وإجْلالٍ ، ولِذا فَهُوَ أَشدُّ مِنْ مُجَرَّدِ الخَوْفِ .

﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

والصِّفَةُ الرَّابعَةُ لأُولي الأَلْبابِ : أنَّهُمْ صَبرُوا على طاعَةِ اللهِ وَصَبَرُوا على البُعْدِ عَنْ مَعاصِيهِ وصَبرُوا على البَلايا ومَصائبِ الدُّنْيا ، صَبراً غايَتُه رِضى ربِّهِمْ وخالِقِهِمْ .

والصِّفة الخامِسَةُ مِنْ صِفاتِهِم : أنَّهم يُقيمونَ الصَّلاةَ كامِلَةً تامَّةً في أَوقاتِها ، مُستَوفِيَةً لِشروطِها وأَرْكانِها ، بِخُشوعٍ وإخْلاصٍ ، ويُنفقونَ على المُستحِقِّينَ وفي وُجُوهِ الخَيْرِ بَعْضَ ما رَزَقَهُمُ اللهُ تَعالى مِنْ مالٍ وغَيْرِهِ ، وهُمْ يَجْمَعُونَ في الإنفاقِ بينَ السرِّ والعَلانيةِ ، حَسَبَ الحالِ المُقْتَضيَةِ لكلٍّ مِنْهُما ، فالإنفاقُ سراً أَبْعدُ عَنِ الرِّياءِ ، ولا خَدْشٌ فِيهِ لِكَرامَةِ الفَقيرِ ، والإنْفاقُ جَهْراً لِيقتدِيَ الناسُ بِهِ أو لِئلا يُتَّهمَ بالشُّحِّ ، والأَفْضَلُ في الإنفاقِ الواجبِ الجَهْرُ لِيُعْلَمَ قيامُهُ بهِ ، وفي الإنفاقِ الزَّائدِ على الواجبِ الإسْرارُ بِهِ ، لِيكونَ أَصْفى وأَخْلَصَ للهِ تَعالى .

والصِّفة السَّادِسَةُ مِنْ صِفاتِهم : أنَّهم يُقابِلُونَ الإساءةَ بالإحْسانِ ، ويُحْسِنونَ إلى مَنْ أساءَ إليهِمْ فيَسْتَحِي مِنْ تكرارِ إساءَتِه ، إلاَّ أنْ يكونَ لَئيماً فَظّاً لا يُجدِي مَعَهُ مِثْلُ هذا السُّلوكِ فلا مَهْرَبَ مِنْ مُعامَلتِهِ بالمِثْلِ تأديباً لَهُ وزَجْراً .

أُولئكَ المَوْصُوفونَ بهذهِ الصِّفاتِ ، لَهُمُ العاقبةُ الحَسَنَةُ في الآخِرَةِ جَزاءَ طاعَتِهِم لِربِّهِمْ وهي الجَنَّةُ .

﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

هذا تَفْصيلٌ لِما أعدَّهُ اللهُ تعالى لأُولي الألْبَابِ ، وهِيَ جَنَّاتُ إقامةٍ دائمةٍ مُستمرَّةٍ ، يَدْخلوُنَها هُمْ والصَّالِحونَ مِنْ آبائِهِم وأزواجِهِمْ وأبنائِهِمْ وإنْ لَمْ يَبْلُغوا دَرَجَتَهُم في الصَّلاحِ لِيأنَسُوا بِهِمْ ويَزْدادَ سُرورُهُمْ ، وتَدْخُلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ مِنْ كُلِّ بابٍ مِنْ أبوابِ مَنازِلِهم في الجَنَّةِ .

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾

تُسلِّمُ المَلائِكَةُ عَلَيْهِمْ ، وتُهنِّئُهمْ على دُخولِهِمُ الجَنَّةَ بِسَبَبِ صَبْرِهِمْ وإيمانِهِمْ ، وتُخبِرُهُمْ أنَّ الجَنَّةَ هِيَ نِعْمَ العاقبةُ لَهُمْ ونِعْمَ دارُ الإقامةِ الدَّائمةِ .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

بعدَ ذِكْرِ صِفاتِ المُؤمنينَ ومآلِهِمْ ، يَأْتي ذِكْرُ صِفاتِ الكافرينَ وهُمُ الَّذينَ لا يَلتزِمُونَ بِعَهْدِ اللهِ تعالى بَعْدَ أنْ أَكَّدُوا الْتِزامَهُمْ بهِ وقَبولَهُمْ إيَّاهُ ، والمُرادُ بِعَهْدِ اللهِ : ما أَوْجَبَهُ على عبادِهِ مِنْ طاعةٍ والتزامٍ بأمْرِهِ وعَمَلٍ بما يُرضيهِ ، وعلى رأسِ ذلكَ الإيمانُ بِهِ وتوحيدُهُ .

وهُمْ يَقطَعُونَ كلَّ ما أمَرَ اللهُ تعالى بوَصْلِهِ ، وتَدْخُلُ فيه سائرُ أعمالِ الخَيْرِ والبرِّ ، كاتِّباعِ رسولِ اللهِ ﷺ ، ومحبَّةِ المُؤمنينَ وصِلَةِ الرَّحِمِ وأداءِ الحُقوقِ لأهْلِها ، وهُمْ يُفْسِدُونَ في الأرضِ بِمُحارَبَتِهِمْ دَعْوَةَ اللهِ وأتْباعِ دينهِ وبالظُّلمِ وإثارةِ الفِتَنِ وارتكابِ المَعاصِي .

أُولئكَ المَوْصُوفُونَ بهذه الصِّفاتِ الذَّميمةِ يَستحِقُّونَ أنْ يُطْرَدُوا مِنْ رَحمةِ اللهِ ، وأنْ يَكونُوا يَوْمَ القيامةِ في جَهَنَّمَ الدارِ السَّيئةِ حيثُ العذابُ الدَّائمُ العَظيمُ ، وما يَسوءُ كُلَّ صائرٍ إليْها والعياذُ باللهِ تعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ النّاسُ في حُكْمِ اللهِ فَريقانِ : المُبْصِرونَ لِلْحقِّ والعُمْيُ عنهُ .

٢ـ لِكلٍّ مِنَ الفَريقَيْنِ معالمُ تُمَيِّزُهُ وتُظْهِرُهُ بَيَّنَتْها الآياتُ .

٣ـ عاقبةُ الفريقِ الأَوَّلِ الجنةُ وعاقِبَةُ الفريقِ الثّاني النّارُ .

٤ـ الفريقُ الأَوَّلُ مُصْلِحٌ والثّاني مُفْسِدٌ .

٥ـ استعمالُ العَقْلِ السَّليمِ اسْتِعْمالاً صَحيحاً يَقودُ إلى طاعةِ اللهِ ورضوانِه .

٦ـ فَضْلُ الصِّفاتِ الحَسَنةِ المَذْكورةِ في هذه الآياتِ وأهمِّيَةُ الالتزامِ بِها .

٧ـ المَلائِكَة تُهنِّىءُ المُؤْمنينَ في الجَنَّةِ وتُؤنِسُهُمْ وتُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ .

٨ـ اسْتِحقاقُ اللَّعنةِ والعَذابِ لِمَنْ نَقَضَ عَهْدَ اللهِ وكَفَرَ بِهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما وَجْهُ إطلاقِ لَفْظِ الأعمى على الكافرِ ؟

٢ـ عَدِّدْ صِفاتِ المُؤمنينَ المَذكورةَ في هذهِ الآياتِ .

٣ـ بيِّنْ أَهَميَّةَ دَفْعِ السَّيئةِ بالحَسَنةِ .

٤ـ ماذا أعدَّ اللهُ تعالى للمَوْصُوفِينَ بالصِّفاتِ الحَسَنةِ المَذْكورةِ في هذهِ الآياتِ في الجَنَّةِ ؟

٥ـ ما معنى نَقْضِ عَهْدِ اللهِ ؟ وما جَزاءُ فاعلِهِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ حديثاً يُبينُ توجيهَ النَّبيِّ في إتباعِ الحَسَنةِ السَّيئةَ .

٢ـ اذْكُرِ الآيَةَ في سورةِ الطُّورِ التي تُبيِّنُ أنَّ الأبْناءَ يَلْحَقُونَ بآبائِهِمْ في دَرَجاتِ الجَنَّةِ العُلى .

٣ـ قارِنْ بينَ صِفاتِ المُؤمنينَ المَذْكورةِ في هذهِ السورةِ مَعَ الصفاتِ المَذْكورةِ في أوَّلِ سورة (المُؤْمِنُونَ) ، واكْتُبْ ذلك في دَفْتَرِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّامِنُ والعِشْرونَ

سورَةُ الرَّعْدِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ

﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **يَبْسُطُ الرزق** : يُوسِعُهُ .
- **ويقْدِرُ** : يُضيِّقُ الرِّزْقَ .
- **مَتاعٌ** : شَيءٌ قليلٌ يُتمتَّعُ بهِ .
- **أنابَ** : رَجعَ إلى اللهِ بالتَّوْبَةِ .
- **طُوبى لَهُمْ** : عَيْشٌ طَيِّبٌ لَهُمْ .
- **مآبٍ** : مَرْجعٍ .
- **خَلَتْ** : مَضَتْ .
- **مَتابِ** : تَوْبَتِي ورُجُوعِي .

التفسيرُ :

تَبْدأ هذهِ الآياتُ الكَريمةُ بِبيانِ أنَّ الفَقْرَ والغِنى والعَطاءَ والمَنْعَ بِأَمْرِ اللهِ تَعالى . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

أيْ أنَّ الرِّزْقَ يُدَبِّرُهُ اللهُ تَعالى بِحِكْمَتِهِ ، فيُوسِعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يشاءُ ويُضَيِّقُهُ على مَنْ يشاءُ ، وقَدْ يُوسِعُ على الكافِرِ اسْتِدْراجاً لهُ ، ويُضيِّقُ على المُؤْمِنِ ابتلاءً لَهُ وزيادةً في أجْرِهِ .

فليْسَ بَسْطُ الرزقِ دَليلاً على رضاهُ ، ولا التَّضْييقُ دليلاً على سُخْطِهِ ، وإنَّ اللهَ سبحانَهُ حينَ يُعطي الكافرينَ ويُوسِعُ عَلَيْهِمْ يَفْرَحُونَ بذلكَ فَرَحَ بَطَرٍ واغْتِرارٍ بالدُّنيا ، ونِسيانٍ للآخِرَةِ ، وما نَعيمُ الحياةِ الدّنيا في مُقابِلِ نَعيمِ الآخِرَةِ إلاّ شيءٌ قليلٌ يُتمَتَّعُ بِهِ ، ولا دوامَ لهُ ولا بقاءَ .

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

تُبيِّنُ هذه الآيةُ الكريمةُ تَعنُّتَ المُشركينَ وعِنادَهُمْ ، وطلَبَهُمْ حُصولَ آيةٍ حِسيَّةٍ للرَّسولِ ﷺ كآياتِ الأنبياءِ السابقينَ ، مثل : إحياءِ المَوْتى وإخراجِ ناقةٍ مِنَ الصَّخْرِ ، وتحويلِ الصَّفا ذَهَباً ، وقدْ غابَ عَنْ أذهانِهِم أنَّ القُرْآنَ الَّذي يَنزِلُ عليهِ هو المُعْجِزَةُ الكُبرى والدَّليلُ الأعظمُ على صِدْقِهِ ، ولذا أَمرَ اللهُ تعالى نبيَّه ﷺ أنْ يَرُدَّ عَليهِمْ بقولِهِ : إنَّ اللهَ تعالى يُضِلُّ عَنْ طريقِ الحقِّ مَنِ اسْتَحَبَّ الضَّلالَ على الهُدى واخْتارَهُ ورَضِيَهُ لِنفسِهِ ، ويَهدِي إلى صِراطِهِ المُستقيمِ مَنْ أرادَ الخَيْرَ وتابَ إلى اللهِ ، ورَجَعَ إليهِ ، واتَّبَعَ الحَقَّ والهُدى ، أيْ أنَّ الآياتِ الَّتي تطلُبُونَها لَوْ حَصَلَتْ كَما تَطلُبُونَ فلَنْ تَنتفِعُوا بِها ، ولن تُؤْمِنُوا بِسَبَبِ حُصولِها ، لأنَّكُمُ اختَرْتُم الضَّلالَ وسَبيلَ الشَّقاءِ .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾

هذا وَصْفٌ لِحالِ مَنْ يَستحقُّ الهِدايةَ بِسَبَبِ إنابتِهم ، ورُجوعِهِم إلى اللهِ ، فهمُ الَّذينَ آمنُوا باللهِ تَعالى حَقَّ الإيمانِ ، وتَسْكُنُ قلوبُهُمْ وتَطمئِنُّ وتسأْنِسُ بذكْرِ اللهِ وتِلاوةِ آياتِهِ الكَريمةِ . واخْتيارُ الفِعْلِ المُضارعِ (تَطمئِنُّ) هُنا وفي الجُمْلَةِ التَّاليةِ للإشارةِ إلى دَوامِ الاطْمِئْنانِ واستمرارِهِ .

ثم نبَّهَ سُبْحانَه عِبادَهُ إلى أهميّةِ ذكْرِ اللهِ وتأثيرِهِ في قلوبِهِم بقولِه ﴿أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلوبُ﴾ فَتِلاوةُ القُرْآنِ الكَريمِ ودَوامُ ذكْرِ اللهِ تعالى ، يُؤَدِّيانِ إلى راحةِ القُلوبِ وسُكونِها واطمِئنانِها ، وابتعادِها عَنِ القَلَقِ والاضْطِرابِ والخَوْفِ مِنْ سوءِ المَصيرِ .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾

الَّذينَ آمنُوا باللهِ حقَّ الإيمانِ وعَمِلُوا الأعمالَ الصَّالِحَةَ لَهُمْ في الآخِرَةِ عَيْشٌ طَيِّبٌ وقُرَّةُ عَيْنٍ ، ونِعْمَ ما يَلْقَوْنَ مِنَ السَّعادةِ والهناءِ في مَرْجِعِهِم ومُنْقَلَبِهِمْ .

﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

أيْ : كما أَرْسلْنا مِنْ قَبلكَ رُسُلاً إلى أقوامِهم ، أَرسلْناكَ أيُّها النبيُّ الكريمُ إلى قَوْمِكَ الَّذين سَبَقَهُم أقوامٌ آخَرونَ ورُسُلٌ مُتعدِّدُونَ ، لِتقرأَ على مَسامِعِهِمْ هذا القرآنَ الَّذي أنْزلناهُ عَلَيْكَ وجَعلْناهُ نُوراً وهُدى ورحمةً ، ومُعجزةً لكَ باقيةً أبدَ الدَّهْرِ ، إلاَّ أنَّ المُشْركينَ مِنْ قومِكَ لا يَستمِعُونَ لِتلاوَتِكَ ولا يَتدبَّرُونَ معانِيها ، ويكفُرونَ بِمَنْ أَنزلَ القرآنَ وهُوَ الرَّحمنُ عظيمُ الرَّحْمَةِ الَّذي أنْزَلَ هذا الكِتابَ وأرسلَكَ رَحْمَةً لَهُمْ ، فَقُلْ أيُّها الرَّسولُ : إنَّ الرَّحمنَ مُنْزِلَ الكِتاب هُوَ رَبِّي الَّذي خَلَقَني واختارَني لِحَمْلِ هذهِ الرِّسالةِ إليكُمْ ، ولا إلَهَ غيرُهُ يَسْتَحِقُّ العِبادةَ ، وأنا أتوكَّلُ عليه في جَميعِ أُموري ، وإليْهِ وَحدَهُ مَرْجِعي وَتوْبَتي ، وإليْهِ مَرْجِعُكُمْ ، فَكَيْفَ تَكْفُرونَ بِهِ ، وهُوَ الَّذي سَيبعثُكُم ويُحاسِبُكُم ويُجازِيكُم على أعمالِكُم .

واختيارُ اسْمِ (الرَّحمنِ) في الآيةِ للردِّ على المُشركينَ الَّذينَ كانوا يُنكرِوُن هذا الاسْمَ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الفرقان : ٦٠] وللإشارة إلى أنَّ بِعْثَةَ الرَّسول ﷺ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ بِعبادِه لِيَنْجوا مِنَ العذابِ ولِيَدخُلُوا في رحمتِهِ سبحانَه .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ سعَةُ الرِّزْقِ على العَبْدِ لا تَعنِي رِضَى اللهِ عَنه كما أَنَّ ضِيقَ الرِّزْقِ لا يَعنِي غَضَبَ اللهِ عليهِ .

٢ـ الكُفَّارُ يَطلبونَ المُعْجزاتِ لِتَدُلَّهُمْ على صِدْقِ الرَّسولِ ﷺ ، والهدايةُ والضَّلالُ مِنَ اللهِ تعالى وبأَمْرِهِ ، فَكَمْ مِنْ أقوامٍ أُنزِلَتْ عَليْهِمُ الآياتُ فلمْ يُؤْمِنوا ، وكَمْ مِنْ أقوامٍ هَداهُمُ اللهُ واطْمَأَنَّتْ قلوبُهُمْ بذكرِ اللهِ .

٣ـ أهميةُ ذِكْرِ اللهِ وتِلاوَةِ كتابِهِ وأَنَّها طُمأنينةٌ للقلبِ وراحةٌ للبالِ .

٤ـ حُسنُ ما أعدَّهُ اللهُ للصالِحينَ من عبادِهِ في الجَنَّةِ .

٥ـ فضيلةُ إعلانِ التَّوْحيدِ ، والتوكُّلِ على اللهِ وتَجديدِ التَّوْبَةِ والإنابةِ .

٦ـ رسولُنا ﷺ والرُّسُلُ مِنْ قبْلِهِ مُهمَّتُهُمْ إبلاغُ الحَقِّ وإقامةُ الحُجَّةِ .

٧ـ مِنْ أسماءِ اللهِ الحُسْنى الَّتي كانَ أهلُ الجاهِلِيَّةِ يَكْفُرونَ بِها ، الرَّحمنُ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ مَنِ الّذينَ فَرِحُوا بالحياةِ الدّنيا ؟

٢ـ ماذا كانَ يَطلبُ الكُفّارُ مِنَ الرّسولِ ﷺ ؟ وبماذا رَدَّ اللهُ عليهِمْ ؟

٣ـ بَيّنَتِ الآياتُ الكريمةُ أَمْرَيْنِ يَتَعلّقانِ بالمُؤْمِنينَ : أحدَهُما في الدُّنيا وثانيَهما في الآخِرَةِ ، ما هُما ؟

٤ـ بيّنَتِ الآيةُ الكريمةُ جانباً مِنَ مَهَمَّةِ الرّسول ﷺ ؟ ما هذا الجانبُ ؟

٥ـ ما أهميةُ ذِكْرِ اسْمِ (الرّحمنِ) في الآيةِ ؟

٦ـ بيِّنْ معنى الألفاظِ التاليةِ : ويَقْدِرُ ، مَتاعٌ ، طُوبى ، مآبٍ ، متابِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ الآيةَ مِنْ سورةِ الإسراء الدَّالةَ على هذا المَعْنى .

٢ـ اكتبْ في دفترِكَ ماذا كانَ يَحُلُّ بالأقوامِ السَّابقةِ بعدَ مَجيءِ الآياتِ الَّتي يَطلبُونَها مِنْ رُسُلِهِم .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والعِشْرونَ

سورَةُ الرَّعْدِ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ

وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **يَيْأَس** : يَقْنَط .
- **قارِعَةٌ** : مُصيبةٌ وكارثةٌ .
- **فأَمْلَيْتُ** : فأمْهَلْتُ .
- **قائمٌ على كُلِّ نفْسٍ** : رَقيبٌ ومُهَيمنٌ .
- **تُنَبِّئُونَهُ** : تُخْبِرُونَهُ .
- **واقٍ** : حافِظٌ .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكريمةِ تبيينُ عَظَمةِ القُرْآنِ ، ومُناقَشةُ الكافرينَ في اعْتِقادِهِمْ ، وبَيانُ سوءِ مَصيرِهِمْ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ (٣١) ﴾ .

أيْ : ولو أنَّ كِتاباً مَقْروءاً مِنَ الكُتُبِ المُنزَّلَةِ تَحرَّكَتْ بِهِ الجِبالُ مِنْ أَماكِنِها أو شُقِّقَتْ بِهِ الأَرْضُ حتَّى تَصيرَ قِطَعاً ؟ أو خُوطِبَ بِهِ المَوتى بأنْ عادُوا إلى الحياة بَعْدَ قِراءتِهِ عَلَيْهِمْ ، وجَوابُ (لو) مَحذوفٌ وتَقديرُهُ : لَكانَ هذا القُرْآنُ هوَ الَّذي يَفْعَلُ ذلكَ .

فالمُرادُ بلَفْظ (قرآنا) في الآيةِ المَعنى اللُّغويُّ لَه ، ووجْهُ ذِكْرِ هذهِ الخَوارِقِ الثَّلاثةِ في الآية أنَّ مُشركي مَكَّةَ طلبُوها مِنَ النبيِّ ﷺ .

﴿بل للهِ الأَمْرُ جَميعاً﴾ أيْ إنَّ الله تَعالى لا يُعْجِزُهُ أنْ يَفْعَلَ الأشْياءَ الَّتي طلبُوها ، ولكنَّ إرادتَهُ سُبْحانَهُ لَيْسَتْ تَبَعاً لاقتِراحِ أحَدٍ أو طَلَبِهِ ، فَهُوَ صاحِبُ الأَمْرِ الفَعَّالُ لِما يُريدُ هُوَ ، لا لِما يُريدُهُ المَخلوقُونَ .

﴿أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ أَفَلَمْ يَقنط المُؤْمنونَ مِنْ إيمانِ الكُفَّارِ المُتعنِّتِينَ الَّذين يَرَوْنَ آياتِ الله ويَسمعُونَها ومَعَ ذَلِكَ يَطْلُبونُ خَوارقَ أُخرى وهُمْ بِطَلَبِهم هَذا لا يَبحثُونَ عَنِ الإيمان ، ولكنَّهم يُريدُون المُكابَرةَ والعِنادَ ، كَما قال اللهُ تعالى : ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١) ﴾ [الأنعام : ١١١] .

ولا يزالُ الكافِرونَ يتعرَّضُون بِسَبَبِ كُفْرِهم وعِنادِهم للمَصائِبِ والكَوارِثِ الَّتي تَفْجَؤُهُم وتحُلُّ بِهِم أو قَريباً مِنْهُم فيصيبُهُم شرُّها وأَثَرُها ، وتَسْتَمِرُّ هذهِ القوارِعُ بِهِمْ حتّى يَأتِيَ أَمْرُ اللهِ بهلاكِهِمْ وهَزيمتِهم ونَصْرِ المُؤمنينَ عَلَيْهِمْ ، واللهُ تعالى لا يَخْلِفُ وَعْدَهُ لِرُسُلِهِ وللمُؤمنينَ ، ولكنَّه يَجعلُهُ في الوَقْتِ الَّذي يَشاؤُهُ هو كما حَصَلَ في مَعْرَكَةِ بَدْرٍ وفَتْحِ مَكَّةَ وغيرِهما .

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٢) ﴾

هذه تَسليةٌ للرسول ﷺ عما أصابَه مِنْ قومه مِنَ استهزاءٍ وتكذيبٍ وطَلَبٍ مُتعنِّتٍ للآياتِ ، فيُخبِرُهُ سُبْحانَهُ أنَّ الطُّغاةَ والمُتجبِّرينَ قد اسْتَهْزَءُوا بِرُسُلٍ كثيرينَ مِنْ قبلِهِ ، وقَدْ أَمْهَلَهُمُ اللهُ لعلَّهم يتوبُونَ أو يَرْجِعُونَ إلى رُشْدِهِم ، فَلَمَّا أصرُّوا على كُفْرِهِمْ أخَذَهُمُ اللهُ بالعذابِ الأليمِ الَّذي اسْتَحَقُّوه وكانَ عذاباً وعِقاباً عَنيفاً شَديداً ، ولِذا أخبرَ اللهُ تعالى عَنْهُ بالاسْتِفْهامِ ﴿فكيفَ كانَ عقابِ﴾ ؟ لتِهويلِهِ وتَبيينِ شِدَّتِه .

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ الكَريمة إقامَةُ الدَّليلِ القاطِع على بُطْلانِ عِبادةِ الأَصْنامِ ، حَيْثُ يُوجِّهُ اللهُ سُبْحانَهُ وتعالى أَنظارَ عبادِهِ للتأمُّلِ في حالِ هذهِ الأصنام ويُخاطِبُهُمْ بقوله ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ وهو سُبْحانَه رقيبٌ مُهَيمِنٌ على جميع شُؤون الخلْقِ يَعلمُ ما يعملُونَ ؟ وما يقولُونَ وما يُسِرُّونَ والخَبَرُ مَحذوفٌ وتقديرُهُ : كَمَنْ ليسَ كذلك ، وهي الأَصْنامُ الَّتي يَعبدُها المُشرِكونَ ، ولا تعلمُ شيئاً ، فَكَيْفَ يَسْتَحِقُّ مَنْ كانَ هذا حالُهُ أنْ يُعبدَ ؟ ومَعَ شِدَّةِ ظُهورِ بُطلانِ عِبادةِ الأصْنام إلاَّ أنَّ المُشركينَ عبدُوها وجَعلُوها شُرَكاءَ لله في التَّعظيمِ والتَّوقيرِ ، وهذهِ التَّسمِيَةَ للأصنام ، أنَّها شُرَكاءُ للهِ ، لا تُغّيرُ مِنْ واقع الأَمْر شَيْئاً ، فَهِي مُجرّدُ حِجارةٍ ونَحوها مِمّا لا يَملِكُ ضَرّاً ولا نَفْعاً ، ولو كانوا آلِهَةً حقيقةً لعَلِمَهُمُ اللهُ الَّذي لا يَخفى عليه شَيْءٌ ، فَهَلْ عِلْمُكُمْ أيُّها المُشرِكونَ أعظَمُ مِنْ عِلْمِ اللهِ ؟ وهَلْ عَلِمْتُمْ شَيْئاً لم يَعْلَمْهُ هُوَ ؟ وتُريدوُن أنْ تُعْلِمُوهُ إيّاهُ ؟ وأنْ تُخبرُوهُ عَنْ أُلوهية هذهِ الأَصْنامِ بِظاهرٍ مِنَ القَوْلِ لا حقيقةَ لهُ ولا دليلَ عَلَيْهِ ، إنَّما هِيَ مُجَرّدُ أَسْماءٍ أَطْلقتُمُوها عَلَيْها ليسَ لها في الواقع وُجودٌ ، ولكنَّ الشيطانَ زيَّن لِهؤلاءِ الكافِرينَ باطِلَهُمْ ، وعِبادَتَهُمْ غَيْرَ اللهِ وصَدَّهُم عَنْ سبيلِ الحَقِّ .

ومَنْ يُضْلِلْهُ اللهُ تعالى بِسَبَبِ إصرارِه على الكُفْرِ فليسَ لَهُ مِنْ هادٍ يُوصِلُهُ إلى الخَيْرِ ويُنْجيهِ مِنْ عاقِبَةِ ضَلالِهِ .

وفي هذه الآيةِ الكريمةِ بُرْهانٌ بَعْدَ بُرْهانٍ على بُطلانِ عبادةِ غَيْرِ اللهِ ، فَهُوَ وحدَهُ القائِمُ على كُلِّ نَفْسٍ ، بما كَسَبَتْ وهذا أَمْرٌ لا يستطيعُهُ ولا يَزْعُمُهُ أحَدٌ مِنَ المَخلُوقينَ وما يَعبدُهُ المُشْركونَ مِنْ دونِ اللهِ إنّما هِيَ آلِهَةٌ باطلةٌ أَسَموْها آلِهَةً وهي لا تَسْتَحِقُّ هذا الاسْمَ العظيمَ ، وهذه تَسْمِيَةٌ لا تُغيِّرُ مِنْ حَقيقةِ الأَمْرِ شيئاً ، وهي عَجْزُ هذه الآلِهَةِ المَزْعومَةِ عَنْ نَفع نفسِها فَضْلاً عَنْ نَفْع غيرِها ، والواقعُ يُؤكِّدُ هذهِ الحقيقةَ ويُسلِّمُ بها ، ولكنَّ المُشركينَ لَمْ يُعمِلُوا عُقولَهمْ ولَمْ يَنتَبِهُوا مِنْ غَفْلَتِهِمْ ، ورَضُوا بِما زَيَّنَهُ لَهُمُ الشَّيْطانُ مِنْ سوءِ العَمَلِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ القرآنُ الكريمُ مُعجزَةُ الرسولِ ﷺ الخالِدَةُ .

٢ـ هذا الكَوْنُ يَسيرُ بأمْرِ اللهِ وإرادتِهِ لا بما يُريدُه النَّاسُ ويرغَبُون فيهِ .

٣ـ ليسَ مِنْ سُنَّةِ اللهِ أنْ يَهديَ النَّاسَ جَميعاً ، وعلى المُؤْمنينَ أنْ يَيْأَسوا مِنْ تَحقُّقِ ذلكَ .

٤ـ حالُ الكافرينَ في الدُّنْيا مصائبُ مُتتابِعَة وهَزائمُ مُتتاليَةٌ .

٥ـ اللهُ تَعالى يُمْهِلُ ولا يُهْمِلُ ، حتى لا تَبقى أيُّ حُجَّةٍ للمُعَذَّبينَ .

٦ـ بُطلانُ عِبادةِ الأَصْنامِ وكلِّ شيءٍ سوى اللهِ ، ولا يَستحِقُّ العِبادةَ إلاَّ اللهُ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما تقديرُ جوابِ (لو) في قولهِ تَعالى : ﴿ولو أنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ بهِ الجِبالُ . . . .﴾ .

٢ـ ما معنى قولهِ تعالى : ﴿بل للهِ الأمْرُ جميعاً﴾ ؟

٣ـ إلى متى تَستمِرُّ القَوارِعُ والمَصائبُ بالكافرينَ ؟

٤ـ عدِّدِ البراهينَ المَذْكورةَ في الآيةِ (٣٣) على بُطلانِ عبادةِ غيرِ اللهِ .

٥ـ بيِّنْ معنى كُلٍّ مِمّا يلي :

أـ ولوْ أنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بهِ الجِبالُ أوْ قُطِّعَتْ بهِ الأرْضُ أو كُلِّمَ بهِ المَوْتى .

ب ـ فأمْلَيْتُ للَّذينَ كَفروا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ .

ج ـ وما لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ واقٍ .

نَشاطٌ :

ـ اكتبِ الآيةَ مِنْ سورةِ الحَشْرِ الَّتي تُبيِّنُ أثَرَ القُرآنِ على الجِبالِ .

❋ ❋ ❋

الدَّرسُ الثَّلاثونَ

سورةُ الرَّعْدِ ـ القِسْمُ التاسِعُ

۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أُكُلُها دائمٌ : ثَمَرُها باقٍ .

مآبِ : مَرْجِعي .

ولِيٍّ : نصيرٍ .

واقٍ : حافِظٍ ومانعٍ مِنَ العذابِ .

لِكُلِّ أجَلٍ كِتابٌ : لِكُلِّ وقتٍ كتابٌ كتبَهُ اللهُ تعالى .

التفسيرُ :

بعدَ بيانِ سوءِ عاقبةِ الكافرينَ ، انتُقِلَ الحديثُ إلى بيانِ حُسْنِ عاقبةِ المُتّقينَ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

أيْ : صِفَةُ الجَنَّةِ الَّتي وعدَها اللهُ عِبادَهُ المُتّقينَ أنَّها تَجري الأَنْهارُ مِنْ تَحْتِ أشجارِها وقُصورِها

وَحَيْثُ يَشاءُ أهلُها ، وثَمرُ هذهِ الجَنَّةِ باقٍ لا يَنْقَطِعُ في أيِّ وقتٍ ، وظِلالُها باقيةٌ لا تَزولُ ، هذهِ الجَنَّةُ أعدَّها اللهُ تعالى لِتكونَ مآلَ المُتَّقينَ الَّذينَ أطاعُوا أمْرَ ربِّهم ، واسْتَقامُوا على دينِهِ ، أمَّا الكافِرونَ الَّذين عَصَوْا أَمْرَ رَبِّهِم ولَمْ يُؤْمِنُوا بهِ فإنَّ مَصيرَهُمْ إلى النَّارِ الَّتي أُعِدَّتْ لَهُمْ وهُيِّئَتْ لإقامتِهِمْ .

ومِمَّا وَرَدَ في وَصْفِ ثِمارِ الجَنَّةِ مِنَ الأحاديثِ قولُهُ ﷺ : « إنَّ الرجلَ إذا نَزَعَ ثمرةً مِنَ الجَنَّةِ عادَتْ مَكانَها أُخْرى »[1] .

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

تُبيِّنُ هذهِ الآيةُ الكريمةُ أنَّ مِنَ الَّذينَ أُوتُوا الكِتابَ مِنْ قَبْلنا وهُمُ اليهودُ والنَّصارى قَوْماً آمَنُوا بالرسولِ ﷺ وهُمْ يَفْرَحُونَ ويُسَرُّونَ بآياتِ اللهِ حينَ تُتلَى عَلَيْهِمْ ويقرؤُونَها لأنَّهم يُؤْمِنونَ أنَّها كلامُ اللهِ حَقّاً ، وقَدْ عَلِمُوا البِشارةَ بِهِ مِنْ كُتُبِهِمْ .

ومِنْ أهلِ الكتابِ ومِنْ غَيْرِهِمْ آخَرُونَ لَمْ يُؤْمِنُوا بالقُرْآنِ بل كَفَرُوا وكَذَّبُوا وأنكَرُوا أنْ يَكونَ مِنْ عِندِ اللهِ ، وذلكَ لِمُخالَفتِهِ أهواءَهُمْ وشَهواتِهِمْ ، وقد أَطْلَقَتِ الآيةُ على هَؤلاءِ اسْمَ (الأحزاب) فإنَّ لفظَ الحِزْبِ يُطْلَقُ على مَنِ اجتمَعُوا على رَأْيٍ واحِدٍ .

وفي مُقابِلِ كُفْرِ هَؤلاءِ أَمَرَ اللهُ تعالى نَبيَّهُ ﷺ أنْ يُخاطِبَهم ، ويُواجِهَهُم بأنَّهُ مَأمورٌ بعبادةِ اللهِ وحْدَهُ ، وأنْ يَدْعُوَ النَّاسَ لعبادتِه ، وإخْلاصِ الطَّاعةِ لهُ ، فإنَّه إليهِ وحْدَهُ سُبْحانَهُ المَرْجِعُ والمآلُ ، والمآبُ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

وكما أنزلْنا على الرُّسُلِ مِنْ قبْلِكَ كُتُباً بلغاتِهِم أنزلْنا عليكَ القرآنَ وجَعلْناهُ بِلِسانٍ عَرَبيٍّ مُبينٍ ، لِيَسهُلَ على قَوْمِكَ فَهْمُ مَعناهُ والرُّجوعُ إليه في الأَحْكام ، وتَبْليغُهُ لِغَيْرِهِمْ مِنَ الناسِ ، وسُمِّيَ القُرْآنُ حُكْماً لِما فيه مِنَ الأحْكامِ والشَّرائعِ الَّتي يَحتاجُ إليْها النَّاسُ ويَعْمَلونَ بمُقْتَضاها ، وَوَصْفُهُ بالعَرَبيّ لأنَّهُ بيّنَهُ على طَريقةِ العَرَبِ في كَلامِها .

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحانه تحذيراً لهذه الأمة مِنْ خلالِ مخاطبَةِ نبيِّها ﷺ من اتِّباعِ أهواءِ الكفارِ فيما يطلبُونَهُ ويَرغَبُونَ في حصولِهِ مِنْ أُمورٍ ، فَقالَ سُبْحانَهُ : ولَئِنِ اتبعْتَ أيّها الرَّسولُ الكريمُ أهواءَ الكافرينَ بعدَ

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ، رقم الحديث ١٤٤٩ ، ٢/ ١٠٢ .

ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ اليقينيِّ بأنَّ الإسلامَ هُوَ الحقُّ ، لا تَجِدُ وَلِيّاً يتولّى أَمْرَكَ ويُدافِعُ عَنْكَ وينصُرُكَ ، ولا تَجِدُ مَنْ يَرُدُّ عنكَ عقابَ اللهِ وعذابَه .

وتَوْجيهُ الخطابِ في الآيةِ للنبيِّ ﷺ لِتَأكيدِ الأَمْرِ وتَبيينِ شِدَّةِ خُطورتِهِ ، إلى دَرَجَةِ أنَّه لو حَصَلَ اتِّباعُ أَهْواءِ الكافرينَ مِنْ أكرمِ الناسِ عِنْدَ اللهِ لَعُوقِبَ على ذلكَ عِقاباً شديداً ، فمَنْ كانَ دونَهُ في المَنْزِلَةِ والمَقامِ أَوْلى بالعِقابِ .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

يُخْبرُ سُبْحانَه في هذه الآية أنهُ أَرْسَلَ رُسُلاً كثيرينَ قَبْلَ نَبيِّنا محمد ﷺ ، وأنَّه جَعَلَ لِهؤلاءِ الرُّسُلِ أزواجاً يَسكُنونَ إليْهِنَّ ، وأولاداً تَقَرُّ بِهِمْ أعْيُنُهمْ ، فَلَمْ يَقْدَحْ ذَلِكَ في نُبوَّتِهم ، ورسالتِهم ، فما حصَلَ من رسولِ الله ﷺ مِنَ التزوُّجِ ، والإنْجابِ لَيْس بِدْعاً مِنَ الأَمْرِ ولا مُسْتَنْكَراً بحَقِّ الرُّسُلِ .

﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ وما كانَ في وُسْعِ رسولٍ أَنْ يأتيَ قومَهُ بمعْجزَةٍ مِنْ عِنِدِ نَفْسِهِ إلاَّ بأمرِ اللهِ تَعالى وإرادتِه .

﴿لكل أجل كتاب﴾ أي لكلِّ وَقْتٍ مِنَ الزَّمَنِ حُكمٌ يُقَرَّرُ على العِبادِ ، بِحَسَبِ أحوالِهِمْ ومَصالِحِهِمْ ، وهذا الحُكْمُ مَكتوبٌ عِنْدَ اللهِ تَعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ نَعيمُ الجَنَّةِ دائِمٌ لا يَزولُ .

٢ـ الإنْصافُ يَقتضي مِنْ أَهْلِ الكِتابِ الإيمانُ بالقرآنِ ، لأنه مُصدِّقٌ لِما مَعَهُم .

٣ـ مَنْ عَرَفَ الحَقَّ فَفَرِحَ واتَّبعَهُ فَهُوَ مِنَ الفائزينَ .

٤ـ مِنْ واجِبِ المُسْلِمِ الدَّعْوَةُ إلى دينِ اللهِ وشَرْعِهِ دونَ خوفٍ ولا تَرَدُّدٍ .

٥ـ خطورةُ اتِّباعِ المُشرِكينَ والكافِرينَ ، وعظيمُ عقوبةِ مَنْ يفعلُ ذلكَ .



التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بماذا وَصَفَتِ الآيةُ الكريمةُ الجَنَّةَ ؟

٢ـ ما مَعنى : ﴿والَّذينَ آتيناهُمُ الكِتابَ يَفْرَحونَ بما أُنْزِلَ إليكَ﴾ ؟

٣ـ ما المُرادُ بالأحْزابِ في الآيةِ ٣٦ ؟

٤ـ ما وَجْهُ تَسميةِ القُرْآنِ حُكماً ؟

٥ـ بيِّنْ معنى قولِهِ تعالى : ﴿ولئن اتَّبعْتَ أهواءَهُمْ بَعْدَما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ مالَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وليٍّ ولا واقٍ﴾ .

٦ـ ما سَبَبُ ذِكْرِ تزوُّجِ الأنبياءِ السَّابِقينَ وإنْجابِهِم ؟

٧ـ ما مَعنى ﴿لِكُلِّ أجَلٍ كتابٌ﴾ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ آيةً تُبيِّنُ خُطورةَ اتِّباعِ الكافرينَ وترْكِ أحكامِ الدينِ .

٢ـ عَدِّدْ زوجاتِ الرسولِ ﷺ ، واذْكُرْ حِكمةَ زواجِهِ ﷺ مِنْ كلٍّ مِنْهُنَّ ، واكتبْهُ في دفترِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الحادي والثَّلاثون

سورَةُ الرَّعْدِ ـ القِسْمُ العاشِرُ

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **يمحو اللهُ** : يُزيلُ اللهُ .
- **أُمُّ الكتابِ** : اللّوحُ المحفوظُ .
- **لا مُعقِّبَ** : لا رادَّ .
- **عُقبى الدارِ** : عاقِبةُ الحياةِ الدّنْيا .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ الَّتي تُختَمُ بها السورَةُ بَيانُ تصرُّفِ الله تعالى في مُلْكِهِ كما يشاءُ ، والأَمْرِ بِتَبْليغِ الرِّسالةِ ، والشَّهادةِ بِصِحَّةِ نبوّةِ محمدٍ ﷺ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ .

في هذه الآيةِ الكريمةِ الإخبارُ بشُمولِ عِلْمِهِ سبحانَه وتَصَرُّفِهِ في هذا الكَوْنِ بما يشاءُ ، فإنَّه سُبْحانَه يَمْحُو ويُزِيلُ ما يشاءُ مَحْوَهُ ، وإزالتَهُ ، ويُثْبِتُ ما يُريدُ إثباتَهُ مِنَ الأحكامِ والأَحْوالِ والأقْدارِ

كالمَرَضِ والصِّحَةِ ، والغِنَى ، والفَقْرِ ، والتَّحليلِ ، والتَّحريمِ ، وعِنْدَهُ سُبْحانَهُ العِلمُ الشاملُ المُحيطُ بِجَميعِ خَلْقِهِ مُدَوَّنٌ في اللَّوْحِ المَحْفوظِ ، الَّذي حَوى كلَّ ما كانَ ويكونُ ، وما يُحْدِثُهُ سُبْحانَه مِنْ مَحْوٍ وإثباتٍ مُدَوَّنٌ فيه فهوَ مِنْ جُمْلَةِ قَضاءِ اللهِ وقَدرِه .

وفي هذهِ الآيةِ رَدٌّ على المُشرِكينَ حينَ قالُوا : إنَّ محمداً يَأْمُرُ أصحابَهُ بِأَمرٍ ثُمَّ يأمرُهُمْ بِخِلافِه .

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾

وإنْ أريْناكَ شيئاً مِمَّا تَوَعَّدْنا به قومَكَ مِنَ العذاب في حياتِكَ ، فذاكَ أمرٌ فيه شِفاءٌ لِصَدْرِكَ وصُدورِ أتباعِكَ ، وإنْ توفَّيْناكَ قَبْلَ تَعذيبِهم فلا حَرَجَ عَلَيْكَ ، ولا تَقصيرَ مِنْكَ ، وما عَلَيْكَ إلاَّ أنْ تُبلِّغَهُم الرِّسالةَ التَّي أُمِرْتَ بِها ، وعَلَيْنا مُحاسَبَتُهُم ومُجازاتُهُم على أعمالِهِم .

وقد رأى ﷺ بَعْضَ ما وَعَدَهُ اللهُ تعالى مِنْ هَزيمةِ المُشرِكين وإذلالِهِم .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾ .

أَيُنكِرُ المُشرِكونَ تنفيذَ وَعيدِنا فيهِم ووَعْدَنا لِرَسولِنا ﷺ بتحقيقِ النَّصرِ والغَلَبَةِ ؟ ألمْ يَرَوْا أنَّ أرْضَهُم تُنتَقَصُ مِنْ جوانِبِها ونَواحِيها ، بِفَتْحِ المُسلِمينَ لَها ونصْرِهِمْ على أعدائِهِم وإلحاقِ أرضِهِم بأرضِ الإِسْلام ؟

واللهُ تعالى يَحْكُمُ في خَلْقِهِ بما يشاءُ ، ولا رادَّ لِحُكْمِهِ ، ولا مُبْطِلَ لهُ ، ومِنْ ذلكَ ما حَكَمَ بِهِ سُبْحانَهُ مِنْ نصْرِ الحقِّ وأهلِهِ وجَعْلِهِم خُلفاءَ الأرضِ يُقيمونَ فيها العَدْلَ وحُكْمَ اللهِ ، وهو سُبحانَهُ سَريعُ المُحاسَبَةِ والمُجازاةِ لِخلْقِهِ فهو المُحيطُ لكلِّ شيءٍ والعليمُ بكلِّ أمرٍ .

﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

وقد مَكَرَ الكُفَّارُ مِنَ الأقوامِ السَّابقةِ بِرُسلِهِمْ ، وحاولُوا إيقاعَ الأذى بهم كما فَعَلَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ حينَ مكرُوا بكَ وتآمرُوا عَليكَ ، واللهُ تعالى عالِمٌ بذلكَ مُحيطٌ بما يَعملُونَ وقادرٌ على إبطالِهِ ، ولا يَقَعُ شيءٌ منهُ إلاَّ بإرادتِهِ ، فلا عِبْرَةَ بمَكْرِهِم ولا قيمةَ لهُ ، واللهُ تعالى يَعْلَمُ ما يَعملُ هؤلاءِ الكُفَّارُ وما يَكيدُونَ ويُخطِّطُونَ ، كما يعلمُ جميعَ أعمالِ الخَلْقِ لا يَخفى عَلَيهِ شيءٌ مِنْها ، وسيَعلمُ الكُفَّارُ أنَّ العاقبةَ الحَسَنَةَ في الدُّنيا وفي الآخِرَةِ سَتكونُ للمُؤمنينَ ، وفي هذا بشارةٌ للمُؤمنينَ بالنَّصْرِ على أعدائِهِم وهو ما حَصَلَ فِعلاً وكَفَى بِهِ دَليلاً على أنَّ القُرْآنَ وحْيٌ إلهيٌّ وأنَّه كلامُ العَليمِ بكلِّ شيءٍ .

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ .

ويقولُ الكُفَّارُ مِنْ قومِكَ بأنَّكَ لسْتَ رسولاً مِنْ عندِ اللهِ ، تَكذيباً مِنهمُ ، وإنْكاراً لِنُبوَّتِكَ المُؤيَّدَةِ بالمُعجزاتِ البيّناتِ ، واسْتِعمالُ الفِعْلِ المُضارعِ للدَّلالةِ على تَكريرِ هذا القَوْلِ منهُم . قلْ لهُم أيُّها الرسولُ الكريمُ : تَكفي شَهادةُ اللهِ بيني وبينَكُم فهو العالِمُ بصدْقِ نُبوَّتِي وكَذِبكُم وحَسْبي بهِ شاهداً ، كما يَشهدُ بِصِدْقِي كلُّ مَنْ كانَ على عِلْمٍ بالكُتُبِ السَّماويةِ السابقةِ فإنَّها قدْ بشَّرَتْ برِسالتي .

ومِنْ هَؤلاءِ الذين كانُوا على عِلْمٍ بالكُتُبِ السابقةِ وشَهِدُوا للرسولِ ﷺ بالصِّدْقِ ورَقَةُ بنُ نَوْفلَ وعبدُ اللهِ بنُ سلامٍ ، وسَلمانُ الفارسيُّ ، وتميمُ الداريُّ ، والنجاشِيُّ ، وغيرُهم .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ اللهُ مالِكُ كلِّ شيءٍ ، ويَتصرَّفُ في مُلْكِهِ كيفَ يشاءُ .

٢ـ مَهَمَّةُ الرسولِ ﷺ هي التبليغُ والإنْذارُ ، واللهُ تعالى هو الَّذي يُحاسِبُ العِبادَ .

٣ـ البِشارةُ بانْتِصارِ الإسْلامِ وامْتِدادِهِ في الأرضِ .

٤ـ تشابُهُ الكافِرينَ في كلِّ زمانٍ في مَكْرِهِم برُسُلِهِم وبالمُصْلِحينَ .

٥ـ فَضْلُ العالِمِ على الجاهِلِ ، فشهادةُ مُؤمِنِي أهلِ الكتابِ قامَتْ بها الحُجَّةُ على مَنْ لا عِلْمَ لهم مِنَ المُشرِكينَ .

التَّقويمُ :

أجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما معنى قولِهِ تَعالى : ﴿يمحو اللهُ ما يشاءُ وَيُثْبِتُ﴾ ؟ وهلْ يَتعارضُ ذلكَ مَعَ ما هو مُدوَّنٌ في اللَّوْحِ المَحْفوظِ ؟

٢ـ هلْ رأى الرَّسولُ ﷺ شيئاً مِمَّا وَعَدَهُ اللهُ تعالى مِنَ النصْرِ على المُشرِكينَ ؟

٣ـ بيَّنَتِ الآيةُ (٤٠) انْحِصارَ مهمَّةِ الرَّسولِ في أمْرٍ ، ما هو ؟

٤ـ ما المُرادُ بنقْصِ الأرْضِ مِنْ أطرافِها ؟

٥ـ ما الردُّ على تكذيبِ المُشركينَ برسالةِ الرَّسولِ ﷺ ؟

٦ـ ما فائِدةُ الاسْتشهادِ بالَّذي عندَه عِلْمُ الكِتابِ ؟

٧ـ في آياتِ هذا الدرسِ بِشاراتٌ عِدَّةٌ بانتصارِ الإسلامِ ، اذْكُرْها .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفتَرِكَ أسماءَ ثلاثةٍ مِنْ زُعماءِ قُريشٍ قُتِلُوا يومَ بدْرٍ .

٢ـ اكتبْ آيةَ سورةِ الأنفالِ التي تُبيّنُ مَكْرَ الكافِرينَ برسولِ الله ﷺ قَبْلَ الهجرَةِ .

٣ـ اكتبْ في دفترِكَ آيةَ سورةِ الصفِّ التي تُبيّنُ بِشارةَ عيسى عليهِ السلامَ برسالةِ مُحمَّدٍ ﷺ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّاني والثَّلاثونَ

سورَةُ إبْراهِيمَ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سُورَةُ إبْراهيمَ مِنَ السُّوَرِ المَكِّيَّةِ الَّتي عُنِيَتْ بإبرازِ مَوْضوعِ العَقيدَةِ ، وَتأكيدِ الإيمانِ باللهِ ورُسُلِهِ واليَوْمِ الآخِرِ ، مِنْ خِلالِ عَرْضٍ سَريعٍ لِجوانِبِ بَعْضِ قَصَصِ الأَنْبياءِ ، والتَّذْكيرِ بِنِعَمِ اللهِ على الإنْسانِ ، وَعَرْضِ بَعْضِ مَشاهِدِ يَوْمِ القِيامَةِ ، وتَخْتِمُ السُّورةُ بِذِكْرِ مَصيرِ الظَّالِمينَ وَجَزائِهِمْ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

- الظُّلُماتِ : الضَّلالاتِ .
- النورِ : الهُدى .
- بإذنِ رَبِّهم : بتَيْسيرِهِ وَتَوْفيقِهِ .
- وَيلٌ : هَلاكٌ وَحَيْرَةٌ .
- يَسْتَحِبونَ : يَختارونَ وَيُؤْثِرونَ .
- وَيَبْغونَها عِوجاً : يُريدونَ لِدينِ اللهِ الاعْوِجاجَ وَعَدَمَ الاسْتِقامَةِ لِيُوافِقَ أَهْواءَهُمْ .
- بلِسانِ قَوْمِه : بِلُغَةِ قَوْمِهِ .

التفسيرُ :

﴿ الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ .

تَبْدَأُ هذه السّورَةُ بالحُروفِ المُقَطَّعَةِ (ألف ، لام ، را) للتَّنْبيهِ إلى إعْجازِ القُرْآنِ وأنَّ هذا الكِتابَ مُؤَلَّفٌ مِنْ حُروفٍ تَسْتَعْمِلونَها في كلامِكُمْ أيُّها العَرَبُ ، ومَعَ ذَلِكَ لا تَسْتَطيعونَ الإتْيانَ بِمْثلِهِ ولا بِمِثْلِ سُورَةٍ مِنْهُ ، فَثَبَتَ مِنْ عَجْزِكُمْ تَقْريرُ أنّهُ كَلامُ اللهِ .

وبَعْدَ الحُروفِ المُقَطَّعةِ يَأْتي ذِكْرُ القُرآنِ ، كما هُوَ الغالِبُ في مِثْلِ هذا الافتتاحِ ، فَيُخْبِرُ سُبْحانَهُ أنّهُ أَنْزَلَ هذا الكِتابَ إلى النَّبيِّ ﷺ لِيُخْرِجَ بِهِ النَّاسَ مِنَ ظُلماتِ الكُفْرِ والضَّلالِ ، إلى نُورِ الهدايةِ والإيمانِ ، بِعِلْمِ اللهِ تَعالى وَتَوْفيقِهِ وتَيْسيرِهِ ، والنّورُ الَّذي يَدْعو إليهِ الرَّسولُ هُوَ طريقُ اللهِ العَزيزِ الَّذي لا يُغالَبُ ، الحميدِ المُسْتَحِقِّ لِلْحَمْدِ على نِعَمِهِ وآلائِهِ . وإسنادُ الإخراجِ إلى الرَّسولِ ﷺ لِكَوْنِهِ المُبَلِّغَ لكلامِ رَبِّهِ والقائِمَ بالدَّعْوةِ إليْهِ .

﴿ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ﴾ .

لَفْظُ الجَلالَةِ بَدَلٌ مِنَ (العَزيزِ الحميدِ) أو عطفُ بيانٍ لَهُ ، والمَعْنى : أَنَّ الرَّسولَ ﷺ يَدْعو الخَلْقَ إلى طَريقِ اللهِ الَّذي لَهُ جَميعُ ما في هَذا الكَوْنِ ، وهُوَ المُتَصَرِّفُ في خَلْقِهِ بما يَشاءُ ، ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحانَهُ أَنَّ الَّذينَ يَكْفُرونَ بما أُرْسِلَ بِهِ نَبِيُّهُ مِنْ هُدىً سَيكونُ مآلَهُمُ الهَلاكُ والحَسْرَةُ والعَذابُ الشَّديدُ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ بَعْضاً مِنْ صفاتِ الكافِرينَ الذَّميمةِ فَقالَ :

﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٣﴾ ﴾ .

هَؤلاءِ المُسْتَحِقّونَ لِعقابِ اللهِ هُمُ الّذينَ يَخْتارونَ شَهواتِ الدُّنْيا ومُتاعَها على الآخِرَةِ ، وما فيها مِنْ نَعيمٍ مُقيمٍ ، ويَصْرِفونَ النَّاسَ عَنِ الإيمانِ باللهِ وَعَنْ طَريقِهِ المُسْتَقيمِ ، ويَطْلُبونَ لِسَبيلِ اللهِ أَنْ تَكونَ مُعْوَجَّةً مائِلَةً لِتَتَّفِقَ مَعَ أَهْوائِهِمْ وشَهواتِهِمْ ، فَهُم لا يَكْتَفونَ بالضَّلالِ بَلْ يَسْعَوْنَ لإضْلالِ غَيْرِهِمْ ويُحاوِلونَ الانْحِرافَ بِسَبيلِ اللهِ عَنْ سَواءِ الصِّراطِ ، وَهُمْ يَظُنّونَ ويَتوهَّمونَ قُدْرَتَهُمْ على ذَلِكَ . إنَّ المَوْصوفينَ بهذِهِ الصِّفاتِ في ضَلالٍ بَعيدٍ عَنِ الحَقِّ لا يُرْجى لَهُمْ صَلاحٌ ولا هِدايَةٌ ، والتَّعْبيرُ بِـ (في) للإشارةِ إلى تَمَكُّنِ الضَّلالِ مِنْهُم وإحاطَتِهِ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جانبٍ .

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ .

وما أَرْسلنا قَبْلَكَ أَيُّها الرَّسولُ الكريمُ مِنْ رَسولٍ إلاَّ كانَ مُتَحَدِّثاً بِلُغَةِ القومِ الّذينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ شَريعةَ رَبِّهِمْ وَلِتَقومَ بِهِ الحُجَّةَ عَلَيْهِمْ .

وَرسالَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ عامَّةٌ لِجَميعِ الخَلْقِ ، وكانتْ أَوْلاً بِلُغَةِ قَوْمِهِ العَرَبِ ، لأنَّهُ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بِدايةً ، وَلِيَحْمِلوا مَعَهُ أَعْباءَ الدَّعْوة ، وَيُبَيِّنوا الدِّينَ لِغَيْرِهِمْ ويَتَرْجِموهُ إلى لُغَتِهِم فَيَكونَ مَفْهوماً لَهُمْ وبَعْدَ أَنْ يَقومَ الرَّسولُ بِتَبْليغِ رِسالَةِ رَبِّهِ ، يُضِلُّ أُناسٌ مِنْ قَوْمِهِ مِمَّنِ اسْتَحَبّوا الضَّلالَةَ على الهُدَى ولَمْ يَسْتَجيبوا لأَمْرِهِ فَيُضِلُّهُمُ اللهُ ويَهْتَدي أُناسٌ مِنْ قَوْمِهِ مِمَّنِ انْفَتَحَتْ قُلوبُهُمْ لِلْهُدى والْتَزموا أَمْرَ نَبِيِّهِمْ فَيَهْدِيهُمُ اللهُ ، وَهُوَ العَزيزُ الَّذي لا يُغالَبُ في مَشيئَتِهِ ، الحكيمُ فيما أَوْجَبَ على النَّاسِ مِنْ شَريعَتِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَشْبيهُ الكُفْرِ بالظُّلْماتِ لأنَّهُ طريقُ الحَيْرَةِ والتَخَبُّطِ وعَدَمِ الاهْتِداءِ ، وتَشْبيهُ الإيمانِ بالنُّورِ ، لأنَّهُ الطَّريقُ الواضِحُ البَيِّنُ الظَّاهِرُ .

٢ـ لا هِدايَةَ إلاَّ بِتَيْسيرِ اللهِ تَعالى وَإِرادَتِهِ ، فَمَنِ اخْتارَ الهُدَى هَداهُ اللهُ ، وَمَنِ اخْتارَ الضَّلالَ أَضَلَّهُ اللهُ .

٣ـ مِنْ أَعْظَمِ الضَّلالِ مُحاوَلَةُ الانْحِرافِ بِسَبيلِ اللهِ وَجَعْلِهِ مُعْوَجّاً .

٤ـ كُلُّ رَسولٍ أُرْسِلَ إلى قَوْمِهِ بِلُغَتِهِمْ لِيَكونَ أَبْلَغَ في إقامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وأَيْسَرَ لِتَبْليغِ الرِّسالَةِ إلَيْهِمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئِلَةِ التالِيَةِ :

١ـ ما وَجْهُ تَشْبيهِ الكُفْرِ بالظُّلُماتِ وتَشْبيهُ الإيمانِ بالنُّورِ ؟

٢ـ ما إعرابُ لَفْظِ الجَلالَةِ (اللهِ) في بِدايةِ الآيةِ الثَّانِيَةِ ؟

٣ـ اذْكُرْ أَوْصافَ الكافِرينَ مُرَتَّبَةً كما جاءَتْ في الآيةِ الكَريمَةِ .

٤ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ إرسالِ الرُّسُلِ بِلُغاتِ أَقْوامِهِمْ ؟

٥ـ ما الحِكْمَةُ مِنَ اخْتيارِ اللُّغَةِ العَّربيَّةِ لِرِسالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَعَ أَنَّهُ مُرْسَلُ إلى النَّاسِ كافَّةً ؟

٦ـ مَنِ الّذينَ يُضِلُّهُمُ اللهُ ؟ ومَنِ الّذينَ يَهديهِمُ اللهُ ؟ وما دَليلُ ذَلِكَ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما قالَهُ رِبْعِيُّ بنُ عامرٍ عِنْدَ مَلِكِ الفُرْسِ مُبيِّناً مُهِمَّةَ المُسْلِمينَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والثَّلاثونَ

سورَةُ إبْراهيمَ ـ القِسْمُ الثَّاني

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بِأَيَّامِ اللهِ : وَقائِعِهِ في الأُمَمِ السَّابِقَةِ وَنِعَمِهِ .

يَسومونَكُمْ : يُذيقونَكُمْ .

سُوءَ العَذابِ : أَسْوأَهَ وأَشَدَّهُ .

يَسْتَحيُونَ : يَسْتَبْقونَ على قَيْدِ الحَياةِ .

بلاءٌ : اخْتبارٌ .

تَأَذَّنَ : أَعْلَمَ .

التفسيرُ :

في هذِهِ الآياتِ الكَريمةِ ذِكْرُ جانِبٍ مِنْ قِصَّةِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَهُوَ يُذَكِّرُ قَوْمَهُ ويَعِظُهُمْ .
قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ سُبْحانَهُ أَنَّهُ أَرْسَلَ رَسولَهُ ﷺ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلماتِ إلى النُّورِ ، أَتْبَعَ ذَلِكَ بِذِكْرِ رِسالةِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ إلى قَوْمِهِ لِيُخْرِجَهُمْ مِنْ ظُلُماتِ الكُفْرِ والضَّلالِ إلى نُورِ الهِدايةِ والإيمانِ ، فَمَضْمونُ الرِّسالاتِ واحِدٌ وَدَعْوَةُ الأَنْبياءِ واحِدَةٌ وَهِيَ الدَّعْوَةُ إلى تَوْحيدِ اللهِ وسَعادةِ البَشَرِيَّةِ باتِّباعِ مَنْهَجِهِ .

(وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ) المُرادُ بأَيَّامِ اللهِ وقائِعُهُ في الأُمَمِ السَّابِقَةِ المُكَذِّبَةِ للرُّسُلِ كَقَوْمِ نوحٍ وعادٍ وثَمودَ ، وَتَفَضُّلُهُ وإنْعامُهُ على بَني إسْرائيلَ بالنِّعَمِ المُخْتَلِفَةِ ، كإخْراجِهِمْ مِنْ قَهْرِ فِرْعَوْنَ وَشَقِّ البَحْرِ لَهُم ، وإنْزالِ المَنِّ والسَّلْوى عَلَيْهِمْ .

إنَّ في هذا التَّذْكيرِ بِنِعَمِ اللهِ وَنِقَمِهِ لَدلائِلُ واضِحَةٌ على قُدْرَةِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ وعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ لِكلِّ إنْسانٍ كثيرِ الصَّبْرِ على البَلاءِ كَثيرِ الشُّكْرِ على النَّعماءِ .

وتَخْصيصُ ذِكْرِ الصَّبَّارِ والشَّكورِ لأنَّهما أَكْثَرُ انْتِفاعاً بهذِهِ الآياتِ مِنْ سائِرِ الناسِ .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ .

تُبَيِّنُ هذهِ الآيةُ الكَريمةُ أَنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ امْتَثَلَ لأَمْرِ رَبِّهِ فَذَكَّرَ قَوْمَهُ بِنِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِمْ حينَ أَنْجاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ ، وقَدْ كانوا قَبْلَ ذَلكَ يَصبُّونَ عليْهِمْ أَلوانَ العذابِ ويُذيقونَهُمْ أَسْوَأَهُ وأَشْنَعَهُ ، وكانوا يَذْبحونَ أَبْناءَهُمُ الصِّغارَ ، وَيَسْتَبْقونَ نِساءَهُم لِلْخِدْمَةِ والإهانَةِ ، وفي ذَلِكَ العَذابِ وفي النَّجاةِ مِنْهُ ، امْتِحانٌ عَظيمٌ لَهُمْ وابْتِلاءٌ واخْتِبارٌ بالضَّراءِ لِيَصْبِروا ، وبِالسَّرَّاءِ لِيَشْكُروا وَيَحْمَدوا رَبَّهُمْ على نِعَمِهِ الكَثيرةِ عَلَيْهِمْ .

والواو في قَوْلِهِ (ويُذَبِّحونَ أَبْناءَكُمْ) لِعَطْفِ الجُمْلَةِ على ما قَبْلَها وَهُوَ (يَسومونَكُمْ سُوءَ العَذابِ) فَيَكونُ ذَبْحُ الأَبْناءِ عَذاباً آخرَ غَيْرَ العذابِ المَذْكورِ مِنْ قَبْلُ ، لأنَّ المُرادَ في هذه الآيةِ تَعْدادُ أَنْواعِ العذابِ الَّتي نَزَلَتْ بِبَني إسْرائيلَ ، أَمَّا في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٩] مِنْ دونِ واوِ العَطْفِ فَتَكونُ الجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ فيهِ تَبْييناً وتَفْسيراً لِجُمْلَةِ (يَسومونَكُمْ سُوءَ العَذابِ) .

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾

وَذَكَّرَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ قَوْمَهُ بِما أَعْلَمَهُم اللهُ تعالى بِهِ إعْلاماً واضِحاً بَليغاً ظاهِراً لا خَفاءَ فيهِ

وهُوَ : لَئِنَ شَكَرْتُمْ نِعْمَتي عَلَيْكُمْ لأزيدَنَّكُمْ مِنْ فَضْلي وَنِعَمي ، فالشُّكْرُ سَبَبٌ لِمَزيدٍ مِنَ النِّعَمِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ ، وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ نِعَمي عَلَيْكُمْ بإنْكارِها أَوْ بالتَّقْصيرِ في شُكْرِها فإنَّكُمْ سَتَسْتَحِقّونَ بذلكَ العَذابَ الشَّديدَ بِسَلْبِ النِّعَمِ في الدُّنْيا والعُقوبَةِ في الآخِرَةِ .

ومِنْ هُنا وَجَبَ على العاقِلِ التَّوجُّهُ إلى اللهِ تَعالى بالشُّكْرِ على نِعَمِهِ الكَثيرةِ ، حتَّى يَزيدَهُ اللهُ مِنْها ويُبارِكَ لَهُ فيها ، وَلْيَحْذَرْ مِنْ كُفْرِ النِّعْمَةِ بالتَّقْصيرِ في شُكْرِها أَوْ بِنِسْبَةِ حُصولِها إلى غَيْرِ اللهِ فَتُسْلَبَ مِنْهُ النِّعْمَةُ ، وَيُجازَى على كُفْرانِ النِّعْمَةِ بالحِرْمانِ مِنْها وَبالعذابِ الشَّديدِ في الآخِرَةِ .

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ .

وقالَ موسى لِقَوْمِهِ : إنْ تَجْحَدوا نِعَمَ اللهِ الَّتي أنْعَمَ بها عَلَيْكُمْ أَنْتُم وكلَّ مَنْ في الأَرْضِ ، فإنَّ هذا الإنْكارَ لا يُلْحِقُ الضَّرَرَ إلاَّ بأنْفُسِكُمْ ؛ إذْ يُؤَدِّي إلى حِرْمانِكُمْ مِنَ النِّعَمِ الَّتي تَحْتاجونَ إلَيْها وإلى دوامِها ، فَأَنْتُمُ المُحتاجونَ إلى نِعَمِ اللهِ وهُوَ سُبْحانَهُ غَيْرُ مُحْتاجٍ إلى شُكْرِكُمْ ، ولا إلى عَمَلِكُمْ فإنَّهُ الغَنِيُّ عَنْكُم ، المُسْتَحِقُّ لِلْحَمْدِ مِنْ جَميعِ خَلْقِهِ دونَ أيِّ حاجَةٍ مِنْهُ سُبْحانَهُ إلَيْهِم .

وَقَدْ جاءَ في عَدَدٍ مِنَ الأحاديثِ عَنِ الرَّسول ﷺ ما يُشيرُ إلى هذه المَعاني الوارِدَةِ في الآيَةِ الكَريمةِ ، ومِنْ ذَلكَ ما رَواهُ أبو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ : قالَ اللهُ تعالى : « يا عِبادي لَوْ أنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وجِنَّكُم كانوا على أَتْقى قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ مِنْكُمْ ما زادَ ذلكَ في مُلْكي شَيْئاً ، يا عبادي لَوْ أنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ كانوا على أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ مِنْكُمْ ما نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكي شَيْئاً ، يا عبادي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قاموا في صَعيدٍ واحِدٍ فَسَأَلوني فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إنسانٍ مَسْأَلَتَهُ ما نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكي شَيْئاً إلاَّ كما يَنقُصُ المِخْيَطُ إذا دَخَلَ البَحْرَ »[1] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ أَهَمِيَّةُ التَّذْكيرِ بالنِّعَمِ وبالنِّقَمِ لِيكونَ ذَلِكَ مِفْتاحاً لِلشُّكْرِ .

٢ـ شُكْرُ النِّعَمِ سَبَبٌ لِزيادَتِها وَدَوامِها ، وكُفْرُها سَبَبٌ لِزَوالِها .

٣ـ اللهُ تَعالى غَنِيٌّ عَنْ جَميعِ خَلْقِهِ ، فلا يَضُرُّهُ كُفْرُ كافِرٍ ولا يَنْفَعُهُ إيمانُ مُؤْمِنٍ .

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، رقم الحديث ٤٦٧٤ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيِّنِ المرادَ بأيَّامِ اللهِ .

٢ـ ما وَجْهُ تَخْصيصِ الانْتِفاعِ بالآياتِ بالصَّبَّارِ والشَّكورِ ؟

٣ـ ما الأُمورُ الَّتي كانَ آلُ فِرْعَوْنَ يَعُذِّبونَ بِها بني إسْرائِيلَ ؟

٤ـ ما جزاءُ شُكْرِ النِّعْمَةِ ؟ وما جَزاءُ كُفْرانِها ؟

٥ـ اذْكُرْ آيةً كَريمةً وَحَديثاً يَدُلاَّنِ على أنَّ اللهَ تَعالى لا يَنْفَعُهُ شُكْرُ الشَّاكِرينَ ولا يَضُرُّهُ كُفْرُ الجاحِدينَ .

نَشاطٌ :

١ ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ سَبَبَ قَتْلِ فِرْعَوْنَ لِلذُّكورِ مِنْ مَواليدِ بَني إسْرائِيلَ وتَرْكِ البَناتِ على قَيْدِ الحياةِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةَ سُورةِ لُقْمانَ الَّتي فيها أَمْرٌ بالشُّكْرِ .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والثَّلاثونَ

سورَةُ إبْراهيمَ - القِسْمُ الثّالِثُ

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مُريبٍ : مُوقعٍ في الرِّيبةِ والقَلَقِ .

فاطِرِ : مُبدع .

تَصُدّونا : تَمْنَعوننَا .

بِسُلْطانٍ مُبينٍ : بِبُرْهانٍ وَحُجَّةٍ واضِحَةٍ .

التفسيرُ :

يُحَذِّرُ اللهُ في آياتِ هذا الدّرْسِ المُشْرِكينَ مِنْ تَكْذيبِ الرَّسولِ ﷺ لِئَلاّ يُلاقوا مَصيرَ المُكَذِّبينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾ .

الاسْتِفْهامُ في الآيةِ للتَّقريرِ ، فإنَّ أَخْبارَ الأُمَمِ السَّابقَةِ كانَتْ مَعْلومَةً لِمُعاصري البِعْثَةِ إلاَّ أنَّها لم تَكُنْ مَعْلومةً بالتَّفصيلِ الَّذي وَرَدَ في الآياتِ الكَريمةِ ، فَيُخْبِرُهُمْ سُبْحانَهُ أنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ ما حَلَّ بِقَوْمِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ ، مِنْ عَذابٍ شَديدٍ ، وكَذلكَ ما نَزَلَ بِمَنْ كَذَّبَ بَعْدَهُم مِنْ أقوامٍ تَعْلمونَهُمْ كقومِ لوطٍ وقَوْمِ شُعَيْبٍ ، وتُوجَدُ أَقْوامٌ أُخرى عُذِّبوا بِسَبَبِ تَكْذيبِهِمْ ومُخالَفَتِهِمْ أَمْرَ رَبِّهِمْ ، وَهُمْ أقوامٌ لا يَعْلَمُهُمْ إلاَّ اللهُ ، فاعْتَبِروا مِمَّا حَلَّ بِهؤلاءِ جَميعاً ، وأَطيعوا أَمْرَ رَسولِكُمْ ﷺ ولا تَتَّبِعوا أَهْواءَكُمْ كَما فَعَلَ مَنْ قَبْلَكُمْ فَهَلَكوا .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ بَعْضَ ما فَعَلَهُ الأَقْوامُ مَعَ رُسُلِهِمْ ، فإنَّ الرُّسُلَ جاءوا أَقْوامَهُمْ بالمُعْجِزاتِ الباهِرَةِ ، والحُجَجِ الواضِحَةِ الدَّالَّةِ على صِدْقِهِمْ ، وكانَ جوابُ الأَقْوامِ لَهُمْ في غايةِ السُّوءِ فَقَدْ سارَعُوا إلى تَكْذيبِهِمْ وإظهارِ الشَّكِّ فيما يُدْعَوْنَ إليْهِ ، وَقاموا بِوَضْعِ أيْدِيهِمْ في أَفْواهِهِمْ غَضَباً وَغَيْظاً مِمَّا يُخْبِرُهُمْ بِهِ الرُّسُلُ ، ومِثْلُ هذا السُّلوكِ يَحْدُثُ مِنَ المُغْتاظِ مِمَّا يُقالُ لَهُ كَما أَخْبَرَ سُبْحانَهُ عَنِ المُنافِقينَ أَنَّهم ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [آل عمران : ١١٩] .

وَتَوجَّهوا بالخِطابِ إلى الرُّسُلِ مُعْلِنينَ كُفْرَهُمْ بِما جاءوهُمْ بِهِ مِنْ بَيِّناتٍ ، وشَكَّهُمْ فيما يَدْعونَهُمْ إليْهِ مِنْ إيمانٍ وَتَوحيدٍ شَكّاً قَوِيّاً يُوقِعُ في الرِّيبَةِ والقَلَقِ وعَدمِ الطُّمَأْنينَةِ .

﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ .

تَساءَلَ الرُّسُلُ في رَدِّهِمْ على كُفْرِ قَوْمِهِمْ وشَكِّهِمْ وَرَيْبِهِمْ قائلينَ : أفي وُجودِ اللهِ تَعالى وَعَظَمَتِهِ وأُلوهِيَّتِهِ شَكٌّ وارْتِيابٌ ، وكلُّ ما في الكَوْنِ يَنْطِقُ بِعَظَمَتِهِ وَيُشيرُ إلى وَحْدانِيَّتِهِ ، فَهُوَ مُبْدِعُ السَّمواتِ والأَرْضِ ومُنْشِئُهُما على هذهِ الهَيْئَةِ الرَّائِعَةِ المُحْكَمَةِ ، وَهُوَ الرَّحيمُ بِكُمْ أَيُّها البَشَرُ ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ بِكُمْ أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْكُمُ الرُّسُلَ لِيَدلُّوكُمْ على طَريقِ الهِدايَةِ والإيمانِ ، وَلِيَغْفِرَ لَكُمْ ما سَبَقَ مِنْ ذُنوبِكُمْ وَلِيَرْفَعَ عَنْكُمْ ، حِينَ تُؤْمِنونَ عَذابَ الإِهْلاكِ والاسْتِئْصالِ فَتُؤَخَّرونَ إلى آجالِكُمْ .

وبَعْدَ هذا الكلامِ والتَّبْيينِ مِنَ الرُّسُلِ كانَ رَدُّ الأَقْوامِ قَبيحاً مُؤْلِماً ، دالاًّ على العِنادِ والمُكابَرَةِ ، فقالوا لِرُسُلِهِمْ : ما أَنْتُمْ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا لا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْنا ولا تَخْتَلِفونَ عَنَّا في شَيْءٍ ، وأَنْتُمْ تُريدونَ

أَنْ تَمْنَعونا وتَصْرِفونا بِكَلامِكُمْ هذا عَنْ عِبادَةِ الآلِهَةِ الَّتي وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدينَ وَوَرِثْنا عَنْهُم عِبادَتَها ، فإنْ كُنْتُمْ صادِقينَ في أَنَّكُم رُسُلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فَأْتونا بِبُرْهانٍ بَيِّنٍ وحُجَّةٍ واضِحَةٍ تَدُلُّ على صِدْقِكُمْ في دَعوى الرِّسالَةِ الَّتي تَزْعمون .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ التَّذْكيرُ بِأَخْبارِ السَّابقينَ فيهِ فائِدَةٌ كَبيرةٌ ومَوْعِظَةٌ مُؤَثِّرَةٌ .

٢ـ تشابُهُ رَدِّ الأَقْوامِ على رُسُلِهِمْ وكَأَنَّهُمْ مُتواصون بِذلِكَ .

٣ـ جَميعُ المَخْلوقاتِ تُشيرُ إلى حِكْمَةِ الخالِقِ وَقُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ ، مِمَّا يَنْفي أيَّ رَيْبٍ أوْ شَكٍّ في ذلِكَ .

٤ـ التَّقْليدُ الأَعْمى آفَةٌ خَطيرةٌ تُدَمِّرُ المُجْتَمَعاتِ الإنْسانِيَّةَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ إلى أيِّ شَيءٍ دعا الرُّسُلُ أَقْوامَهُمْ ؟

٢ـ بماذا أجابَ الأَقْوامُ رُسُلَهُمْ ؟

٣ـ تَشابَهَ الأَقْوامُ المُرْسَلُ إلَيْهِم في أُمورٍ عِدَّةٍ ، بَيِّنْها .

٤ـ اذكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ الكَريمَةِ على ما يَلي :

أـ عِلْمُ اللهِ المُحيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ .

ب ـ وَضْعُ المَدْعوّينَ أَيْديهِمْ على أَفْواهِهِمْ غَيْظاً مِمّا يُدْعَوْنَ إليْهِ .

ج ـ اسْتِنْكارُ حُصولِ الشَّكِّ في عَظَمَةِ اللهِ عِنْدَ أَحَدٍ .

د ـ الإيمانُ سَبَبٌ لِرَفْعِ العَذابِ وَغُفْرانِ الذُّنوبِ .

* * *

الدَّرْسُ الخامِسُ والثَّلاثونَ

سورَةُ إبْراهيمَ ـ القِسْمُ الرّابِعُ

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بِسُلْطانٍ : بِحُجَّةٍ وبُرْهانٍ .

ومالَنا : وأيُّ عُذْرٍ لَنا .

مِلَّتِنا : دِينِنا .

خافَ مَقامي : خافَ يَوْمَ وُقوفِهِ بَيْنَ يَدَيِ لِلْحِسابِ .

التَّفْسيرُ :

تُتابِعُ هذِهِ الآياتُ ذِكْرَ الحِوارِ بَيْنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ وأقْوامِهِمْ وما وَعَدَ اللهُ رُسُلَهُ مِنْ نَصْرٍ وتَأْييدٍ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنِ اعْتَرَضَ الأَقْوامُ على كَوْنِ الرُّسُلِ بَشَراً مِثْلَهِمْ ، رَدَّ عَلَيْهِمُ الرُّسُلُ بِقَوْلِهِمْ : نَحْنُ مُوافِقونَ

لَكُمْ في أَنَّنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ كما قُلْتُمْ ، إلاَّ أَنَّ هذه المُماثَلَةَ بَيْنَنا في البَشَرِيَّةِ لا تَمْنَعُ مِنْ أَنْ يَتفضَّلَ اللهُ تعالى على مَنْ يَشاءُ مِنَّا بأَنْ يَخْتارَهُ لِلنُّبوَّةِ والرِّسالَةِ ، فالبَشَريةُ لَيْسَتْ مانِعاً مِنْ حُصولِ الرِّسالةِ بَلْ إنَّ حِكْمَةَ اللهِ اقْتَضَتْ أَنْ يَكونَ الرُّسُلُ مِنَ البَشَرِ ، وهذا أَدْعى للاسْتِجابَةِ لَهُمْ والأُنْسِ بِهِمْ .

أَمَّا رَدُّ الرُّسُلِ على ما طَلبوهُ مِنْهُم بقَوْلِهِمْ (فَأْتونا بِسُلْطانٍ مُبينٍ) فكانَ في قَوْلِهِمْ : ما صَحَّ لَنا وَلَيْس في قُدْرَتِنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِمُعْجِزَةٍ أَوْ أَمْرٍ خارِقٍ كما طَلَبْتُمْ ، ذلِكَ أَنَّ المُعْجِزاتِ والبَراهينَ بإذنِ اللهِ وإرادَتِهِ ، ونَحْنُ عِبادُهُ ، ولا نَتَصرَّفُ إلاَّ بأَمْرِهِ ، ونَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وما على المُؤْمِنينَ الصَّادِقينَ إلاَّ أَنْ يتوكَّلوا على اللهِ وَحْدَهُ وأَنْ يُفَوِّضوا إليْهِ جَميعَ أُمورِهِمْ .

﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

هذا مِنْ تَتِمَّةِ كلامِ الرُّسُلِ لأَقْوامِهِمْ بَعْدَ أَنْ وَجَّهوهُمْ إلى التَّوكُّلِ على اللهِ مُعْلِنينَ لَهُمْ أَنَّهُ لا عُذْرَ لنا في تَرْكِ التَّوكُّلِ على اللهِ وَحْدَهُ والاعْتِمادِ عليْهِ في جَميعِ أُمورِنا وَقَدْ أَرْشَدَنا إلى صِراطِهِ المُستقيمِ ودينِهِ وَمِنْهاجِهِ الَّذي فيهِ كُلُّ الخَيْرِ .

ثُمَّ بَيَّنَ الرُّسُلُ لأَقْوامِهِمْ أَنَّهم سَيَصْبِرونَ على ما لا يُلاقونَهُ مِنْهُم مِنْ إيذاءٍ مُتَواصِلٍ وأَنَّهُمْ مُتوكِّلونَ في جَميعِ أُمورِهِمْ على اللهِ تَعالى وَحْدَهُ ، وأَنَّهُ يَنْبَغي على كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يتوكَّلَ على اللهِ تَعالى وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ ، فَهُوَ مالِكُ الأُمورِ والمُتَصَرِّفُ في هذا الكَوْنِ بما يَشاءُ ، فَمَنْ توكَّلَ عَلَيْهِ كَفاهُ .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ الرُّسُلُ لأَقْوامِهِمُ السَّبيلَ الحَقَّ وأَنَّهُمْ سَيَصْبِرونَ على الإيذاءِ المُوَجَّهِ إليْهِمْ ، اسْتَمَرَّ الكُفَّارُ في عِنادِهِمْ وإيذائِهِمْ لِلرُّسُلِ ، فقالوا لَهُمْ بَعْدَ أَنْ ضاقَتْ صُدورُهُمْ بالحَقِّ وأَهْلِه : لَنَعْمَلَنَّ على إخْراجِكُمْ أيُّها الرُّسُلُ مِنْ أَرْضِنا إذا لَمْ تَعودوا إلى دِينِنا وتَتْرُكوا ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ دَعْوَتِنا إلى ما تَدْعونَنا إليهِ ، فلابُدَّ مِنْ أَحَدِ هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ .

وبَعْدَ أَنْ هَدَّدَ الكافِرونَ الرُّسُلَ بما قالوهُ أَوْحى اللهُ تَعالى إلى رُسُلِهِ بأَنَّهُ سَيُهْلِكُ الظَّالِمينَ الَّذينَ ظَلَموا أَنْفُسَهُمْ حِينَ اخْتاروا الكُفْرَ ومُواجَهَةَ الحَقِّ ، وَظَلموا الرُّسُلَ وأَتْباعَهُمْ حينَ آذوْهُمْ وكَذَّبوهُمْ .

﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ .

وَلَنُسْكِنَنَّكُمْ أَيُّها الرُّسُلُ أَنْتُم وأَتْباعَكُمْ أَرْضَ هَؤلاءِ الكافِرينَ بَعْدَ إهْلاكِهِمْ . وتَمْكينُ الرُّسُلِ وأَتْباعِهِمْ مِنْ أَرْضِهِمْ كائِنٌ بأَمْرِ اللهِ تَعالى لِمَنْ خافَ مَوْقِفَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ لِلحساب وخافَ وعيدَ اللهِ بالعَذاب ، وَقَدْ جاءَ هذا التَّأْييدُ مِنَ اللهِ تعالى لِرُسُلِهِ بَعْدَ تَهْديدِ الكُفَّارِ لَهُمْ بالإخراجِ مِنَ الأَرْضِ أَوِ العَوْدَةِ عَنْ دينِ اللهِ تَعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ حِكْمَةُ اللهِ في إرْسالِ الرُّسُلِ مِنَ البَشَرِ لِيَكونوا أَقْرَبَ إلى النُّفوسِ وأَدْعى للاسْتِجابَةِ لَهُمْ ، ولِيَتَمَكَّنوا مِنَ التَّأَسِّي بِهِمْ .

٢ـ عَدَمُ تَعدِّي الرُّسُلِ لِمَقامِهِمْ فَهُمْ يَعْلَمونَ أَنَّ الإتْيانَ بِالمُعْجِزَةِ إنَّما يَكونَ بِأَمْرِ اللهِ لا بِأَمْرِهِمْ .

٣ـ وُجوبُ التوكُّلِ على اللهِ في جَميعِ الأُمورِ .

٤ـ الصَّبْرُ على أَذى المُشْرِكينَ ، واحْتِمالُ ما يَصْدُرُ عَنْهُمْ مِنْ سَفاهاتٍ .

٥ـ غَلَبَةُ إرادَةِ اللهِ على إرادَةِ غَيْرِهِ ، فالمُشْرِكونَ أرادوا إخْراجَ الرُّسُلِ مِنْ ديارِهِمْ فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ ومَكَّنَ الرُّسُلَ .

٦ـ عاقِبَةُ الظُّلْمِ الخُسرانُ والدَّمارُ ، وَهِيَ لا تَتَخَلَّفُ ولا تَتَبَدَّلُ وإنْ طالَ الزَّمنُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسْئلةِ التاليةِ :

١ـ بِماذا أجابَ الرُّسُلُ على اسْتِنْكارِ المُشْرِكينَ كَونَهُمْ بَشَراً ؟

٢ـ بِماذا أجابَ الرُّسلُ على طَلَبِ المُشْرِكينَ مُعْجِزاتٍ وَبَراهِينَ ؟

٣ـ بِماذا عَلَّلَ الرُّسُلُ وُجوبَ تَوكُّلِهِمْ على اللهِ ؟

٤ـ ما الأَمْرانِ اللَّذانِ زَعَمَ المُشْرِكونَ حَتْمِيَّةَ حُصولِ أَحَدِهِما ؟

٥ـ ماذا أَوْحى اللهُ إلى رُسُلِهِ بَعْدَ تَهْديدِ المُشْرِكينَ لَهُمْ بالإِخْراجِ ؟

٦ـ ما الدُّروسُ الَّتي تَسْتَنْبِطُها مِنْ هذهِ الآياتِ ؟

٧ـ اللهُ تَعالى غالِبٌ على أَمْرِهِ ، وَضِّحْ ذَلِكَ مِنْ خِلالِ فَهْمِكَ للآياتِ الكَريمَةِ .

نَشاطٌ :

في الآيةِ (١٣) تَسْلِيَةٌ ومُواساةٌ لِلرَّسولِ ﷺ ، وضِّحْ ذَلِكَ واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

الدَّرسُ السَّادسُ والثَّلاثونَ

سورةُ إبْراهيمَ ـ القِسْمُ الخامِسُ

وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

واسْتَفْتَحوا : اسْتَنْصَرَ الرُّسُلُ باللهِ على أَقْوامِهِمُ المُكَذِّبينَ .

خابَ : خَسِرَ وَهَلَكَ .

عَنيدٍ : مُعانِدٍ لِلَحقِّ .

صَديد : ما يَسيلُ مِنْ أجسْادِ أَهْلِ النَّارِ مِنْ دَم وقَيْحٍ .

يَتَجَرَّعُهُ : يَتكلَّفُ بَلْعَهُ .

ولا يَكادُ يُسيغُهُ : يَصْعُبُ عَلَيْهِ ابْتِلاعُهُ لِكَراهَتِهِ وَنَتْنِهِ .

يَومٍ عاصِفٍ : شَديدِ هُبوبِ الرِّيحِ .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ تَتِمَّةُ الإِخْبارِ عَمَّا حَصَلَ بَيْنَ الرُّسُلِ وأَقْوامِهِمْ ، وَمَشاهِدُ مِنْ عذابِ الكافِرينَ يَوْمَ القيامةِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿١٥﴾ ﴾

بَعْدَ أَنْ وَعَدَ اللهُ تعالى الرُّسُلَ بالنَّصْرِ على أَعْدائِهِمْ وَتَمْكينِهِمْ مِنْ أَرْضِهِمْ ، تَوَجَّهَ الرُّسُلُ إلى اللهِ بالدُّعاءِ وسَأَلوهُ أَنْ يَنْصُرَهُمْ على مُكَذِّبيهِمْ ، وأَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ العادل ، فاسْتَجابَ اللهُ لَهُمْ ونَصَرَهُمْ على الكافِرينَ ، وخابَ وخَسرَ كُلُّ مُتَكبِّرٍ رافِضٍ لأَمْرِ اللهِ مُعانِدٍ لِلْحَقِّ الظَّاهِرِ البَيِّنِ .

وفي قَوْلِهِ تَعالى : ﴿وخاب كل جبار عنيد﴾ تَنْبيهٌ على أَنَّ هَؤلاءِ الكافِرينَ كانوا مُتَجبِّرينَ مُعانِدينَ لِلحَقِّ ، وَمَنْ كانَ كَذلك فَعاقِبَتُهُ الخُسْرانُ .

﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴿١٦﴾ ﴾

وَمِنْ بَعْدِ هَلاكِ هذا الجَبَّارِ العنيدِ في الدُّنْيا ، فإِنَّ لَهُ في الآخِرَةِ عَذاباً في جَهنَّمَ يَنْتَظِرُهُ ، وَسَيكونُ عَذابُهُ في النَّارِ بِأَنْ يُسقى مِنَ الصَّديدِ ، وَهُوَ ما يَسيلُ مِنْ أَجْسادِ أَهْلِ النَّارِ مِنْ قَيْحٍ وَدَمٍ فَيَشْرَبُهُ وَنَفْسُهُ تَرْفُضُهُ وَتَأْباهُ .

﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ﴿١٧﴾ ﴾ .

يَتناوَلُ الكافِرُ هذا الشَّرابَ جُرْعَةً بَعْدَ جُرْعَةٍ ، ويُحاوِلُ ويتكَلَّفُ بَلْعَهُ وهُوَ لا يَكادُ يَسْتطيعُ ابْتِلاعَهُ لِكراهَتِهِ لَهُ ، وَشِدَّةِ حَرارَتِهِ وَنَتَنِهِ فَيَغَصُّ بِهِ وَيَشْرَبُهُ بعناءٍ وَتَعَبٍ .

ومِنْ صُورِ عذابِ الكافِرِ في النَّارِ أَنْ تَأْتِيَهُ أَسْبابُ المَوْتِ مِنَ الشَّدائدِ وأَنْواعِ العَذابِ والآلامِ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ مَواضِعِ جَسَدِهِ ، وَمِنْ كُلِّ ناحِيَةٍ حَوْلَهُ ، ومَعَ ذَلِكَ لا يموتُ فَيَسْتَريحَ مِنْ هذا العَذابِ ، ولَهُ بَعْدَ هذا العَذابِ عذابٌ غَليظٌ شَديدٌ لا يَقِلُّ عَمَّا هُوَ فيهِ مِنْ عَذابٍ مُؤْلِمٍ مُسْتَمِرٍّ ، فَأَنْواعُ العذابِ في جَهنَّمَ مُتَعدِّدَةٌ مُتَنوعَةٌ .

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ .

يُبيِّنُ اللهُ تَعالى في هذهِ الآيةِ الكَريمة حالَ أَعْمالِ الكافِرينَ الَّتي ظاهِرُها الخَيْرُ والصَّلاحُ ، في ذَهابِها وَعَدمِ انْتِفاعِهِمْ مِنْها ، فحالُها كحالِ رَمادٍ أَتَتْ عليهِ رياحٌ عاصِفَةٌ فَبَدَّدَتْهُ وفَرَّقَتْهُ ، وَوَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ : الضَّياعُ والتَّفرُّقُ وَعَدمُ الانْتِفاعِ بهِ ، فَكما أَنَّ الرِّيحَ العاصِفَ فَرَّقَتِ الرَّمادَ وصَيَّرَتْهُ هَباءً مَنْثوراً ، فَكذلكَ أَعْمالُ الكافِرينَ في الآخِرَةِ لا يَنْتَفِعونَ مِنْها ، ولا ثَوابَ لَهُمْ عَلَيْها لأَنَّهم لَمْ يُريدوا بِها وَجْهَ اللهِ ، وَلَمْ يَقْصُدوا بِعَمَلِها الأَجْرَ مِنْهُ ولَمْ تَكُنْ مَبْنِيَّةً على الإيمانِ باللهِ ، فَهُمْ (لا يَقْدِرونَ على شَيءٍ مِمَّا كَسَبوا) أَيْ لا يَسْتطيعونَ نَيْلَ ثَوابٍ على عَمَلِهِمُ الَّذي أَضاعَهُ كُفْرُهُمْ ، وَذَلِكَ الَّذي

يَحْصُلُ مَعَ الكافِرِ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ ضَياعِ عَمَلِهِ وَعَدَمِ انْتِفاعِهِ بِشيءٍ مِنْهُ ، هُوَ الضَّلالُ البَعيدُ عَنِ الحَقِّ ، الَّذي يَنْتَهي بِصاحِبِهِ إلى العَذابِ العَظيمِ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

الاسْتِفْهامُ للتَّقْريرِ ، أيْ : قَدْ عَلِمْتَ أَيُّها المُخاطَبُ عِلْماً يَقيناً كَمَنْ رأى أنَّ اللهَ خَلَقَ السَّماواتِ والأرْضَ على أَتَمِّ نِظامٍ وأَبْدَعِ إحْكامٍ لِيُسْتَدَلَّ بِهِما على قُدْرَتِهِ سُبْحانَهُ وَعَظَمَتِهِ .

وَمَنْ كانَ هذا شَأْنُهُ فإنَّهُ قادِرٌ على إهْلاكِكُمْ أيُّها المُكَذِّبونَ والإتيانُ بِخَلْقٍ جَديدٍ يكونُ أَطْوَعَ للهِ مِنْكُمْ ، وأَفْضَلَ مِنْكُمْ في المُسارَعَةِ إلى الخَيْرِ والطَّاعةِ وهذا أَمْرٌ لَيْسَ بِمُمْتَنِعٍ على اللهِ ولا مُتَعَسِّرٍ ، فإنَّهُ سُبْحانَهُ قادِرٌ على كُلِّ شَيءٍ ، ومِثْلُ هذه الآيَةِ قولُهُ تَعالى : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ﴾ [النساء : ١٣٣] ، وَقَدْ ضَعُفَ العَرَبُ عَنْ حَمْلِ الإسلامِ في بَعْضِ العُصورِ فَجاءَ اللهُ بأقوامٍ غَيْرِهِمْ مِنَ الفُرْسِ والمَماليكِ والتُّرْكِ ، واللهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ، ومَنْ هذا شَأْنُهُ وهذهِ قُدْرَتُهُ فإنَّهُ حَقيقٌ بأَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ ويُرْجى ثَوابُهُ ويُخافُ عِقابُهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ اللهُ تَعالى يَسْتَجيبُ دُعاءَ رُسُلِهِ والمُسْتَجيبينَ لأَمْرِهِ .

٢ـ شِدَّةُ عَذابِ الكافِرينَ في النَّارِ وتَنَوُّعُهُ وَخُلودُهُ .

٣ـ عَدَمُ انْتِفاعِ الكافِرِ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ أَعْمالِهِ الَّتي ظاهِرُها الصَّلاحُ والخَيْرُ .

٤ـ عَظيمُ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى ، وَعَدَمُ امْتِناعِ أيِّ شَيْءٍ عَنِ الاسْتِجابَةِ لإرادَتِهِ سُبْحانَهُ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذْكُرْ أَنْواعَ العَذابِ المُعَدَّةَ لِلْكافِرِ المَذْكورةَ في هَذِهِ الآياتِ .

٢ـ بيِّنِ المَثَلَ الَّذي ضَرَبَهُ اللهُ تعالى لأَعْمالِ الكُفَّارِ يَوْمَ القيامَةِ .

٣ـ بيِّنْ مَعنى كُلٍّ ممّا يَلِي :

أ ـ واسْتَفْتَحوا .

ب ـ صَدِيد .

ج ـ يُسيغُهُ .

نَشاطٌ :

اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الَّتي تُبَيِّنُ كَيْفَ أَنْ جُلودَ الكُفَّارِ تَحْتَرِقُ ثُمَّ يُعادُ بِناؤُها لِيَسْتَمِرَّ عَذابُهُمْ في النَّارِ .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ والثَّلاثونَ

سورَةُ إبْراهيمَ - القِسْمُ السَّادِسُ

وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **وَبرزوا** : خَرَجوا مِنَ القُبورِ لِلْحِسابِ .
- **مُغْنونَ عَنّا** : دافِعونَ عَنّا .
- **أَجزِعْنا** : الجزعُ : عَدَمُ الصَّبْرِ .
- **مَحيصٍ** : مَهْرَبٍ وَملْجأ .
- **سُلطانٍ** : تَسَلُّطٍ يَلْزِمُكُمْ بِأَمْري .
- **بِمُصْرِخِكُمْ** : بِمُغيثِكُمْ .

التَّفسيرُ :

في هاتَيْنِ الآيَتَيْنِ الكَريمَتَيْنِ مَشْهَدٌ مِنْ مشاهِدِ يَوْمِ القيامَةِ يُبيِّنُ حالَ الضُّعَفاءَ وحالَ المُستَكْبِرينَ ، وخُطْبَةَ الشَّيْطانِ في أَهلِ النَّارِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعًا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴿٢١﴾ ﴾ .

تَبدأُ الآيةُ الكَريمةُ بالإخْبارِ عَنْ خُروجِ الخَلائِقِ جَميعاً مِنْ قُبورِهِمْ وبُروزِهِمْ في مَكانٍ ظاهِرٍ لا يُوجَدُ فِيهِ ما يَسْتُرُ أحداً مِنْهُم ، وبَعْدَ الحِسابِ والفَصْلِ بَيْنَ الخَلْقِ يَتَلاوَم المُقَصِّرونَ والمُخْطِئونَ فَيقولُ الأَتْباعُ المُسْتَضْعَفونَ لِلْمُتْبوعينَ المُسْتَكْبِرينَ : إنَّا كُنَّا في الدُّنْيا تابِعينَ لَكُمْ ومُنْقادينَ لأَمْرِكُمْ في تَكْذيبِ الرُّسُلِ .

وكُنَّا نُنَفِّذُ كُلَّ ما تُريدونَهُ مِنَّا ، فَهَلْ سَتَدْفَعونَ عَنَّا شَيْئاً مِنْ عذابِ اللهِ النَّازِلِ بنا ؟

فَقَدْ كُنْتُمْ تَزْعمونَ لنا في الدُّنْيا أَنْكُم سَتَحْمونَنا مِنْ هذا العَذابِ وَسَتَدْفَعونَهُ عَنَّا ، وهذا السُّؤالُ مِنَ الضُّعَفاءِ لِتَوْبيخِ أَسْيادِهِمْ ، فَقَدْ عَلِموا أنَّ أَسْيادَهُمُ المُسْتَكْبِرينَ لَنْ يَسْتَطيعوا فِعْلَ شَيْءٍ لَهُمْ أَوْ تَخْفيفَ العَذابِ عَنْهُمْ ، وَلِذا قالَ المُسْتَكْبِرونَ رَدّاً عَلَيْهِمْ : لَوْ هَدانا اللهُ إلى الإيمانِ ، والعَمَلِ الصَّالحِ المُنْجي مِنْ هذا العَذابِ لَهَدَيْناكُمْ إليهِ مَعَنا وَلَنَجَوْنا جَميعاً ، ولَكِنْ ضَلَلْنا وأَضْلَلْناكُمْ وما اخْتَرناهُ لَكُمْ هُوَ ما اخْتَرناهُ لأَنْفُسِنا ، وَلَوْ كُنَّا نَسْتَطيعُ دَفْعَ العذابِ عَنْ أَنْفُسِنا لَدَفَعْناهُ عَنَّا وَعَنْكُمْ ، ولكنْ ذَلِكَ أَمْرٌ غَيْرُ مُمْكِنٍ فَنَحْنُ وإيَّاكُمْ مُشْتَرِكونَ في العَذابِ ، ولا يَنْفَعُنا الصَّبْرُ ولا الجَزَعُ فَكِلاهُما سَواءٌ مَعَ هذا العَذابِ الَّذي نَحْنُ فيهِ حَيْثُ لا مَهْرَبَ لَنا مِنْهُ ولا مَلْجَأَ نَأْوي إليهِ .

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

المُرادُ بالشَّيْطانِ هُنا : إبْليسُ فَهُوَ رَئيسُ الشَّياطينِ ، وكَبيرُهُمْ ، وخِطابُهُ هذا مُوَجَّهٌ لأَهْلِ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَقْضِيَ اللهُ بَيْنَ العبادِ ويُدْخِلَ أَهْلَ النَّارِ فيها ، يَقولُ إبْليسُ في النَّارِ لأَتْباعِهِ : إنَّ اللهَ تعالى وَعَدَكُمْ على لِسانِ رُسُلِهِ وفي كُتُبِهِ المُنَزَّلَةِ عَلَيْهِمْ بالبَعْثِ والجَزاءِ والحِسابِ ، وَوَعْدُهُ حَقٌّ وخَبَرُهُ صِدْقٌ ، وَقَدْ حَصَلَ كما تَرَوْنَ وكُنْتُ في الدُّنْيا قَدْ وَعدتُكُمْ بأَنْ لا جَنَّةَ ولا نارَ ولا حِسابَ ولا جَزاءَ ، وأَنِّي سَأَشْفَعُ لَكُمْ إنْ كانَ هناكَ جَزاءٌ ، وقَدْ أَخْلَفْتُكُمْ الوَعْدَ وكَذَبْتُ عَلَيْكُمْ ، والخَطَأُ مِنْكُمْ والعَيْبُ فيكمْ حينَ اتَّبَعْتُموني مَعَ أَنَّهُ لا سُلْطَةَ لي عَلَيْكُمْ أُلْزِمُكُمْ بها باتِّباعي ، وكُنْتُ حينَ أَدْعوكُمْ إلى الكُفْرِ أَوْ إلى المَعْصيَةِ تُسارِعَونَ إلى إجابَتي واتِّباعِ أَمْري ، فلا تَلوموني على وَسْوَسَتي وتَزْيِيني المُنْكَرَ لَكُمْ ، ولوموا أَنْفُسَكُمْ على طاعتي ، وأَنا اليومَ لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُغيثَكَمْ ولا أَنْ أُعينَكُمْ

على ما أنْتُمْ فيهِ ، كما أنَّكُمْ لا تَسْتطيعونَ إغاثَتي وإنْقاذي مِنَ العذابِ الَّذي أنا فيهِ ، وأنا اليومَ بريءٌ مِنْ أفْعالِكُمُ السَّابقةِ ، جاحِدٌ لإشْراكِكُمْ إيّايَ مَعَ اللهِ حينَ أَطَعْتُموني وَعَصَيْتُمْ أمْرَ رَبِّكُمْ ، فَظَلَمْتُمْ بِفِعلِكُمْ هذا أنْفُسَكُمْ فذوقوا العذابَ الأليمَ الّذي يَسْتَحِقُّهُ الظّالمونَ .

وهذا الخطابُ مِنَ الشَّيْطانِ لأَهْلِ النَّارِ فيهِ اعْترافٌ مِنْهُ بعدمِ قُدْرَتِهِ على إغاثَتِهِمْ وبإخْلافِهِ وَعْدَهُ لَهُم في الدُّنيا ، وفيهِ تَبْكيتٌ لَهُمْ وتَحْقيرٌ لِشانِهِمْ حين اتَّبَعوهُ فَوْرَ دَعْوَتِهِ لَهُمْ وَهُوَ لا يَمْلِكُ سُلطاناً يَقْهَرُهُمْ بِهِ وَيُلْزِمُهُمْ باتِّباعِهِ ، وفيهِ لَوْمٌ لَهُمْ لِعَدمِ اسْتِجابَتِهِمْ لِوَعْدِ اللهِ وَهُوَ الوَعْدُ الحَقُّ ، وفيهِ تَبرؤٌ مِنْهُمْ حينَ أَشْرَكوهُ مَعَ اللهِ وَجعلوهُ نِدّاً لَهُ ، فأطاعوا أَمْرَهُ دونَ أَمْرِ رَبِّهِمْ .

والمَقْصودُ مِنْ حكايةِ هذا القَوْلِ الصّادرِ مِنَ الشَّيْطانِ لأتْباعِهِ يَوْمَ القيامةِ تَحذيرُ المُؤْمنينَ مِنْ وَسْوَسَتِهِ وكَيْدِهِ ، حَتَّى يَنْجُوَ مِنَ العذابِ الّذي سَيَحِلُّ بِأَتْباعِهِ في ذلكَ اليَومِ العظيمِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ عَدَمُ جَوازِ اتِّباعِ الآخَرينَ دُونَ دَليلٍ أَوْ بيِّنَةٍ .

٢ـ اعْترافُ المُسْتَكْبرينَ بِضلالِهِمْ بَعْدَ الحِساب لا يُنْجيهِمْ مِنَ العَذابِ .

٣ـ لا يُوجَدُ لِلشَّيْطانِ سُلْطانٌ على البَشَرِ إلاّ بالوَسْوَسَةِ والإغْواءِ .

٤ـ اتِّباعُ الشَّيطانِ في مَكْرِهِ وكَيْدِهِ عِبادَةٌ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ .

٥ـ إخْبارُ اللهِ بما سَيَكونُ قَبْلَ حُصولِهِ دَليلٌ على شُمولِ عِلْمِهِ سُبْحانَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماذا قالَ الضُّعَفاءُ لِلْمُسْتَكْبرينَ ؟ وَبِماذا رَدَّ المُسْتَكْبِرونَ عَلَيْهِمْ ؟

٢ـ متَى يَقومُ الشَّيْطانُ خَطيباً بِأَتْباعِهِ ؟

٣ـ ما أَهَمُّ الأُمورِ الّتي تَضَمَّنَها خِطابُ الشَّيْطانِ ؟

٤ـ لِماذا طَلَبَ الشَّيْطانُ مِنْ أَتْباعِهِ لَوْمَ أَنْفُسِهِمْ ؟

٥ـ بَيِّن مَعنى كُلٍّ ممّا يَلي :

أ ـ وبَرَزوا للهِ جَميعاً .

ب ـ سَواءٌ عَلَيْنا أَجَزِعْنا أَمْ صَبرْنا ما لَنا مِنْ مَحيصٍ .

ج ـ ما أَنا بِمُصْرِخِكُمْ وما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ .

٦ـ مَتى يَسْتَوي عِنْدَ الكافِرِ الصَّبْرُ والجَزَعُ ؟ وَلِماذا ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةً مِنْ سُورَةِ البَقَرةِ تُبَيِّنَ تَبَرُّؤَ السَّادةِ مِنْ أَتْباعِهِمْ يَوْمَ القيامةِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةَ سُورَةِ الحَشْرِ الَّتي تُبَيِّنُ إِضْلالَ الشَّيطانِ للنَّاسِ وبَراءَتَهُ مِنْهُم .

❋ ❋ ❋

الدَّرسُ الثَّامِنُ والثَّلاثُونَ

سورَةُ إبْراهيمَ - القِسْمُ السَّابِعُ

وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ	: كَلِمَةِ التَّوْحيدِ .
تُؤْتي أُكُلَها	: تُعْطي ثَمرَها .
كُلَّ حِينٍ	: كُلَّ وَقْتٍ .
كَلِمَةٍ خَبيثةٍ	: كَلِمَةِ الكُفرِ والضَّلالِ .
اجْتُثَّتْ	: اقْتُلِعَتْ مِنْ جُذورِها .
قَرارٍ	: ثَباتٍ واسْتِقْرارٍ .

التفسيرُ :

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ سُبْحانَهُ مَصيرَ الأَشْقياءِ وجَزاءَهُمْ ، أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ مَصيرِ المُتَّقينَ السُّعَداءِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

أيْ : وأَدْخَلَ اللهُ عِبادَهُ المُؤْمنينَ الطَّائِعينَ الَّذين عَمِلوا الأَعْمالَ الصَّالِحَةَ جَنَّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِ ثِمارِها وأشْجارِها وقُصورِها الأَنْهارَ ، وهُمْ خالِدونَ في هَذِهِ الجَنَّاتِ لا يَخْرُجونَ مِنْها ولا يَموتونَ ، فَنَعيمُهُمْ فيها دائِمٌ لا يَنْقَطِعُ ، وكلُّ ذَلِكَ بإِذْنِ رَبِّهِمْ وإرادَتِهِ وتَوْفيقِهِ وَهِدايَتِهِ لَهُمْ ، ويُحَيِّيهِمْ رَبُّهُمْ سُبْحانَهُ بالسَّلامِ وتُحَيِّيهِمُ المَلائِكَةُ بالسَّلامِ ويُحَيِّي بَعْضُهُمْ بَعْضاً بالسَّلامِ ، وهِيَ كَلِمَةُ دُعاءٍ بالسَّلامَةِ مِنْ كُلِّ العاهاتِ والمُنَغِّصاتِ .

والتعبيرُ عَنْ دُخولِ الجَنَّةِ بالفِعْلِ الماضِي لِتَحقُّقِ حُصولِهِ ، فاللهُ تَعالى لا يُخْلِفُ وَعْدَهُ .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

أيْ : أَلَمْ تَعْلَمْ أَيُّها المُخاطَبُ العاقِلُ كَيْفَ بَيَّنَ اللهُ تَعالى مَثَلاً لِلنَّاسِ يَعْرِفونَ بِهِ مَنْزِلَةَ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ وهي كَلِمَةُ التَّوْحيدِ (لا إلهَ إلاَّ اللهُ) حَيْثُ شَبَّهَها بِشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ، أَصْلُها ضارِبٌ بِجُذورِهِ في الأَرْضِ ، وَفَرْعُها مُتَّجِهٌ إلى السماءِ .

ويَدْخُلُ في الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ كُلُّ ما يَتْبَعُ كَلِمَةَ التَّوْحيدِ مِنْ عباراتٍ حسَنَةٍ وأقوالٍ نافِعَةٍ .

﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

تُعْطي هَذهِ الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ ثِمارَها في كُلِّ وَقْتٍ حَدَّدهُ اللهُ لإثْمارِها بإذنِ خالِقِها ومُنْبِتِها ، ويَضْرِبُ اللهُ تَعالى الأَمْثالَ للنَّاسِ رَجاءَ أَنْ يَعْتَبِروا ويَتَذَكَّروا ، إذْ في ضَرْبِ الأَمْثالِ تَقريبُ البَعيدِ وتَصْويرُ المَعْقولِ بِصورَةِ المَحْسوسِ .

وَقَدْ وُصِفَتِ الشَّجَرَةُ المُشَبَّهُ بها في الآيةِ بأربعِ صِفاتٍ هي : كَوْنُها طَيبةً ، وهذا الوصفُ يَشْمَلُ طِيبَ ثَمَرِها وَطِيبَ مَنْظَرِها وظِلِّها ومَنافِعِها ، وأنَّ أَصْلَها ثابتٌ ، وأنَّ فَرْعَها في السَّماءِ ، وأنَّها تُؤْتي أُكُلَها كُلَ حينٍ بإذْنِ ربِّها ، ومَجْموعُ هذه الصِّفاتِ يَدلُّ على عَظَمَةِ شَأْنِ هذهِ الشَّجرةِ ، وأكْثَرُ المُفَسِّرينَ على أنَّ الشَجَرَةَ المَضْروبَ بها المَثَلُ هي النَّخْلَةُ ، فإنَّها مِنْ أَنْفَعِ الشَّجَرِ وأَطْيَبِهِ ويُنْتَفَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فيها ، ويُؤْكَلُ ثَمَرُها في كُلِّ وَقْتٍ وعلى أيِّ هَيْئَةٍ كانَ .

وَوَجْهُ الشَّبَهِ أَنَّ أَصْلَ كَلِمَةِ الإيمانِ ثابتٌ في قَلْبِ المُؤْمِنِ كَثُبوتِ جِذْعِ النَّخْلَةِ في الأَرْضِ ، وأنَّ ما يَتَفَرَّعُ مِنْها ويُبْنى عَلَيْها مِنَ الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ والأَفْعالِ الطَّيِّبَةِ يُرْفَعُ إلى السَّماءِ ، وأَنَّ ما يَتَرَتَّبُ

على ذَلِكَ مِنْ ثَوابِ اللهِ تعالى وَرِضاهُ دائِمٌ يَحْصُلُ الانْتِفاعُ بِهِ في كُلِّ وَقْتٍ ، وكُلُّ عَمَلِ المُؤْمِنِ خَيْرٌ وبَرَكَةٌ لِنَفْسِهِ وَلِمَنْ حَوْلَهُ .

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ سُبحانَهُ مَثَلَ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ وَهِيَ كَلِمَةُ التَوْحيدِ ، أَتْبَعَهُ بِمَثَلِ الكَلِمَةِ الخَبيثَةِ وَهِيَ كَلِمَةُ الكُفْرِ وما يَدْعو إليْها وما يتَّصِلُ بها ، فَمِثْلُها كَشَجرةٍ خَبيثَةٍ في ثَمَرَتِها ومَنْظَرِها ورائِحَتِها ، اقْتُلِعَتْ مِنْ أَصْلِها بِسُهولَةٍ لِكَوْنِ عُروقِها غَيْرَ عَميقَةٍ ولا ثابِتَةٍ ، وَلَيْسَ لِهذهِ الشَّجَرَةِ الخَبيثَةِ مِنْ ثَباتٍ في الأَرْضِ ولا اسْتِقْرارٌ ، فَلَيْسَ لَها أصلٌ ثابتٌ ولا فَرْعٌ صاعِدٌ .

وَوَجْهُ الشَّبَهِ بيْنَ الكَلِمَةِ الخَبيثَةِ وهَذِهِ الشَّجَرَةِ أَنَّ كَلِمَةَ الكُفْرِ غَيْرُ مُسْتَقِرَّةٍ ولا ثابِتَةٍ ولا يَصْدُرُ عَنْها إلاَّ كُلُّ خَبيثٍ مُسْتَنْكَرٍ قَبيحٍ ، وعَمَلُ الكافِرِ مَرْدودٌ عَلَيْهِ غَيْرُ مُتَقَبَّلٍ مِنْهُ .

والمُرادَ بالشَّجَرَةِ الخَبيثَةِ في المَثَلِ كُلُّ شَجَرَةٍ تَجْمَعُ الأَوْصافَ السَّيِّئَةَ المَذْكورَةَ في الآيةِ ، وقيلَ هِيَ الحَنْظَلُ .

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

يُثَبِّتُ اللهُ تَعالى عِبادَهُ المُؤْمِنينَ بأنْ يُعينَهُم على التَّلَفُّظِ بالقَوْلِ الصَّادِقِ والطَّيِّبِ (في الحيةِ الدُّنيا) بأنْ يَجْعَلَهُمْ يَنْطِقونَ كَلِمَةَ التَّوْحيدِ ويَدْعون إليْها وإلى كُلِّ خَيْرٍ ، مُتَمَسِّكينَ بالحَقِّ داعينَ إلَيْهِ ثابتينَ عَلَيْهِ لا تُؤَثِّرُ فِيهِمُ المِحَنُ والشَّدائِدُ . (وفي الآخِرَةِ) أيْ بَعْدَ المَوْتِ بأنْ يَوَفِّقَهَمُ إلى الجَوابِ الصَّحيحِ عِنْدَ سُؤالِ المَلَكَيْنِ في القَبْرِ ، وهُو أَوَّلُ مَنازِلِ الآخِرَةِ ، وفي مَواقِفِ القِيامَةِ فلا يَتَلَعْثَمونَ إذا سُئِلوا ولا تُدْهِشُهُمُ الأَهْوالُ العَظيمَةُ .

وفي الحَديثِ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « المُسْلِمُ إذا سُئِلَ في القَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وأَنَّ مُحمَّداً رسولُ اللهِ ، فَذلِكَ قولُهُ تعالى : ﴿يثبِّتُ اللهُ الّذينَ آمنوا بالقولِ الثّابتِ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخِرَةِ﴾[1] .

(ويُضِلُّ اللهُ الظَّالِمينَ) ولا يَهْدي اللهُ تَعالى الظَّالِمينَ في الحياةِ الدُّنيا إلى كَلِمَةِ الخَيْرِ ، ولا يُثَبِّتُهم عَلَيْها بَعْدَ المَوْتِ ، فَيَخْذُلَهُمْ ولا يُعينُهُمْ جَزْاءَ ظُلْمِهِمْ لأَنْفُسِهِمْ بإصْرارِهِمْ على الكُفْرِ والضَّلالِ وتَبْديلِ فِطْرَةِ اللهِ تَعالى الّتي فطَرَ النَّاسَ عَلَيْها .

واللهُ تَعالى هُوَ المُتَصرِّفُ في هذا الكَوْنِ فَيَفْعَلُ ما يَشاءُ ، ومِنْ ذَلِكَ تَثْبيتُ عِبادِهِ المُؤْمنينَ ،

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير ، رقم الحديث ٤٤٢٢ .

وخِذْلانُ الكافِرينَ الظّالمينَ ، وفي إظْهارِ لَفْظِ الجَلالَةِ بَدَلَ إضْمارِهِ في هاتيْنِ الجُمْلَتيْنِ تَقريرٌ لِوُجوبِ مَهابَتِهِ سُبْحانَهُ في نُفوسِ عِبادِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ دُخولُ الجَنَّةِ إنَّما يَكونُ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعالى وإذْنِهِ ، والأَعْمالُ الصَّالِحَةُ مِنَ العِبادِ سَبَبٌ لِذلكَ .

٢ـ اسْتِحْبابُ إفْشاءِ السَّلامِ وإعْلانِهِ ، وهُوَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الجَنَّةِ .

٣ـ تَبْشيرُ المُؤْمنينَ بِتَثْبيتِ اللهِ تَعالى لَهَمُ في الدُّنْيا وَبَعْدَ المَوتِ في القَبْرِ وما بَعْدَهُ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما فائِدَةُ التَّعْبيرِ عَنْ دُخولِ أَهْلِ الجَنَّةِ إلَيْها بالفِعْلِ الماضي ؟

٢ـ أ ـ بِماذا وُصِفَتِ الشَّجَرَةُ الَّتي ضُرِبَتْ مَثَلاً لِلْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ ؟

ب ـ ما وَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ والشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ ؟

٣ـ أ ـ بِماذا وُصِفَتِ الكَلِمَةُ الخَبيثَةُ ؟

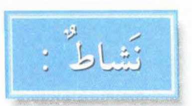
ب ـ ما وَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَ الكَلِمَةِ الخَبيثَةِ والشَّجَرَةِ الخَبيثَةِ ؟

٤ـ كَيْفَ يَكونُ تَثْبيتُ المُؤْمِنِ بِالقَوْلِ الثَّابِتِ في الدُّنْيا ؟ وفي الآخِرَةِ ؟

فائِدَةٌ :

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسولِ اللهِ ﷺ فَقالَ : (أَخْبِروني عَنْ شَجَرَةٍ شِبْهَ الرَّجُلِ المُسْلِمِ لا يَتَحاتُّ وَرَقُها تُؤْتي أُكُلَها كُلَّ حينٍ ؟ قالَ ابنُ عُمَرَ : فَوَقَعَ في نَفْسي أَنَّها النَّخْلَةُ ، ورأيتُ أبا بَكْرٍ وَعُمَرَ لا يَتَكَلَّمانِ فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ ، فقالَ ﷺ : هِيَ النَّخْلَةُ ، فَحَكَيْتُها

لأَبي فَقالَ : يا بُنَيَّ لَوْ كُنْتَ قُلْتَها لَكانَتْ أَحَبَّ إليَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ »[1] .



١ ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ سُورَةِ يس الآياتِ الّتي فيها التَّحِيّةُ مِنَ اللهِ تَعالى لأَهْلِ الجَنَّةِ بالسَّلامِ .

٢ ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ عَمَّ يُسْأَلُ المَرءُ في قَبْرِه ، وما دَليلُ ذَلِكَ .

* * *

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب رقم ١٨٩ ، رقم الحديث ٤٤٢١ ، ورواه مسلم في كتاب صلاة المنافقين باب مثل المؤمن مثل النخلة رقم الحديث ٧٠٣٠ .

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والثَّلاثونَ

سورَةُ إبْراهيمَ - القِسْمُ الثَّامِنُ

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **دارَ البَوارِ** : دارَ الهَلاكِ .
- **يَصْلَوْنَها** : يَدْخُلونَها لِيُعَذَّبوا فيها .
- **أَنْداداً** : شُرَكاءَ مِنَ الأَصْنامِ .
- **لا خِلالَ** : لا صَداقَةَ ولا مَوَدَّةَ .
- **سَخَّرَ** : ذَلَّلَ .
- **دائِبَيْنِ** : دائِمَيْنِ .
- **لا تُحْصوها** : لا تَسْتَطيعونَ حَصْرَها .



التفسير :

تَبْدَأُ هَذهِ الآياتُ ببيانِ مَصيرِ الجاحِدينَ لِنِعَمِ اللهِ تَعالى ، قالَ سُبحانَهُ :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾

أيْ : أَلَمْ تَنْظُرْ أيُّها المُخاطَبُ إلى حالِ سادَةِ المُشْرِكينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِإرْسالِ رَسولِ اللهِ ﷺ ، وإسْكانِهم مَكَّةَ الحَرَمَ الآمِنَ الَّذي يُجْبى إليهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ ، فَلَمْ يَعْرِفوا قَدْرَ هذه النِّعَمِ وَبَدَلاً مِنْ أَنْ يَشْكروا اللهَ عَلَيْها كَفَروا بها ، وبَدَلاً مِنْ أَنْ يَتَّبعوا رَسولَهُمْ ﷺ كَذَّبوهُ وآذَوْهُ ، فاسْتَحَقّوا الخُسْرانَ والهَلاكَ وسَلْبَ النِّعْمَةِ هُمْ ومَنِ اتَّبَعَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ ومَنْ كانَ على مَنْهجِهِمْ مِنَ المُشْرِكينَ الجاحِدينَ لِنِعَمِ اللهِ تَعالى .

ثُمَّ بَيّنَ سُبْحانَهُ المُرادَ بدارِ البَوارِ ، فقالَ :

﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾

فَهُمْ سَيَدْخُلونَ جَهَنَّمَ ويُعَذَّبونَ فيها بِأَنْواعِ العَذابِ والعِقابِ ، وإنَّ جَهَنَّمَ هِيَ بِئْسَ المَكانُ الَّذي يَسْتَقِرّونَ فيهِ .

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

أيْ : إنَّ هؤلاءِ الخاسِرينَ لَمْ يَكْتَفوا بِجُحودِ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ ، بَلْ زادوا عَلَيْها أَنَّهُمْ نَصَبوا أَصْنامَهُمْ آلِهَةً يَعْبُدُونَها مَعَ اللهِ ويَدْعونَها مِنْ دُونِهِ ، وَذَلِكَ لِيَصْرِفوا غَيْرَهُمْ عَنْ طريقِ الهُدَى والخَيْرِ الَّذي هُوَ سَبيلُ اللهِ المَوصِلُ إليْهِ ، فَقُلْ أَيُّها الرَّسولُ لِهؤلاءِ : تَمتَّعوا بما شِئْتُمْ التَّمتُّعَ بِهِ مِنْ شَهواتِ الدُّنْيا وَزينَتِها فإنَّ هذا المَتاعَ غَيْرُ دائمٍ لَكُمْ ، ومَصيرُكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إلى النَّارِ حَيْثُ تَدْخُلونَها وتُعَذَّبونَ فيها وتَبْقَوْنَ فيها خالِدينَ .

﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾ .

بَعْدَ هذا التَّهْديدِ لِلْكافِرينَ ، أَمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أَنْ يُواصِلَ الدَّعْوَةَ ، وأَنْ يَطْلُبَ مِنَ المُسْلِمينَ إقامَةَ الصَّلاةِ وَذَلِكَ بالمُواظَبَةِ عَلَيْها وأدائِها في أَوْقاتِها المُحَدَّدَةِ مُسْتَوْفِيَةً لأَرْكانِها وشُروطِها ، والإنْفاقَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ سِرّاً وعلانيةً ، فَيُنْفِقونَ سِرّاً في صَدَقَةِ التَّطوُّعِ وفي الحالِ الَّذي يَرَوْنَ السِرَّ فيهِ أَفْضَلَ ويُنْفِقونَ الزَّكاةَ الواجِبَةَ علانِيَةً ، وما يَرَوْنَ في إعْلانِهِ مَنْفَعَةً وفائِدَةً ، وعلى المُؤْمنينَ أَنْ يُبادِروا إلى هذهِ الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمُ القيامَةِ ، وهو اليَوْمُ الَّذي لا بَيْعَ

فيهِ ولا شِراءَ ، ولا تَنْفَعُ فيهِ شَفاعَةُ الأَخِلاّءِ والأَصْدِقاءِ ، ولا يَنْتَفِعُ فيهِ المَرْءُ إلاّ بِعَمَلِهِ الصَّالِحِ .

ونِسْبَةُ اللهِ العِبادَ إلى نَفْسِهِ في قَوْلِهِ (قُلْ لِعِبادي) نِسْبَةُ اخْتِصاصٍ ، فَهُمْ مُخْلِصونَ لَهُ ، وَهِيَ في الوَقْتِ نَفْسِهِ نِسْبَةُ تَشْريفٍ وتَحَبُّبٍ وتَكْريمٍ ، وفي إسْنادِ الرِّزْقِ إليْهِ في قَوْلِهِ (رَزَقْناهُمْ) تَذْكيرٌ بأَنَّ المالَ الَّذي بَيْنَ أَيْديهِمْ ما هُوَ إلاَّ رِزْقٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ وَنِعْمَةٌ مَنَّ بِها عَلَيْهِمْ ، وَهذا مِمَّا يَسْتَدْعي الإنْفاقَ في الخَيْرِ شُكْراً للهِ على نِعَمِهِ .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

يَتعرَّفُ اللهُ إلى عِبادِهِ في هذهِ الآيةِ الكريمةِ ، فَهُوَ الَّذي أَبْدَعَ السَّمواتِ والأَرْضَ وأَوْجَدهُما مِنَ العَدَمِ ، وأَتْقَنَ خَلْقَهُما وجَعَلَ فيهِما مِنَ الآياتِ البَيِّناتِ ما يُشيرُ إلى عَظَمَةِ الخالِقِ وقُدْرَتِهِ .

وهُوَ سُبْحانَهُ الَّذي أَنْزَلَ مِنَ السُّحُبِ المَطَرَ ، فَأَخْرَجَ بِهِ أَصْنافَ النَّباتِ المُتَنَوِّعَةَ في أَلْوانِها وأَحْجامِها وطُعومِها ومنافِعِها ، وجَعَلَها رِزْقاً للإنْسانِ يَأْكُلُ مِنْها ويَنْتَفِعُ بِها في سائِرِ وُجوهِ الانْتِفاعِ .

وهُوَ سُبْحانَهُ الَّذي ذَلَّلَ لَكُمُ السُّفُنَ لِتَجْرِيَ في البَحْرِ بِأَمْرِهِ ، وَذَلِكَ بِأَنْ أَقْدَرَكُمْ على صِناعَةِ السُّفُنِ ويَسَّرَ لَكُمُ اسْتِعْمالَها ، وأَرْسَلَ الرِّياحَ تُسَيِّرُها إلى حَيْثُ تَشاؤونَ ، كُلُّ ذلِكَ بِأَمْرِهِ وتَوْفيقِهِ .

وهُوَ الَّذي ذَلَّلَ لَكُمُ الأَنْهارَ تَجْري في الأَرْضِ ، وتَنْتَفِعونَ مِنْ مِياهِها بالشُّرْبِ والسَّقْيِ وغَيْرِهِما مِنْ وُجوهِ الانْتِفاعِ .

وابْتَدأَتِ الآيَةُ بِلَفْظِ الجَلالَةِ (اللهُ) لِما في ذَلِكَ مِنْ تَربيةِ المَهابَةِ وَلَفْتِ أَنْظارِ المُشْرِكينَ إلى ما يَجِبُ الإيمانُ بِهِ وهُوَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

وَلِمزيدٍ مِنْ تَعريفِ اللهِ لَنا بِنَفْسِهِ أَخْبَرنا أَنَّهُ هُوَ الَّذي ذَلَّلَ لَنا الشَّمسَ والقَمَرَ دائِمَيْنِ في حَرَكَتِهِما وفائِدَتِهِما للإنْسانِ وَللحياةِ في هذهِ الأَرْضِ ، وسَخَّرَ لَنا اللَّيْلَ والنَّهارَ مُتعاقِبَيْنِ ، ولِكُلٍّ مِنْهُما دَوْرُهُ وَمُهِمَّتُهُ، فَفي النَّهارِ تَبْتَغونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وتَقْضونَ مَصالِحَ معاشِكُمْ ، وفي اللَّيْلِ تَرْتاحونَ وتَسْتَرِدّونَ قُوَّتَكُمْ ونَشاطَكُمْ بالنَّوْمِ كما قالَ تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ [النبأ : ١٠-١١] .

﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

وأَعْطاكُمْ تَفَضُّلاً مِنْهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَأَلْتُموهُ إيّاهُ ما يَنْفَعُكُمْ ويُصْلِحُ أَمْرَ مَعاشِكُمْ ، كما أَعْطاكُم أَشْياءَ كَثيرةً لَمْ تَسْأَلوهُ إيّاها ، فَهُوَ الأَعْلَمُ بما فيهِ الخَيْرُ لَكُمْ ، وإنَّ نِعَمَ اللهِ عَلَيْكُمْ كَثيرةٌ مُتَعَدِّدَةٌ ، فإنْ حاوَلْتُمْ إحْصاءَها وحَصْرَها فإنَّكُمْ لَنْ تُطيقوا ذَلِكَ وَلَنْ تَسْتَطيعوهُ لِقُصورِكُمْ وكَثْرَتِها ، وإنَّ الإنْسانَ

عَظيمُ الظُّلْمِ لِنَفْسِهِ شَديدُ الكُفْرِ لِنِعَمِ رَبِّهِ ، فَهُوَ دائِمُ الانْتِفاعِ بِها وَلكِنَّهُ يُقَصِّرُ في شُكْرِها ويَضَعُها في غَيْرِ مَوْضِعِها ، والأَوْلى بِهِ الاسْتِمْرارُ في شُكْرِ نِعَمِ رَبِّهِ والقِيامِ بِحَقِّها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَعَرُّفُ اللهِ إلى عِبادِهِ بِأَفْعالِه وَنِعَمِه وآلائِه .

٢ـ التَعْجيبُ مِنْ حالِ الإنْسانِ الَّذي يُقابِلُ النِّعْمَةَ بالكُفْرِ فَيَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ تَعالى .

٣ـ تَأكيدُ خَسارَةِ الكافِرينَ وأَنَّ مَصيرَهُمُ النّارَ خالِدينَ فيها .

٤ـ وُجوبُ المُسارَعَةِ إلى فِعْلِ الخَيْرِ قَبْلَ انْقِضاءِ الأَجَلِ .

٥ـ كَثْرَةُ نِعَمِ اللهِ المُحيطَةِ بالإِنْسانِ وتَنَوُّعِها ، وَعَدَمُ القُدْرَةِ على حَصْرِها .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئِلَةِ التالِيَةِ :

١ـ مَنِ الَّذينَ بَدَّلوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً ؟ وما جَزاؤُهُمْ ؟

٢ـ ما المُرادُ بالأَنْدادِ ؟ وهَلْ يَقْتَصِرُ مَدلولُ هذا اللَّفْظِ على الأَصْنامِ مِنَ الحِجارَةِ ؟

٣ـ ماذا أَمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أَنْ يَقولَ لأَتْباعِهِ ؟

٤ـ مَتى يُفَضَّلُ تَقْديمُ الصَّدَقَةِ سِرّاً ؟ وَمَتى يُفَضَّلُ تَقْديمُها علانِيَةً ؟

٥ـ عَدِّدِ النِّعَمَ المَذْكورَةَ في الآياتِ .

٦ـ لماذا لا يَسْتَطيعُ الإنْسانُ أَنْ يُحْصِيَ نِعَمَ اللهِ ؟

٧ـ بماذا يُقابِلُ مُعْظَمُ النّاسِ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِمْ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةً تَدُلُّ على النَّفَقَةِ المَفْروضَةِ وآيَةً تَدُلُّ على النَّفَقَةِ المَسْنونَةِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَ فَوائِدَ لِكُلٍّ مِنَ الشَّمْسِ والقَمَرِ .

الدَّرسُ الأَربَعونَ

سورَةُ إبْراهيمَ - القِسْمُ التَّاسِعُ

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

هَذا البلَدَ : مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ .

اجْنُبْني : أَبْعِدْني .

المُحرَّم : عَظيمِ الحُرْمَةِ .

أَفْئِدَةً : قلوباً .

تَهْوِي : تُسْرِعُ في مَيْلٍ وَحَنينٍ .

على الكِبَرِ : مَعَ تَقدُّمي في السِّنِّ .

التفسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمةِ بَيانٌ لِجانبٍ مِنْ قِصَّةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وإخْبارٌ عَمَّا دعا بِهِ رَبَّهُ في

أحْوالٍ مُتعدِّدَةٍ ، مِنْها ما كانَ عِنْدَ إسْكانِهِ زَوْجَهُ هاجَرَ وابْنَها في مَكَّةَ ، ومِنْها ما كانَ بَعْدَ بناءِ البَيْتِ ، ومِنْها ما كانَ قَبْلَ ذَلِكَ .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾

أيْ : واذْكُرْ وَقْتَ أنْ قالَ إبْراهيمُ داعِياً اللهَ تعالى بَعْدَ أنْ أسْكَنَ إسْماعيلَ وأُمَّهُ مَكَّةَ ، إذْ تَوَجَّهَ إلى اللهِ يَدْعوهُ قائِلاً : يا رَبِّ اجْعَلْ هذا المَكانَ الَّذي تَرَكْتُهُما فيهِ بَلَداً ذا أمْنٍ ، يَأْمَنُ فيهِ أهْلُهُ على أنْفُسِهِم وأمْوالِهِمْ ، وأبْعِدْني وذُرِّيَّتي عَنْ عبادَةِ الأصْنامِ ، بِمَعْنى : ثَبِّتْنا على ما نَحْنُ فيهِ مِنَ البُعْدِ عَنْ عِبادَتِها ، وفي ذِكْرِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِنَفْسِهِ في هذا المَقامِ مَعَ عِصْمَتِهِ وَهُوَ النَّبيُّ الكَريمُ ، إيذانٌ بأنَّ العِصْمَةَ إنَّما هِيَ بِفَضْلِ اللهِ ومَعونَتِهِ ، وَلِيَكون قُدْوَةً لِمَنْ بَعْدَهُ فيما يَدعو بِهِ .

﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

هَذا تَعْليلٌ لِدُعاءِ إبْراهيمَ الأخيرِ ، أيْ أبْعِدْنا عَنْ عِبادَةِ الأصْنامِ لأنَّهُنَّ يَتَسَبَّبْنَ في إضْلالِ كَثيرٍ مِنَ النَّاسِ ، وذَلِكَ حينَ تُنْصَبُ هذهِ الأصْنامُ لِتُعْبَدَ ، وَحينَ يَدْعو النَّاسُ بَعْضُهُم بَعْضاً لِعِبادَتِها ، وحينَ يَرى الأَبْناءُ الآباءَ يُقَدِّسونَها وَيُعَظِّمونَها ، فَيكونُ كُلُّ ذَلِكَ مُغْرِياً بِعِبادَتِها ، فإسْنادُ الإضْلالِ إلى الأَصْنامِ إسْنادٌ مَجازِيٌّ .

ثُمَّ بَيَّنَ إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ مَوْقِفَهُ مِنْ أتْباعِهِ وَغَيْرِهِم فَقالَ (فَمَنْ تَبِعَني فإنَّه مِنّي) أي : فَمَنْ تَبِعَني مِنَ النّاسِ في ديني وعَقيدَتي فإنَّهُ يَصيرُ بهذا الاتِّباعِ مِنْ أهْلِ ديني ، ومَنْ عَصاني ولَمْ يَسِرْ على مَنْهَجي في الدِّينِ والعِبادَةِ ، وَلَمْ يُطِعْ أمْري لَهُ بالتَّوْحيدِ وفِعْلِ الخَيْرِ ، فإنِّي أُفَوِّضُ أمْرَهُ إلَيْكَ يا رَبُّ وأنْتَ غَفّارُ الذُّنوبِ رَحيمٌ بالعِبادِ ، عَليمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الرَّحْمَةَ ومَنْ يَسْتَحِقُّ العِقابَ .

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

يَقولُ إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ مُقَدِّماً بَيْنَ يَدَيْ دُعائِهِ : رَبَّنا إنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتي يَعْني : ابْنَهُ إسْماعيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ الَّذي أسْكَنَهُ مَعَ أُمِّهِ هاجَرَ بِوادٍ لا ماءَ فيهِ ولا زَرْعَ بِجوارِ بَيْتِكَ ، الَّذي يَحْرُمُ التَّعَرُّضُ لَهُ بِسوءٍ ، تَعظيماً لَهُ وَرَفْعاً لِشأْنِهِ ، وَقَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ اسْتِجابَةً لأَمْرِكَ ، وَلَمْ أُسْكِنْهُمْ في هذا الوادي إلاَّ لِيُقيموا الصَّلاةَ عِنْدَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ ، وَيَعْمُروهُ بالذِّكْرِ ، والعِبادَةِ والطَّوافِ ، ثُمَّ بَدَأَ إبْراهيمُ في الدُّعاءِ فقالَ : (فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوي إلَيْهِم . . .) أيْ : فاجْعَلْ قُلوبَ النَّاسِ تُسْرِعُ إلَيْهِمْ في شَوْقٍ وَمَيْلٍ وَحنينٍ ، وارْزُقْ ذُرِّيَّتي الَّذينَ سَكَنوا هذا المَكانَ مِنَ الثَّمَراتِ المُخْتَلِفَةِ ما يُغْنيهِمْ وَيُشْبِعُهُمْ ، لِعَلَّهُمْ بِهذا العَطاءِ الجَزيلِ يَقومونَ بِشُكْرِكَ وَيُسارِعونَ إلى طاعَتِكَ ، وكانَ هذا الدُّعاءُ مِنْ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ أنْ أسْكَنَ وَلَدَهُ وزَوْجَهُ وذَهَبَ وَتَرَكَهُمْ .

وَقَدِ اسْتَجابَ اللهُ تَعالى دُعاءَ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَعَمَرَتْ مَكَّةُ بِقَبيلَةِ جُرْهُمٍ ، وَمَنْ جاءَ بَعْدَهُمْ ، وهِيَ مَرْزوقَةٌ بِمُخْتَلَفِ أَنْواعِ الثِّمارِ تُجْبى إلَيْهِم رِزْقاً طَيِّباً مُبارَكاً ، وَكانَتْ وما زالَتْ قُلوبُ المُسْلِمينَ تَهْفو إلى هَذهِ الأَرْضِ المُبارَكَةِ وتُسْرِعُ إلى زِيارَتِها لِلحَجِّ والعُمْرَةِ اسْتِجابَةً لأَمْرِ اللهِ ورَغْبَةً في ثَوابِهِ وحُبّاً لَها .

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾

أَتْبَعَ إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ دُعاءَهُ بِقَوْلِهِ : يا رَبَّنا إِنَّكَ وَحْدَكَ العَليمُ بِما تُخْفيهِ نُفوسُنا مِنْ أَسْرارٍ ، وما نُظْهِرُهُ وتُعْلِنُهُ مِنْ أقوالٍ ، فالمخْفِيُّ والمُعْلَنُ بالنِّسْبَةِ إلى اللهِ سَواءٌ ، وَهُوَ سُبْحانَهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ ولا يَغيبُ عَنْ عَمَلِهِ أَيُّ شَيْءٍ مَهْما كانَ صَغيراً أَوْ كَبيراً ، سَواءً أَكانَ في الأرضِ أَمْ في السَّماءِ .

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾

كانَ إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ قَدْ دَعا رَبَّه أَنْ يَرْزُقَهُ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ، فاسْتَجابَ اللهُ دُعاءَهُ ورزَقَهُ اثْنَيْنِ مِنَ الأَوْلادِ هُما : إسْماعيلُ وإسْحاقُ ، وكانَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ تَقَدَّمَتْ بِهِ السِّنُ ، وفي هَذِهِ الآيَةِ يَحْمَدُ إبْراهيمُ رَبَّهُ وَيُثْني عَلَيْهِ على اسْتِجابَتِهِ لِدُعائِهِ على ما وَهَبَهُ مِنَ الذُّرِيَّةِ الطَّيِّبَةِ .

وكانَتْ هذهِ الأَدْعِيَةُ مِنْ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ بِناءِ البَيْتِ ، وبَعْدَ أَنْ رَزَقَهُ اللهُ بإسْحاقَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، ويَدُلُّ على ذَلِكَ ذِكْرُ البَيْتِ وإسْحاقَ في الدُّعاءِ .

﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾

أَيْ : يا رَبِّ وفِّقْني إلى دَوامِ المُحافَظَةِ على الصَّلاةِ وأدائِها على الوَجْهِ الأَحْسَنِ والأَكْمَلِ ، ووَفِّقْ مِنْ ذُرِّيَّتي مَنْ يُقيمُها على هَذا الوَجْهِ ، وتَقَبَّلْ يا ربِّ دُعائي الَّذي أَدْعوكَ بِهِ ، وتَقَبَّلْ عِبادَتي الَّتي أَقومُ بِها إلَيْكَ .

﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾

دعا عَلَيْهِ السَّلامُ لِنَفْسِهِ بالمَغْفِرَةِ مَعَ أَنَّهُ نَبِيٌّ مَعْصومٌ لَمْ يَرْتَكِبْ ذَنْباً ، لِيَكونَ قَوْلُهُ هذا تَعْليماً لأُمَّتِهِ أَنْ يَطْلبوا المَغْفِرَةَ مِنَ اللهِ على ما يَرْتَكِبونَ مِنْ ذُنوبٍ ، ودعا بالمَغْفِرَةِ لِوالدَيْهِ وَلِلمُؤْمِنينَ جَميعاً حينَ يَقومونَ مِنْ قُبورِهِمْ أحياءً لِلْحِسابِ والجَزاءِ على أعْمالِهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ .

وكانَ هذا الدُّعاءُ مِنْ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَبْلَ الأَدْعِيَةِ السَّابِقَةِ وَقَبْلَ أَنْ يَتَبيَّنَ لَهُ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ ، كما قالَ تعالى في مَوضِعٍ آخرَ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة : ١١٤] ، وكانَ هذا قَبْلَ أَنْ يُهاجِرَ مِنْ أَرْضِ قَوْمِهِ إلى الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ أَهَمِّيَّةُ الدُّعاءِ وَضَرورةُ الإِكْثارِ مِنْهُ في جَميعِ الأُمورِ .

٢ـ فَضْلُ مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ وشَرَفُها لاحْتِوائِها على بَيْتِ اللهِ المُحَرَّمِ .

٣ـ المُسْلِمُ يُطيعُ اللهَ وَيُنَفِّذُ أَمْرَهُ وَلَوْ كانَ في ظاهِرِهِ ما لا يُحِبُّهُ ولا يَرْغَبُ فيه .

٤ـ استجابَةُ اللهِ تعالى لِدُعاءِ نَبِيِّهِ الكَريمِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَجَعَلَ الأَفْئِدَةَ تَهوي إلى مَكَّةَ ، وعَمَرَها وَرَزَقَ أَهْلَها مِنَ الثَّمَراتِ .

٥ـ اسْتِحْبابُ أَنْ يَتَخَلَّلَ الدُّعاءَ عِباراتُ التَّضَرُّعِ ، وإِظْهارُ الحاجَةِ ، والتَّذَلُّلُ أمامَ عَظَمَةِ اللهِ القادرِ على كُلِّ شَيْءٍ ، والَّذي لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيءٌ .

٦ـ خُطورَةُ عِبادَةِ الأَصْنامِ فَهِيَ ما زالَتْ تُضِلُّ النَّاسَ إلى اليَوْمِ ، وَهِيَ تَأْخُذُ أشكالاً مُتَعَدِّدَةً .

٧ـ مِنْ أَعْظَمِ التَوْفيقِ الاسْتِعانَةُ باللهِ على طاعَةِ اللهِ .

٨ـ اسْتِحْبابُ دُعاءِ المُؤْمِنِ لِنَفْسِهِ وَلأَبَوَيْهِ وأَبْنائِهِ والمُؤْمِنينَ لِلصَّلاحِ في الدُّنْيا والغُفْرانِ في الآخِرَةِ .

التَّقْويمُ :

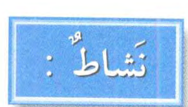
أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذْكُرِ الأَدْعِيَةَ الَّتي دَعا بِها إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ مُرَتَّبَةً حَسَبَ وُرودِها في الآياتِ .

٢ـ كَيْفَ نَسَبَ إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ الإِضْلالَ لِلأَصْنامِ الجامِدَةِ ؟

٣ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الأَدْعِيَةِ الوارِدَةِ في الآياتِ ما تَخَلَّلَها مِنْ عباراتِ التَذَلُّلِ والخُضوعِ وإظْهارِ الحاجَةِ .

٤ـ كَيْفَ تُوَفِّقُ بَيْنَ دُعاءِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ هُنا لأَبيهِ وَعَدمِ دُعائِهِ لَهُ في سُورَةِ التَوْبَةِ ؟



نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ كَيْفَ كانَتْ بُقْعَةُ الأَرْضِ الَّتي وَضَعَ فيها إبْراهيمُ عَلَيْهِ السلامُ وَلَدَهُ وَزَوْجَهُ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مَن الَّذي بَشَّرَ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السلامُ بالوَلَدِ ، ومَتى كانَ ذَلِكَ .

٣ـ ارْجِعْ إلى الحَديثِ الصَّحيح الَّذي يَذْكُرُ تَفْصيلَ حادِثَةِ تَرْكِ إسْماعيلَ وأُمِّهُ في مَكَّةَ ، واسْتَخْرِجْ ما زادَهُ الحَديثُ مِنْ تَفاصِيلَ لَمْ تَذْكُرْها الآياتُ ، وما فيها مِنْ عِبَرٍ وعِظاتٍ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

❋ ❋ ❋

الدَّرْسُ الحادي والأَرْبعونَ

سورَةُ إبْراهيمَ ـ القِسْمُ العاشِرُ

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تَشْخَصُ : شُخوصُ العَيْنِ يَعْني : نَظَرُها مَفْتوحَةً لا تَطْرِفُ .

مُهْطِعينَ : مُسْرِعينَ .

مُقْنِعي رُؤوسِهِمْ : رافِعيها .

طَرْفُهُمْ : بَصَرُهُمْ .

أَفْئِدَتُهُمْ هَواء : قُلوبُهُمْ خالِيَةٌ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ والفَزَعِ .

مِنْ زَوالٍ : انْتِقالٍ مِنَ الدُّنْيا إلى الآخِرَةِ .

التفسيرُ :

تَنْتَقِلُ بنا الآياتُ إلى الحَديثِ عَنِ الظَّالمينَ وجَزائِهِمْ وحالِهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ . قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

هَذهِ الآيةُ تَسْلِيَةٌ لِلرَّسولِ ﷺ وَلِكُلِّ مَنْ سارَ على دَرْبِهِ ، وإنْذارٌ لِلظَّالِمينَ ، فَيَقولُ سُبْحانَهُ : لا تَحْسَبَنَّ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ أنَّ اللهَ تَعالى سَيَتْرُكُ الظَّالِمينَ دُونَ عِقابٍ ولا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللهَ تَعالى غَيْرُ مُحْصٍ عَلَيْهِمْ أعمَالَهُم ، بَلْ هِيَ مَعْلومَةٌ لَدَيْهِ مُدَوَّنَةٌ ، وَلكنَّهُ سُبْحانَهُ يُؤَخِّرُ عِقابَهُم لِيَوْمِ القِيامَةِ ، وهُوَ اليَوْمُ الَّذي تَرْتَفعُ فيهِ أَبْصارُهُم إلى الأَعْلى مَفْتوحةً لا يَسْتَطيعونَ خَفْضَها ولا إغْماضَها مِنْ هَوْلِ ما يَرَوْنَ .

والمُرادُ بـ﴿الظَّالِمينَ﴾ في الآيَةِ أَهْلُ الشِّرْكِ لِقَوْلِهِ تَعالى : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظيمٌ﴾ ، فَيَدْخُلُ فيهِ الَّذين آذَوْا رَسولَ اللهِ ﷺ وكَذَّبوهُ وَلَمْ يُؤْمِنوا به .

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحانَهُ حالَ الظَّالِمينَ يَوْمَ القيامةِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ شُخوصَ أَبْصارِهِمْ فقالَ :

﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾

أَيْ أَنَّهُمْ يَخْرُجونَ مِنْ قُبورِهِمْ مُسْرِعينَ إسْراعَ الخائِفِ الوَجِلِ ، وَقَدْ رَفَعوا رُؤوسَهُمْ إلى الأَعْلى لا يَخْفِضونَها مِنْ شِدَّةِ ما يَرَوْنَ ولا تَتحرَّكُ أَجْفانُ عُيونِهِمْ فَهِي مَفْتوحةٌ مِنْ دونِ حِراكٍ مِنْ هَوْلِ المَوْقِفِ ، أمَّا قُلوبُهُمْ فَهِيَ خالِيَةٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَهِيَ لا تَعي شَيْئاً وذَلكَ مِنْ شِدَّةِ الفَزَعِ والدَّهْشَةِ .

وَمِنْ مَجْموعِ هذه الأُمورِ تُظْهِرُ الآيَةُ شِدّةَ هَوْلِ ذَلِكَ اليَوْمِ وعَظَمَةَ المَوْقِفِ وما يُلاقيهِ الظَّالمونَ فيهِ مِنْ فَزَعٍ وَخَوْفٍ واضْطرابٍ ، فلاَ يَلْتَفِتُ أَحدُهُمْ حَوْلَهُ ، ولا يَرْغَبُ في خَفْضِ رَأْسِهِ أَوْ بَصَرِهِ ، فَقَدْ شَغَلَهُ الهَوْلُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ لا يُفَكِّرُ في أيِّ أمْرٍ آخَرَ . فيا لَهُ مِنْ مَشْهَدٍ عَظيمٍ مُخيفٍ .

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

يَأْمُرُ اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ ﷺ وكُلَّ مَنْ يَدعو إلى اللهِ أَنْ يُنْذِرَ النَّاسَ وَيُخَوِّفَهُمْ مِنْ عذابِ يَوْمِ القيامةِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ هذا اليَوْمُ الرَّهيبُ ، وفيهِ مِنْ أنواعِ العذابِ لِمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ ولَمْ يَتَّبِعِ الهُدى ما يَدْعو الظَّالِمينَ إلى أَنْ يَطْلبوا مِنْ رَبِّهِمْ أَنْ يُعيدَهُمْ إلى الحياةِ الدُّنْيا مَرَّةً أُخْرى وأَنْ يُؤَخِّرَ تَعْذيبَهُمْ قَليلاً ، حتَّى يَسْتَجيبوا لِدَعْوَةِ الحَقِّ ويَتَّبعوا رُسُلَ اللهِ فيما كانوا يَأْمُرونَهُم بهِ ، فَيَتداركوا بذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ وَيَتَخَلَّصوا مِنَ العذابِ الَّذي رَأَوْا مُقَدِّماتِهِ وعَلِموا أنَّ مآلَهُمْ إليْهِ . ويَأْتيهمُ الجوابُ على هذا الطَّلَبِ بما يَتَضَمَّنُ تَوْبيخَهُم وإلقاءَ الحَسْرَةِ واليَأْسِ في نُفوسِهِمْ : أَوَ لَمْ تكونوا في الدُّنْيا تَحْلِفونَ بِأَلْسِنَتِكُمْ أَنَّكُمْ لَنْ تُبْعَثوا ، ولَنْ تَنْتَقِلوا مِنَ الدُّنْيا إلى الآخِرَةِ ، وأنَّه لا جَزاءَ ولا عِقابَ ، وفَعَلْتُمْ فيها الأَفْعالَ القَبيحةَ السَّيئةَ ؟

﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

وَتَسْتَمِرُّ الآياتُ في تَقْريعِ الكافِرينَ فَتقولُ لَهُمْ أَلَمْ تَكونوا أَقَمْتُمْ في المَساكِنِ الَّتي خَلَّفَها القَوْمُ الّذينَ ظَلَموا أَنْفُسَهُمْ بَعْدَ إهْلاكِهِمْ ، وَسِرْتُمْ على نَهْجِهِمْ في الظُّلْمِ والكُفْرِ دونَ اعْتِبارٍ أَوْ تَذَكُّرٍ ؟ مَعَ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لَكُمْ مِنْ آثارِهِمْ وأَخْبارِهِمْ أَنَّ دمارَهُم وهَلاكَهُمْ إِنَّما كانَ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بآياتِ اللهِ ، وأعْلَمْناكُمْ على أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ المُرْسَلينَ إِلَيْكُمْ بذلكَ ، وَبيَّنّا لَكُمْ عاقِبَةَ الظُّلْمِ ومآلَهُ لِتَرْتَدِعوا عمَّا أنتُم فيهِ مِنَ شِرْكٍ وظُلْمٍ وضَلالٍ ، وضَرَبْنا لَكُمُ الأَمْثالَ العَديدَة ، وكانَ مِنَ الواجِبِ عَلَيْكُمْ بَعَدَ كُلِّ هذا أَنْ تُقْلِعوا عَنْ ظُلْمِكُم وأَنْ تَعْتَبِروا بِمَنْ سَبَقَكُمْ ، وأنْ تَلْتَزِموا طَريقَ الهِدايَةِ والنّورِ ، ولَكنَّكُمْ لم تَفْعلوا ، فَلِذا أَنْتُم تَسْتَحِقّونَ العذابَ الأليمَ على سُوءِ فِعْلِكُمْ وما قَدَّمَتْ أَيْديكُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَأْخيرُ العَذابِ عَنِ الظَّلَمَةِ لَيْسَ عَنْ غَفْلَةٍ عَنْهُم ، وَلَكِنْ حَسَبَ حِكْمَةِ اللهِ تَعالى وَأَمْرِهِ .

٢ـ أَهَمِيَّةُ التَّذْكيرِ بِيَوْمِ القيامَةِ وَبِما فيهِ مِنْ شِدَّةٍ لِيَرْتَدِعَ الظّالِمُ عَنْ ظُلْمِهِ ، وَيَتوبَ المُسيءُ عَنْ إساءَتِه .

٣ـ وُجوبُ الاعْتِبارِ عِنْدَ المُرورِ بِمَساكِنِ الَّذينَ ظَلَموا أَنْفُسَهُمْ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذْكُرْ حالَ الظّالِمينَ يَوْمَ القيامَةِ كما ذَكَرَتْهُ آياتُ الدَّرْسِ .

٢ـ ماذا يَطْلُبُ الظّالِمونَ يَوْمِ القِيامَةِ ؟ وَبِماذا يُرَدُّ عَلَيْهِمْ ؟

٣ـ بَيِّنْ مَعنْى كُلٍّ ممّا يلي :

أ ـ لِيوْمٍ تَشْخَصُ فيهِ الأَبْصارُ .

ب ـ مُهْطِعينَ مُقْنِعي رُؤوسِهِمْ .

ج ـ لا يَرْتَدُّ إليْهِمْ طَرْفُهُمْ .

د ـ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَواء .

هـ ـ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنا بِهِمْ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آياتِ سُورَةِ عَبَسَ الَّتي تَدُلُّ على فِرارِ المَرْءِ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إليْهِ يومَ القيامةِ .

❊ ❊ ❊

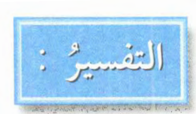
الدَّرْسُ الثّاني والأرْبَعونَ

سورَةُ إبْراهيمَ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بَرَزوا للهِ	: خَرَجوا مِنَ القُبورِ لِلْحِسابِ ظاهِرينَ لا يَسْتُرُهُمْ شَيْءٌ .
مُقَرَّنينَ	: مَشْدودينَ ، مُقَيَّدينَ .
الأصْفادِ	: القيودِ .
سَرابيلُهُمْ	: ثِيابُهُمْ .
قَطِرانٍ	: سائِلٍ كَريهِ الرّائِحَةِ شَديدِ الاشْتِعالِ .
تَغْشى وُجوهَهُمُ النّارُ	: تَعْلو النّارُ وُجوهَهُمْ وَتُحيطُ بِها .
بَلاغٌ	: عِظَةٌ بالِغَةٌ كافِيَةٌ .
أُولو الألْبابِ	: أَصْحابُ العُقولِ السّليمَةِ .



في هَذِه الآياتِ الكَريمةِ تتمَّةُ الحديثِ عَنِ الظَّالمينَ وفيها بيانٌ لِعَدَمِ إخْلافِ اللهِ تَعالى وَعْدَهُ لِرُسُلِهِ ، ومَشْهَدٌ مِنْ عذابِ المُجْرِمينَ . تَخْتِمُ السورةُ بِبيانِ مُهمّةِ القرآنِ والرَّسولِ ﷺ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

المَكْرُ هو الحِذْقُ في تَدبيرِ الشّرِّ خِفْيَةً لِلغَيْرِ مَعَ الاحْتِيالِ لإيقاعِ الأذى بهِ . وتُبيّنُ الآيةُ الكريمةُ جانِباً مِنْ أفعالِ الظّالمينَ ، فَقَدْ مَكروا بِرُسُلِهِمْ وبالمُؤْمِنينَ مَكْراً عظيماً ، ومَكَرَ كُفّارُ قُرَيْشٍ بِرَسولِ اللهِ ﷺ وَحاولوا قَتْلَهُ ، وآذوْهُ في نَفْسِه وفي أصْحابِهِ ، وإنَّ هذا المَكْرَ العَظيمَ مَعْلومٌ عِنْدَ اللهِ تَعالى لا يَغيبُ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَسَيُجازيهِمُ اللهُ عَلَيْهِ بما يَسْتَحِقّونَ مِنَ العذابِ . قَدْ كانَ مَكْرُهُمْ في غايةِ القُوّةِ والشِّدَّةِ بِحَيْثُ يُمْكِنُ أَنْ يُزيلَ الجِبالَ عَنْ أماكِنِها ، ولكنَّهُ لَمْ يُؤَثِّرْ في دَعْوةِ اللهِ شَيْئاً ، فإنَّ اللهَ ناصِرُ دينهِ ومُبْطِلُ مَكْرِهِمْ مَهْما عَظُمَ .

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةُ تَثْبيتٌ لِلرَّسولِ ، ولأَتْباعِهِ على ما هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الثّقَةِ باللهِ تَعالى والتَّيقُّنِ بإنجازِ وَعْدِهِ بِنَصْرِهِمْ ، ومَعنى الآيةِ : لا تَحْسَبْ أيُّها الرَّسولُ أَنَّ اللهَ لا يُنْجِزُ وَعْدَهُ لِرُسِلهِ بِنَصْرِهِمْ على أعْدائِهِمْ ومُعاقَبَةِ مَنْ كَفَرَ بِهِمْ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، فإنَّ اللهَ قَويٌّ عَزيزٌ لا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ ، ذو انْتِقامٍ شَديدٍ مِنْ أعْدائِهِ .

والخِطابُ في الآيةِ لِلرَّسولِ ﷺ وأُمَّتُهُ تَبَعٌ لَهُ .

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾

أيْ إنَّ وَعْدَ اللهِ تَعالى بِنَصْرِ رُسُلِهِ والانْتِقامِ مِنَ الظَّالِمينَ كائِنٌ يومَ يَتَغيَّرُ هذا العالَمُ المَعْهودُ بعالَمٍ آخَرَ جديدٍ ، يَأْتي بِهِ اللهُ تَعالى على حَسَبِ مَشيئَتِهِ ، وذلكَ هُوَ يَومُ القيامةِ الّذي يَخْرُجُ فيهِ الخَلائِقُ مِنْ قُبورِهِمْ ، لِيُجازَوْا على أعْمالِهِمْ مِنَ اللهِ الواحِدِ الّذي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ وغَلَبَهُ . والتَّعْبيرُ عَنِ الخُروجِ مِنَ القُبورِ بِصيغةِ الماضي ﴿وبَرَزوا﴾ لِتَحَقُّقِ وُقوعِهِ وتَأْكيدِ حُصولِهِ . وحصولُ نَصْرِ اللهِ تَعالى لِرُسُلِهِ ولِعِبادِهِ في ذَلِكَ اليَوْمِ لا يُنافي حُصولَ أنْواعٍ أُخْرى مِنَ النَّصْرِ والتَّأْييدِ قَبْلَ ذلكَ في الدُّنْيا .

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ ﴾

وَمِنْ علاماتِ الذُّلِّ الَّذي يَلْحَقُ بالكافِرينَ يومَ القيامةِ أَنَّكَ تُبْصِرُهُمْ ، وقَدْ شُدَّ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ في القُيودِ والأَغْلالِ ، وشُدَّتْ أَيْديهِمْ وأَرْجُلُهُمْ إلى أعناقِهِمْ .

﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

وَتَرى كَذلِكَ مَلابِسَهُمُ الَّتي يَرْتَدونَها على جُلودِهِمْ قَدْ صُنِعَتْ مِنَ القَطِرانِ وهُو قَبيحُ اللّونِ ، مُنْتِنُ الرِّيحِ ، شَديدُ الاشْتِعالِ لِيَذوقوا أشَدَّ العذابِ وأَقْساهُ ، وفَوْقَ كُلِّ ذَلِكَ فإنَّ النّارَ تَعْلو فَوْقَ وُجوهِهِمْ وتُحيطُ بِها زِيادَةً في تَعْذيبِهِمْ .

﴿ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾ .

في ذلكَ اليَوْمِ خَرَجَ النّاسُ مِنْ قُبورِهِمْ وبَرزوا للهِ ، لِيَجْزيَ المُسيءَ على إساءَتِهِ بما يَسْتَحِقُّ ، كما أَنَّهُ سُبْحانَهُ يَجْزي المُحْسِنَ على إحْسانِهِ ، واللهُ تَعالى سَريعُ المُحاسَبَةِ لِعبادِهِ لا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ ، وجَميعُ الخَلْقِ إزاءَ قُدْرَتِهِ كالنَّفْسِ الواحِدَةِ .

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾

أيْ هذا القُرْآنُ وما تَضَمَّنَهُ مِنْ وَعْدٍ وَوعيدٍ ، فيهِ التَّبْليغُ الكافي لِهدايَةِ النّاسِ ، والعِظَةُ البالِغَةُ الّتي تُبَيِّنُ لَهُم حُسْنَ عاقبَةِ الإيمانِ والطّاعةِ والهِدايَةِ ، وفيهِ مِنَ الآياتِ البَيِّنَةِ والحُجَجِ الواضِحَةِ ما يَدُلُّ على عَظَمَةِ اللهِ تعالى وقُدْرَتِهِ وَوَحْدانِيَّتِهِ ، وفيهِ مِنَ العِظاتِ والآياتِ ما يَنْتَفِعُ بِهِ أَصْحابُ العُقولِ السَّليمةِ ، فَيَرْتَدِعوا عَمّا يُرْديهِمْ ويُهْلِكُهُمْ ويَسْلكوا طَريقَ الهِدايَةِ والسَّعادَةِ .

وفي تَخْصيصِ أَهْلِ العُقولِ بالتَّذَكُّرِ إعلاءٌ لِشَأْنِهِمْ ، وحَضٌّ لِلنّاسِ على أَنْ يكونوا مِنْهُمْ لِيَنْتَفِعوا مِثْلَهُم بِمَوعظِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ مَكْرُ الظّالِمينَ بالدُّعاةِ إلى اللهِ تَعالى ، عَظيمٌ وَكَبيرٌ ، وَلكِنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ أَمامَ عَظَمَةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ .

٢ـ في القُرْآنِ ما يَكْفي لِهِدايَةِ البَشَرِ وإسْعادِهِمْ .

٣ـ يَنْتَفِعُ مِنْ آياتِ اللهِ تَعالى وَيَتَّعِظُ بِها أَصْحابُ العُقولِ دُونَ غَيْرِهِمْ .



أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ كَيْفَ بيَّنَتِ الآيةُ الكَريمَةُ قُوَّةَ مَكْرِ الكافِرينَ وَشِدَّتِهِ ؟

٢ـ مَتَى يَكونُ تَحَقُّقُ وَعْدِ اللهِ بِنَصْرِ المُؤْمِنينَ وَتَعْذيبِ الظَّالِمينَ الجاحِدينَ ؟

٣ـ اذْكُرْ ما بيَّنَتْه الآياتُ الكَريمَةُ مِنْ حالِ المُجْرِمينَ في جَهَنَّمَ .

٤ـ في الآيةِ الأَخيرَةِ مِنَ السُّورَةِ تَلْخيصٌ لِمُهِمَّةِ القُرْآنِ الكَريمِ ، بيِّنْ ذَلِكَ .

٥ـ بيِّنْ مَعنى ما يَلي :

أ ـ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ .

ب ـ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ والسَّماواتُ .

ج ـ مُقَرَّنينَ في الأَصْفادِ .

د ـ سَرابيلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ .

هـ ـ وَلِيَذَّكَّرَ أُولو الأَلْبابِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ يُونسَ الَّتي تُبيِّنُ مَكْرَ المُشْرِكينَ وَرَدَّ اللهِ تعالى عَلَيْهِمْ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ دَليلينِ مِنَ السّيرَةِ النَّبويَّةِ يَدُلاّنِ على أنَّ اللهَ تَعالى نَصَرَ رَسولَهُ ﷺ والمُؤْمِنينَ على المُشْركينَ الكافِرينَ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ خَواتيمَ سُورَةِ الزَّلْزَلَةِ الّتي تُبيِّنُ عَدْلَ اللهِ تَعالى في مُحاسَبَةِ عِبادِهِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والأَرْبَعونَ

سورَةُ الحِجْرِ ـ القِسْمُ الأوَّلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورَةُ الحِجْرِ مَكيَّةٌ . وعَددُ آياتِها تِسْعٌ وَتِسْعونَ . ومَوْضوعُها الرَّئِيسُ تَبيينُ عاقِبَةِ تَكْذيبِ رُسُلِ اللهِ وأَنَّهُ سَبَبُ الهَلاكِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ . وفي أَوَّلِ السُّورَةِ وآخِرِها تَبيينُ عَظَمَةِ القُرْآنِ وسُمُوِّ مَكانَتِهِ وحِفْظِ اللهِ تَعالى لَهُ . وَفيها لَفْتُ النَّظَرِ إلى ما في هذا الكَوْنِ الفَسيحِ مِنْ أَدِلَّةِ عَظَمَةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ . وَفيها قِصَّةُ خَلْقِ آدَمَ وما صاحَبَهُ مِنَ امْتِناعِ إِبْليسَ عَنِ السُّجودِ لَهُ ، وَجَوانِبُ مِنْ قَصَصِ عَدَدٍ مِنَ الأَنْبياءِ الكِرامِ ، وتَبْشيرُ الرَّسولِ ﷺ بِقُرْبِ النَّصْرِ لَهُ وَلِلْمُؤْمِنينَ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **رُبَما** : حَرْفٌ يُسْتَعْمَلُ لِلتَّقليلِ غالباً ، وَلِلتَّكْثيرِ أَحْياناً .
- **ذَرْهُمْ** : اتْرُكْهُمْ .
- **كِتابٌ مَعلومٌ** : أَجَلٌ مُؤَقَّتٌ مُحَدَّدٌ للإِهْلاكِ .
- **لَوْما** : هَلاَّ .
- **مُنْظَرينَ** : مُؤَخَّرينَ .



التفسيرُ :

﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ ﴾

سورَةُ الحِجْرِ مِنَ السُّوَرِ الَّتي تَبْدَأُ بالحُروفِ المُقَطَّعَةِ (ألف لام را) وفي مِثْلِ هذا الافتتاح بالحُروفِ المُقَطَّعَةِ تَنْبيهٌ إلى إعْجازِ القُرْآنِ ، وأنَّ هذا القُرْآنَ مُكَوَّنٌ مِنْ جِنْسِ الحُروفِ الَّتي تَتَكَلَّمون بِها ، ومَعَ ذَلِكَ فَهُوَ يَدْعوكُمْ إلى الإتيانِ بِمِثْلِهِ أوْ حَتّى بِمِثْلِ سُورَةٍ مِنْهُ ، فإنْ لَمْ تَفْعَلوا فَقَدْ ثَبَتَ أنَّهُ كلامُ اللهِ المُعْجِزُ .

وَكَعادَةِ القُرْآنِ الغالبةِ بَعْدَ الحُروفِ المُقَطَّعَةِ أَتى في هذهِ السُّورَةِ الإشارةُ إلى القُرْآنِ الكريمِ وآياتِهِ ، فَتِلْكَ الآياتُ المَذْكورَةُ فيهِ هِي آياتُ الكِتابِ الكامِلِ في الفَصاحَةِ والبيانِ ، الجامعِ لأَبْلَغِ الحِكَمِ والأَحْكامِ ، المُبينِ في هِدايَتِهِ وإرْشادِهِ .

والتَنْكيرُ في لَفْظ ﴿وقرآنٍ﴾ للتَّعْظيمِ والتَّفْخيمِ ، كَما أَنَّ الجَمْعَ بَيْنَ اسْمَينِ ـ الكتابِ والقُرآنِ ـ في آيةٍ واحِدَةٍ لِتَبيينِ فَخامَةِ شَأْنِهِ وعَظيمِ قَدْرِهِ ، كَما في ذلكَ إشارةٌ إلى الخاصَّتَيْنِ اللَّتيْنِ يَحْفَظُ بِهما العبادُ كتابَ اللهِ ، وهُما كِتابَتُهُ في السُّطورِ وحِفْظُهُ في الصُّدورِ عن طَريقِ القِراءَةِ والتِّلاوَةِ .

﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾

أَيْ أنَّ الكُفَّارَ سَوْفَ يَتَمَنَّوْنَ كَثيراً في الآخِرَةِ لوْ أَنَّهُمْ أَسْلَموا في الدُّنْيا لِكَيْ يَنجوْا مِنَ العَذابِ ، وذَلِكَ حينَ يَروْنَ العذابَ الشديدَ الَّذي يَنْتَظِرُهُم كَما قالَ تَعالى في آيةٍ أُخْرى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام : ٢٧] وفي هذهِ الآيةِ حَضٌّ لِلْكافِرينَ على الدُّخولِ في الإسْلامِ قَبْلَ فَواتِ الأوانِ ، وتَبْشيرٌ لِلْمُومنينَ بأَنَّهُمْ على الحقِّ .

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾

أيْ : اتْرُكْ أَيُّها الرَّسولُ الكريمُ المُشْركينَ فيما هُمْ فيهِ مِنْ لَهْوٍ وأَكْلٍ وتَمَتُّعٍ وآمالٍ خادِعَةٍ أَلْهَتْهُمْ عَنِ الحَقِّ ، فَسَوفَ يَعْلَمونَ سُوءَ عاقِبَةِ ذلكَ حينَ يُعاينونَ عَذابَ اللهِ . وهذا تَهْديدٌ عَظيمٌ لِلْمُشْرِكينَ بَعْدَ أَنْ تَمَّتْ دَعْوَتُهُمْ مِراراً فَلَمْ يَسْتَجيبوا ولَمْ يُؤْمِنوا . وفي الآيةِ إشارةٌ إلى أَنَّ التَّلَذُّذَ والتَّنعُّمَ وعَدَمَ الاسْتِعدادِ لِلآخِرَةِ لَيْسَ مِنْ أخلاقِ مَنْ يَطْلُبُ النَّجاةَ ، وأَنَّ إطالَةَ الأَمَلِ تُؤَدِّي إلى إسْاءَةِ العَمَلِ .

﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ ﴾

بَعْدَ إنْذارِ المُشْرِكينَ في الآيةِ السَّابِقَةِ ، بِسُوءِ العِقابِ تُبَيِّنُ هذهِ الآيَةُ أَنَّ إهْلاكَ الأُمَمِ الكافِرَةِ

يَكونُ في وَقْتٍ مُحَدَّدٍ مَعْلومٍ عِنْدَ اللهِ تَعالى .

﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥ ﴾

هَذِه الآيةُ تأكيدٌ لِمَضْمونِ الآيةِ السَّابِقَةِ ، وتَبيينٌ أَنْ هَلاكَ أيِّ أُمَّةٍ لا يَتَقَدَّمُ عنِ الأَجَلِ المُحَدَّدِ لَهُ في عِلْمِ اللهِ ولا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ ، بَلْ يَكونُ في الوَقْتِ الَّذي كَتَبَهُ اللهُ .

﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ ﴾

وقالَ مُشركو مَكَّةَ لِرَسولِهِمْ ﷺ وَهُمْ يَسْخرونَ مِنْهُ وَيَسْتَهْزِئونَ بهِ : يا أيُّها المُدَّعِي أنَّ القُرْآنَ يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، إنَّكَ لَمَجْنونٌ بسببِ هذه الدَّعْوى . ويُلاحَظُ ما في كلامِهِمْ مِنْ تَعدُّدِ المُؤَكِّداتِ دَلالةً على مُبالَغَتِهِمْ في الاسْتِهْزاءِ بِمَقامِ الرَّسولِ الكَريمِ ﷺ .

﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧ ﴾

هَلاَّ تَنَزَّلَتِ المَلائِكَةُ لِتَشْهَدَ بِصِحَّةِ نُبُوتِكَ أَوْ لِتُشارِكَكَ في الإنْذارِ ، إنْ كُنْتَ فِعْلاً صادِقاً في أَنَّكَ نَبِيٌّ .

﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨ ﴾

في هذهِ الآيةِ رَدٌّ على المُشْركينَ في طَلَبِهِمْ نُزولَ الملائِكَةِ وَبيانٌ لِعظيمِ أمْرِ المَلائِكَةِ ، فَهُمْ لا يَنْزِلونَ إلاَّ بما اقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ اللهِ تَعالى ، ومِنْ ذلك إنْزالُ العَذابِ بالمُكَذِّبينَ وعَدمُ إمْهالِهِمْ أَوْ تَأْخيرِهِمْ ، فَنُزولُ الملائِكَةُ لا يَكونُ بناءً على اقْتِراحاتِ المُشْرِكينَ أَوْ رَغباتِهِمْ وإنَّما يَكونُ بِأَمْرِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ ، وَمِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى بِهذِهِ الأُمَّةِ إمْهالُهُمْ وَعَدَمُ إهْلاكِهِمْ إهْلاكاً شامِلاً ماحِقاً ، لِعِلْمِهِ أنَّهُ سَيكونُ مِنْهُمْ ومِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ مُؤْمِنونَ .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩ ﴾

أيْ : إنّا نَحْنُ بِقُدْرَتِنا وَعظيمِ شَأْنِنا نَزَّلْنا هذا القُرْآنَ الَّذي أَنْكَرَهُ المُشْرِكونَ ، وإنَّا لِهذا القُرْآنِ العَظيمِ لَحافِظونَ مِنْ كُلِّ ما يَقْدَحُ فيهِ مِنْ تَحْريفٍ أَوْ تَغييرٍ ، أَوْ تَبْديلٍ بِزِيادَةٍ أوْ نَقْصٍ ، أوْ ضَياعٍ وبِعَدمِ قُدْرَةِ أحَدٍ على مُعارَضَتِهِ أَوِ الإتْيانِ بِمِثْلِ سورَةٍ مِنهُ ، وبِقيامِ طائِفَةٍ مِنْ أَتْباعِهِ باسْتِظهارِهِ وحِفْظِهِ والذَّبِّ عَنْهُ إلى أنْ يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ ومَنْ عَلَيْها .

وهذِهِ الآيةُ رَدٌّ على المُشْرِكينَ الَّذينَ اسْتَهْزَأوا بِرَسولِ اللهِ ﷺ وأنْكَروا نُزولَ القُرْآنِ الكَريمِ عَلَيْهِ .

وَقَد اشْتَمَلَتِ الآيَةُ الكَريمةُ على عِدّةِ مُؤَكِّداتٍ ، وإنَّ عَدَمَ حُصولِ أيِّ تَحْريفٍ أَوْ أيِّ تَغْييرٍ في نَصِّ القُرْآنِ بالرَّغْمِ مِنْ حِرْصِ الأَعْداءِ على ذَلِكَ ومُحاولاتِهِمُ المُتعدِّدَةِ ، وبالرَّغْمِ مِنْ تَطاوُلِ القُرونِ والسِّنينَ لَدليلٌ قاطِعٌ على تَحَقُّقِ وَعْدِ اللهِ تَعالى في هذهِ الآيةِ وحِفْظِهِ لِكتابِهِ العَظيمِ ، وإنَّ مِنْ مَظاهِرِ

حفظِه أنْ يُهيِّئ في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ مِنْ أبناءِ هذه الأُمَّةِ مَنْ يَحمِلُ لواءَ الدِّفاع عَنِ القُرآنِ والاعْتِناءِ بأَمْرِه وَحِفْظِه وَصيانتِه مِنْ أيِّ عَبَثٍ أَوْ كَيْدٍ ومَكْرٍ .

وقَدْ حَفظَ اللهُ بِحِفْظِهِ القُرْآنَ الدِّينَ مِنَ الضَّياعِ ، كما حَفظَ الأُمَّةَ الإسْلاميَّةَ مِنَ الزَّوالِ ، وَحَفظَ اللُّغةَ العَربيَّةَ مِنَ الانْدِثارِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ إقامَةُ الحُجَّةِ على الكافِرينَ بِتَبْيينِ ما سَيَكونُ عَلَيْهِ حالُهُمْ يَوْمَ القيامَةِ فَلا عُذْرَ لَهُمْ في عَدَمِ الإيمانِ .

٢ـ اسْتِخْدامُ أُسْلوبِ التَّهْديدِ والوَعيدِ مَعَ الكافِرينَ لِيَكُونَ رادِعاً لَهُمْ عَمَّا هُمْ فيهِ .

٣ـ تَقْريرُ شُمولِ عِلْمِ اللهِ تَعالى بِكُلِّ شَيْءٍ وتَقديرِهِ الأُمورَ بِغايَةِ الدِّقَّةِ والإحْكامِ .

٤ـ رَحْمَةُ اللهِ بِعبادِهِ حَيْثُ لَمْ يَسْتَجِبْ لِطَلَبِ المُشْرِكينَ إنْزالَ المَلائكَةِ لِئَلاَّ يَهْلِكُوا .

٥ـ القُرْآنُ مَحْفوظٌ بِحِفْظِ اللهِ إلى يَوْمِ الدِّين ، والأُمَّةُ الإسلامِيَّةُ باقِيَةٌ بِبَقاءِ هذا الكِتابِ مَحْفوظَةٌ بِحِفْظِهِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ إلى أيِّ شَيْءٍ يُشيرُ افْتِتاحُ عَدَدٍ مِنَ السُّوَرِ بالحُروفِ المُقَطَّعَةِ ؟

٢ـ ما سَبَبُ تَنْكيرِ لَفْظِ (قُرآن) في قَوْلِهِ تَعالى ﴿تِلْكَ آياتُ الكِتابِ وقرآنٌ مُبينٌ﴾ ؟

٣ـ مَتَى يَتَمنَّى الكافِرونَ لَوْ أَنَّهم أَسْلَموا ؟ وَلِماذا ؟

٤ـ ما الفائِدَةُ مِنَ الإخْبارِ بِأَنَّ هَلاكَ كُلِّ أُمَّةٍ لَهُ أَجَلٌ مَحْدودٌ ؟

٥ـ لِماذا طَلَبَ المُشْرِكونَ نُزولَ المَلائِكَةِ ؟ وَلِماذا لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُمْ ؟

٦ـ لِماذا تَكَفَّلَ اللهُ بِحِفْظِ كتابِهِ ؟

٧ـ اذْكُرْ ثَلاثاً مِنْ صُوَرِ حِفْظِ الكِتابِ الكَريمِ .



١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أسْماءَ السُّوَرِ الَّتي تَبْدَأُ بـ(الر) مُرَتَّبَةً كَما وَرَدَتْ في المُصْحَفِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أدواتِ التَأْكيدِ الَّتي وَرَدتْ في الآيةِ (٦) .

٣ـ اكْتُبْ مَوْضوعاً في حُدودِ صَفْحَتيْنِ عَنْ حِفْظِ اللهِ تَعالى لِلْقُرآنِ الكَريمِ ، وَواجِبكَ تِجاهَهُ ، وَضَعْهُ ضِمْنَ مَوْضوعاتِ مَجَلّةِ المَدرَسَةِ .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والأَرْبَعونَ

سورَةُ الحِجْرِ - القِسْمُ الثّاني

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- شِيَعِ الأَوَّلينَ : فِرَقِهِمْ .
- نَسْلُكُه : نُدْخِلُهُ .
- خَلَتْ : مَضَتْ .
- سُنَّةَ الأَولينَ : الطَّريقَةَ الّتي سَنَّها اللهُ في إِهْلاكِ المُكَذِّبينَ .
- يَعْرُجونَ : يَصْعَدونَ .
- سُكِّرَتْ أَبْصارُنا : غُشِّيَتْ وَغُطِّيَتْ وَمُنِعَتْ مِنَ الإِبْصارِ .
- بُروجاً : طُرُقَ سَيْرِ النُّجومِ ومَنازِلَها .
- رَجيم : مَطْرودٍ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ .
- اسْتَرَقَ السَّمْعَ : تَسَمَّعَ بِخِفْيَةٍ وحَذَرٍ .
- شِهابٌ : شُعْلَةٌ مِنْ نارٍ .
- مُبينٌ : ظاهِرٌ .



التفسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ بِتَسْلِيةِ الرَّسولِ ﷺ عمّا أصابَهُ مِنْ سُفَهاء قَوْمِه ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

أَيْ : وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ أَيُّها الرَّسولُ رُسُلاً كَثيرينَ في فِرَقِ الأُمَمِ السَّابِقينَ ، فَدَعا هَؤلاءُ الرُّسُلُ أَقْوامَهُمْ إلى مِثْلِ ما دَعَوْتَ إلَيْهِ قَوْمَكَ مِنْ تَوحيدِ اللهِ تَعالى وإخْلاصِ العِبادَةِ لَهُ ، فماذا كانتِ النَّتيجَةُ ؟ يُبَيِّنُ اللهُ ذَلِكَ بِقَوْلِه :

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

وما يَأْتِي كُلَّ أُمَّةٍ مِنْ رَسولٍ مُرْسَلٍ إليْها إلاّ كانوا يَسْخَرونَ مِنْهُ ويَسْتَهْزِئونَ بهِ ، كما فَعَلَتْ قُرَيْشٌ مَعَكَ ، فلا تَحْزَنْ مِنْ سُخْرِيَتِهِمْ مِنْكَ .

﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

إنَّ تَكْذيبَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ والاسْتِهْزاءَ بِهِمْ أَمْرٌ مُتَمَكِّنٌ مُسْتَقِرٌّ في نُفوسِ المُجْرِمينَ المُكَذِّبينَ ، فَتَجِدُهُمْ في كُلِّ زَمَنٍ وَحينٍ يَتَصَدَّوْنَ للاسْتِهزاءِ والسُّخْرِيَةِ بالأنْبياءِ وبالدُّعاةِ إلى اللهِ ، وعلى هذا الطَّريقِ سارَ كُفَّارُ مَكَّةَ فَلَمْ يُؤْمِنوا بهذا القُرْآنِ الّذي أَنْزَلَهُ اللهُ تَعالى إليْهِمْ ، ولا بالرَّسولِ المُرْسَلِ إلَيْهِمْ ، وسَوْفَ يُصيبُهُمْ ما أصابَ غَيْرَهُم مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ جَزاءَ كُفْرِهِمْ ، وهذهِ سُنَّةُ اللهِ الَّتي لا تَتبدَّلُ .

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

يُبَيِّنُ سُبْحانَهُ تَمَكُّنَ العِنادِ والمُكابَرَةِ في نُفوسِ مُشركي مَكَّةَ ، إلى دَرَجةٍ كَبيرةٍ ، حتّى إنَّهُم لَوْ فَتَحَ عَلَيْهِمْ باباً مِنْ أبوابِ السّماءِ ، وَتَمكَّنوا مِنَ الصُّعودِ إليْهِ بآلَةٍ أَوْ بغَيْرِها ، واطَّلعوا على مَلَكوتِ السَّماواتِ وما فيها مِنَ العجائِبِ وبَديعِ خَلْقِ اللهِ ، لَقالوا بَعْدَ أَنْ يَروْا ذَلِكَ كُلَّهُ : إنَّما مُنِعْنا مِنَ الإِبْصارِ ، وما نَراهُ إنَّما هُوَ خِداعٌ وتَضْليلٌ وصَرْفٌ عَنِ الحقائقِ بِسَبَبِ سِحْرِ مُحَمّدٍ ﷺ لنا جَميعاً .

ويُفيدُ الفِعْلُ (فَظَلّوا) حُصولَ العَمَلِ مِنْهُمْ نَهاراً ، كما أنَّ الفِعْلَ (باتَ) يُسْتَخْدَمُ لِمَنْ عَمِلَ شَيْئاً باللّيلِ ، وفائِدَةُ حُصولِ الفِعْلِ نَهاراً إطْلاعُ الجَميعِ عَلَيْهِ ، والتَّمَكُّنُ مِنَ الرُّؤْيَةِ بِوضوحٍ . وفي قَوْلِهِمْ ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحورونَ﴾ إشْعارٌ بِتَمَكُّنِ السِّحْرِ مِنْهُم جَميعاً وَعَدَمِ اخْتِصاصِهِ بِبَعْضِهِمْ ،

فالقَوْمُ جميعاً قَدْ تعرَّضوا لِهذا السِّحْرِ العَظيمِ حَسَبَ زَعْمِهِمْ ، ومَنْ بَلَغَ بهِ التَّعَنُّتُ والمُكابَرَةُ إلى مِثْلِ هذهِ الدَّرَجةِ فلا يُرْجى إيمانُهُ ولا يَنْفَعُ مَعَهُ تَذْكيرٌ ولا نُصْحٌ ولا تَبيينٌ .

ثُمَّ انتقلتِ الآياتُ إلى إيرادِ عَدَدٍ مِنَ الأَدِلّةِ الدّالَّةِ على وحْدانيةِ اللهِ وعَظَمَتِهِ :

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

وَلَقَدْ خَلَقْنا وَأَوْجَدْنا في السَّماءِ طُرُقاً تَسيرُ فيها النُّجومُ والكَواكِبُ ، ومنازلَ تَمُرُّ فيها دُونَ خَلَلٍ ، ولا اضْطِرابٍ بَلْ وَفْقَ نِظامٍ مُحكَمٍ بَديعٍ يَدُلُّ على الخالِقِ القَديرِ ، وزَيَّنّا السَّماءَ بالنُجومِ لِيَعْتَبِرَ مِنْها النّاظِرونَ ، وَيَسْتَدِلّوا بِها على عَظَمَةِ خالِقِها ، كما يَنْتَفِعونَ مِنْها في مَعْرِفَةِ الجِهاتِ وتَحْديدِ المَواقيتِ .

﴿ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾

وَحفِظنا السَّماءَ مِنْ جَميعِ الشَّياطينِ المَطْرودينَ مِنْ رَحْمَتِنا ، فلا سَبيلَ لَهُم لِلْوُصولِ إلَيْها بِحالٍ مِنَ الأَحْوالِ .

﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ .

هذا الاسْتِثْناءُ مُنْقَطِعٌ ، أَيْ : لَكِنْ مَنْ حاوَلَ مِنَ الشَّياطينِ اسْتِراقَ السَّمْعِ واخْتِلاسَهُ ، فإنَّهُ يَتْبَعُهُ شُعْلَةٌ مِنْ نارٍ مُلْتَهِبَةٍ واضِحَةٍ ظاهِرَةٍ لِلنّاظِرينَ ، فَلا يُمَكَّنُ مِنَ الاسْتِماعِ مَعَ حِرْصِهِ الشَّديدِ على ذلِكَ .

وقَدْ كانَ الجِنُّ قَبْلَ الإسلامِ يَسْتَرِقونَ شَيْئاً مِنْ خَبَرِ السَّماءِ ، ويُلْقونَهُ إلى الكَهَنَةِ الّذينَ يُخْبِرونَ بهِ النّاسَ ، ويَزيدونَ عَلَيْهِ أشياءَ مِنْ أنْفُسِهِمْ فَيَعْظُمونَ في عُيونِ النّاسِ لِعِلْمِهِمْ أشياءَ مِنَ الغَيْبِ ، فَلَمّا أُرْسِلَ رسولُ اللهِ ﷺ ونَزَلَ القُرْآنُ زيدَ في حِراسَةِ السَّماءِ وَحِفْظِها ، كما قالَ تَعالى في سُورَةِ الجِنِّ :
﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾ [الجن : ٩] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَشابُهُ إجابَةِ الكافِرينَ لِرُسُلِهِمْ في الإنْكارِ والاسْتِهْزاءِ والتَّكْذيبِ .

٢ـ الإنْسانُ مُخَيَّرٌ في أعْمالِهِ ولا يُجْبَرُ أَحَدٌ على الكُفْرِ أوِ الإيمانِ .

٣ـ عَظيمُ مُعانَدَةِ المُشْرِكينَ حَتّى لَوْ رَأَوْا أَعْظَمَ الآياتِ الحِسِّيَّةِ لادّعَوْا السِّحْرَ والخِداعَ .

٤ـ بَيانُ مُهِمَّةِ الشُّهُبِ ، وَهِيَ مَنْعُ الشَّياطينِ مِنَ اسْتِراقِ السَّمْعِ .



التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَوْقفُ الأَقْوامِ السَّابِقينَ مِنْ رُسُلِهِمْ ؟

٢ـ ما فائِدَةُ الإِخْبارِ بإرْسالِ رُسُلٍ سابِقينَ وبِأَنَّهُمْ كُذِّبوا وأُوذُوا ؟

٣ـ اذْكُرْ مَظاهِرَ اسْتيلاءِ العِنادِ والمُكابَرَةِ في نُفوسِ المُشْرِكينَ كَما وَرَدَتْ في الآياتِ الكَريمَةِ .

٤ـ بيِّنِ المُرادَ بِما يَلي مَعَ ذِكْرِ فائِدَةِ كُلٍّ مِنْها :

أ ـ البُروجُ .

ب ـ النُّجومُ .

ج ـ الشُّهُبُ .

٥ـ ما مَعْنى كُلٍّ ممّا يلي :

أ ـ شِيَعِ الأَوّلِينَ .

ب ـ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ .

ج ـ سُكِّرتْ أَبْصارُنا .

٦ـ على أيِّ شَيْءٍ يَعودُ الضَّميرُ في (نَسْلُكُهُ) ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةَ سُورَةِ الفُرْقانِ الَّتي تَذْكُرُ أنَّ في السَّماءِ بُروجاً .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةَ سُورةِ المُلْكِ الَّتي تُبَيِّنُ رَجْمَ الشَّياطينِ عِنْدَ اقْتِرابِهِمْ مِنَ السَّماءِ .

* * *

الدَّرسُ الخامِسُ والأربعونَ

سُورَةُ الحِجْرِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ

وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مَدَدْناها : بَسَطْناها وَوَسَّعْناها .

رَواسِيَ : جِبالاً ثَوابِتَ .

مَوزونٍ : مُقَدَّرٍ مَعْلومٍ .

مَعايشَ : أَرْزاقاً يُعاشُ بِها .

لَواقِحَ : تُلْقِحُ السَّحابَ والشَّجَرَ .

الوارِثونَ : الباقونَ بَعْدَ هَلاكِ الخَلْقِ كُلِّهِمْ .

صَلصالٍ : طينٍ يابِسٍ كالفَخّارِ .

حَمأ : طينٍ أَسْودَ مُتَغَيِّرٍ .

مَسنونٍ : مُصَوَّرٍ على هَيْأَةِ إِنْسانٍ .

السَّمومِ : شَديدةِ الحَرارَةِ .

التفسيرُ :

تَسْتَمِرُّ الآياتُ في عَرْضِ عَدَدٍ مِنْ مَظاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى وَعَظَمَتِهِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ بيَّنَ سُبْحانَهُ بَعْضَ الدَّلائِلِ السَّماوِيَّةِ الدَّالَّةِ على قُدْرَتِهِ وَوَحْدانِيَّتِهِ ، أتْبَعَ ذلكَ بِبيانِ بَعْضِ الدَّلائِلِ الأَرْضِيَّةِ ، وأوَّلُ هذه الأدِلّةِ أنّهُ سُبْحانَهُ مَدَّ الأرْضَ وبَسَطَها وهَيَّأها لِتَصْلُحَ لِلحياةِ والاسْتِقْرارِ والتَّنَعُّمِ بما فيها ، ويَدُلُّ لَفْظُ (مَددناها) على كُرَويةِ الأرْضِ ، كَما هُوَ مَعلومٌ ومُقرَّرٌ .

وَمِنَ الأَدِلّةِ على قُدْرَةِ اللهِ أنّهُ جَعَلَ في الأَرْضِ جِبالاً ثَوابِتَ راسِخاتٍ لِتَحْمِيَها مِنَ الاضْطِرابِ والاخْتِلالِ ، فَهِيَ بِمَثابَةِ الأوْتادِ التي تُثَبِّتُ البِناءَ .

ومِنْها : أنّه سُبْحانَهُ أنْبَتَ في الأَرْضِ مِنْ كُلِّ نَباتٍ مُقَدَّرٍ بِمِقْدارٍ مُعيَّنٍ تَقْتَضيهِ حِكْمَتُهُ ، ومَعْلومٌ لَهُ سُبْحانَهُ أنَّ لِعِبادِهِ في هذا النَّباتِ مَصْلَحَةٌ ومَنْفَعَةٌ ؛ قُوتاً أوْ دَواءً .

﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

وَمِنَ الأَدِلَّة على عَظَمَةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ أنّهُ أعَدَّ لِلْبَشَرِ في الأَرْضِ أسْبابَ المَعيشَةِ والحياةِ المُلائِمَةِ مِنْ غِذاءٍ وَدواءٍ لِباسٍ وماءٍ ، وَيَسَّرَ لِلإنْسانِ مَنْ يُعينُهُ في حياتِهِ مِنْ مَماليكَ وخَدَمٍ ، ودَوابَّ وأنعامٍ وهُوَ الّذي يَرْزُقُ الجَميعَ ، وما يَظُنُّهُ بعْضُ الجاهِلينَ مِنْ أنَّهم هُمُ الرَّازِقونَ لِغَيْرِهِمْ ، نَوْعٌ مِنَ الغُرورِ والافْتِراءِ ، لأنَّ الرَّازِقَ هُوَ اللهُ رَبُّ العالَمينَ .

وتُشيرُ الآيَةُ إلى ما اقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ اللهِ مِنْ جَعْلِ النَّاسِ مَراتِبَ ومَنازِلَ في هَذهِ الحياةَ الدُّنْيا لِيَخْدِمَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، وتَسْخيرُ الدَّوابِّ والأَنْعامِ لِخِدْمَةِ الإنْسانِ مَعَ قيامِهِ سُبْحانَهُ بِتَيسيرِ الرِّزقِ وأسْبابِهِ لِلْجَميعِ .

﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ .

أيْ : وما مِنْ شَيْءٍ مِنَ الأَشْياءِ المَوْجودةِ في هذا الكَوْنِ والَّتي يَحْتاجُ النّاسُ إليْها وَيَنْتَفِعونَ بها إلاَّ ونَحْنُ قادِرونَ على إيجادِهِ وتَكْوينِهِ والإنْعامِ بِهِ ، ونُعْطي مِنْهُ لِعِبادِنا بِمِقْدارٍ مُعيَّنٍ على حَسَبِ حاجَتِهِمْ وما يَقْضي مَصالِحَهُمْ .

وفي الآيَةِ تَشْبيهٌ لِقُدْرَةِ اللهِ على إيجادِ كُلِّ شَيْءٍ بالخَزائِنِ الّتي تُودَعُ فيها الأشْياءُ النَّفيسةُ وتَكونُ في مَأْمَنٍ ، كما تَكونُ مُعَدَّةً لِلاسْتِعْمالِ عِنْدَ الحاجَةِ دونَ إبْطاءٍ .

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

وَمنَ الآياتِ الدَّالَّةِ على عَظَمَةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ تَصْريفُ الرِّياحِ وإنْزالُ المَطَرِ ، فاللهُ تَعالى هُوَ الَّذي يُسيِّرُ بِقُدْرَتِهِ وَرَحْمَتِه الرِّياحَ الّتي تَنْقُلُ حبُوبَ اللّقاحِ بَيْنَ النَّباتِ لِيَتِمَّ بذلكَ التَّلاقُح تكاثُرُ النَّباتِ والثِّمارِ ، كما أنَّ الرِّياحَ تُلْقِحُ السَّحابَ الّذي يَتولَّدُ مِنْه المَطَرُ ، فَيَنْزِلُ المَطَرُ مِنَ السُّحُبِ ماءً فُراتاً طَهوراً يَشْرَبُ مِنْهُ النَّاسُ وَيَسْقونَ أَنْعامَهُمْ وزَرْعَهُم مِنْهُ ، واللهُ تَعالى وَحْدَهُ هُوَ الّذي يَأْمُرُ بنزولِ المَطرِ أوْ حَبْسِهِ أَوْ تَأْخيرِهِ ، وَلَيْسَ لِلْبَشَرِ أيُّ دَوْرٍ في هذا ، كَما أَنَّهُ سُبْحانَهُ يُيَسّرِ لِلْماءِ النّازِلِ مِنَ السَّماءِ أَنْ يُخْزَنَ في الأَرْضِ وَيَتجمَّعَ في باطنِ الأَرضِ فَيَسْتَنْبطَهُ النّاسُ عَنْ طريقِ الآبارِ والآلاتِ ، ومِنْهُ ما يَكونُ ظاهِراً لِلماءِ ، وَهَكذا تَسْتَمِرُّ دَوْرَةُ الحياةِ على الأَرْضِ بالماءِ حَسَبَ مَشيئَةِ اللهِ تَعالى وقُدْرَتِهِ .

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

وَمِنْ أَعْظَمِ مَظاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى أَنَّهُ هُو الّذي يُوجِدُ الحياةَ في المَخْلوقاتِ ، وهُوَ الّذي يَسْلِبُها هذهِ الحَياةَ بالإماتَةِ ، وهُوَ سُبْحانَهُ الباقي بَعْدَ فناءِ الخَلْقِ فَهُوَ الّذي يَرِثُ الأَرْضَ ومَنْ عَلَيْها .

وفي التَّعْبيرِ بِقَوْلِهِ سُبْحانَهُ ﴿وَنَحْنُ الوارِثونَ﴾ تَشْبيهُ بَقائِهِ بَعْدَ زَوالِ كُلِّ شَيْءٍ سِواهُ بالوارِثِ ، لأنَّ الوارِثَ هُو الّذي يَرِثُ غَيْرَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ .

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

أيْ : أَحَطْنا عِلْماً بالخَلْقِ كُلِّهِمْ : مَنْ هَلَكَ مِنْ لَدُنْ آدمَ ، ومَنْ هُوَ حَيٌّ ، ومَنْ سَيَأْتي إلى يَوْمِ القيامَةِ ، فَعِلْمُنا مُحيطٌ بِمَنْ تَقَدَّمَ ومَنْ تَأَخَّرَ مِنْهُم لا يَخْفى عَلَيْنا شَيءٌ مِنْ أحوالِ العِبادِ .

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

وإنَّ اللهَ تَعالى الّذي خَلَقَهُم هُوَ الَّذي يَتولَّى حَشْرَهُمْ جَميعاً ؛ أَوّلَهُمْ وآخِرَهُمْ ، لِيُحاسِبَهُمْ على أَعْمالِهِمْ ، إنّهُ حَكيمٌ في كُلِّ تَصرُّفاتِهِ وأَفْعالِهِ ، عَليمٌ بأَحْوالِ خَلْقِهِ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيءٌ مِنْها .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

ومِنْ أَعْظَمِ الآياتِ الدَّالَّةِ عَلى قُدْرَةِ اللهِ خَلْقُ الإنْسانِ والجنِّ ، وفي هَذهِ الآياتِ إخْبارٌ عَنْ إحْدى مَراحِلِ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَقَدْ خُلِقَ مِنْ طينٍ يابِسٍ إذا ضَرَبْتَهُ بِيَدِكَ تَسْمَعُ لَهُ صَلْصَلَةً ، وكانَ قَبْلَ هذهِ المَرْحَلةِ طيناً أسودَ فَجَفَّ وَيَبِسَ حتَّى صارَ كالصَّلْصالِ ، ثُمَّ صُوِّرَ على هَيْأَةِ الإنْسانِ ، ثُمَّ نَفَخَ اللهُ تَعالى فيهِ الرُّوحَ .

﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾

وكانَ خَلْقُ الجنِّ قَبْلَ خَلْقِ الإنسانِ ، فَقَدْ خَلَقَهُ اللهُ مِنْ نارٍ شَديدةِ الحَرارَةِ . وإنَّ خَلْقَ هَذينِ الصِّنْفينِ : الإنْسِ والجنِّ مِمَّا ذُكِرَ مِنْ أَعْظَمِ الأَدِلَّةِ على قُدْرَةِ خالِقِهما العظيمِ ، الّذي جَعَلَ مِنَ الجَمادِ المَيِّتِ وَمِنَ النّارِ الحارِقَةِ خَلْقاً آخَرَ ، فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالقينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ كلُّ ما في الكَوْنِ دالٌّ على قُدْرَةِ اللهِ تَعالى وَعَظَمَتِهِ .

٢ـ سَبَقَ القُرآنُ إلى تَقْريرِ حَقائِقَ عِلْميَّةٍ لَمْ تَكُنْ مَعْروفَةً لِلنَّاسِ وَقْتَ نُزولِ القُرْآنِ .

٣ـ اللهُ هُوَ الرَّازِقُ لِجَميعِ خَلْقِهِ .

٤ـ شُمولُ عِلْمِ اللهِ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَبَقاؤُهُ بَعْدَ فَناءِ خَلْقِهِ .

٥ـ اللهُ الّذي بَيَّنَ لَنا أَصْلَ خَلْقِ الإنْسانِ والجانِّ ، ولا يَجوزُ أَنْ نَلْتَفِتَ إلى قَولٍ سِواهُ .

٦ـ الدِّلالَةُ على أَنَّ القُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وَصِدْقِ رَسولِ اللهِ ﷺ ، إذْ ما في القُرْآنِ مِنْ عُلومٍ غَيْبِيَّةٍ لا يَعْلَمُها أَحَدٌ مِنَ البَشَرِ مِنْ أَوْضَحِ الأدِلَّةِ على ذَلِكَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ عَدِّدْ ما ذَكَرَتْهُ الآياتُ الكَريمَةُ مِنْ مَظاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى .

٢ـ بَيِّنْ مَعنى ما يَلِي :

أ ـ والأَرْضَ مَدَدْناها .

ب ـ وأَلْقَيْنا فيها رَواسِيَ .

ج ـ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ برازِقينَ .

د ـ وَأَرْسَلْنا الرِّياحَ لَواقِحَ .

هـ ـ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنونٍ .

٣ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ عَلى كُلٍّ مِمّا يَلي :

أ ـ كُرَوِيَّةُ الأرْضِ .

ب ـ الجِبالُ تَحْمِي الأَرْضَ مِنَ الاضْطِرابِ والاخْتِلالِ .

ج ـ الرِّزْقُ بيَدِ اللهِ ولَيْسَ بيَدِ أحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ .

د ـ أهميَّةُ الرِّياحِ لِتَلْقيحِ السُّحُبِ والنَّباتِ .

هـ ـ لَيْسَ للإنْسانِ قُدْرَةٌ على التَّحَكُّمِ بإنْزالِ المَطَرِ أَوْ على تَخْزينِهِ في باطنِ الأَرْضِ .

و ـ لا يَبْقى بَعْدَ فَناءِ الخَلْقِ سوى اللهِ .

٤ـ بيِّنْ أَصْلَ خَلْقِ الإنْسانِ ، والجانَّ كَما وَرَدَ في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ .

تَعَلَّمْ :

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها ، قالَتْ : « كانَ النَّبيُّ ﷺ إذا عَصَفَتِ الرِّيحُ قالَ : اللّهُمَّ إني أَسْأَلُكَ خَيْرَها ، وَخَيْرَ ما فِيها وَخَيْرَ ما أُرْسِلَتْ بهِ ، وأعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّها وَشَرِّ ما فِيها وَشَرِّ ما أُرْسِلَتْ بِهِ[(١)] .

نَشاطٌ :

١ـ كَيْفَ تَسْتَدِلُّ مِنْ لَفْظَةِ مَدَدناها على كُرَوِيَّةِ الأَرْضِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً قُدُسِيّاً رواهُ النَّبيُّ ﷺ عَنْ ربِّهِ يُبَيِّنُ عَظَمةَ رِزقِ اللهِ وكَثْرَتَهُ الّتي لا تَنْقُصُ .

٣ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ مَشْروعِيَّةِ صلاةِ الاسْتِسْقاءِ ؟ اكْتُبْ ذلِكَ في دَفْتَرِكَ .

٤ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سُورَةِ الرَّحْمنِ الّتي تَدُلُّ على المَعْنى الوارِدِ في الآيةِ (٢٣) .

٥ـ رَتِّبْ مَراحِلَ خَلْقِ الإنْسانِ مُعْتَمِداً على ما وَرَدَ في الآياتِ الكَريمَةِ مِنْ ذِكْرٍ لِهذِهِ المَراحِلِ مُسْتَعيناً بِكُتُبِ التَفْسيرِ ، وَضَعْ ما وَصَلْتَ إليْهِ في مَجَلّةِ المَدْرَسَةِ .

❋ ❋ ❋

---

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة الاستسقاء ، رقم الحديث (١٤٩٦) .

الدَّرْسُ السَّادِسُ والأَرْبَعونَ

سُورَةُ الحِجْرِ - القِسْمُ الرَّابِعُ

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

سَوَّيْتُهُ : تَمَّمْتُ خَلْقَهُ .

رَجيمٌ : مَطْرودٌ مِنَ الرَّحْمَةِ .

اللعنةَ : الإبعادَ على سَبيلِ السُّخْطِ .

فَأَنْظِرني : فَأَمْهِلْني .

التفسيرُ :

فِي هَذِهِ الآياتِ الكَريمةِ قِصَّةُ خَلْقِ آدمَ وأَمْرُ المَلائِكَةِ بالسُّجودِ لَهُ ، وعِصْيانُ إبْليسَ لِذلك الأَمْرِ . قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

هذا شُروعٌ في تَفْصيلِ قِصَّةِ خَلْقِ آدمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، أيْ واذْكُرْ أَيُّها الرَّسولُ لأُمَّتِكَ وَقْتَ أنْ قالَ

رَبُّكَ لِلْملائِكَةِ ، إنّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلصالٍ ، وهُوَ الطِّينُ الجافُّ الّذي كانَ قَبْلَ ذَلِكَ طِيناً أَسْوَدَ ، فَبَعْدَ أَخْذِ طِينَةِ الإنْسانِ مِنْ تُرابِ الأرْضِ تُرِكَ حتَّى تَغَيَّرَتْ طِينَتُهُ ثُمَّ سُوِّيَ وتُرِكَ حتَّى جَفَّ وَيَبِسَ ، وسُمِّي الإنْسانُ بَشَراً لِظُهورِ بَشَرَتِهِ ، حَيْثُ لا يُغَطِّي الإنْسانَ صُوفٌ ولا وَبَرٌ أو نَحْوَهُما بِخلافِ سائِرِ الحَيوانات .

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

فإذا جَعَلْتُ هذا البَشَرَ سَوِيّاً مُعْتَدِلاً بِحَيْثُ يَصْلُحُ لِلْحياةِ ، وَوَضَعْتُ فيهِ ما بِهِ حياتُهُ وحركاتُهُ ، وهُوَ الرّوحُ الّذي لا يَعْلَمُ حَقيقتَهُ سِواي ، فاسْقُطوا وخِرّوا ساجِدينَ لَهُ سُجودَ تَحيَّةٍ وَتَكْريمٍ ، لا سُجودَ عِبادَةٍ وتَعْظيمٍ ، والمُرادُ بالرُّوحِ هُنا جبْريلُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وهُوَ الّذي أَرْسَلَهُ اللهُ إلى مَرْيَمَ عَلَيْها السَّلامُ فَتَمَثَّلَ لَها بَشراً سَوِيّاً ، فَنَفَخَ فيها فَحَمَلَتْ بِعيسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، وهذه النَّفْخَةُ هِيَ الّتي جَعَلَتْ آدمَ عَلَيْهِ السَّلامُ حَيّاً سَميعاً بَصيراً ، وَكَذلِكَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ بَعْدِهِ .

وأضافَ سُبْحانَهُ الرُّوحَ إليهِ تَكْريماً لِهذا المَخْلوقِ الغَيْبِيِّ ، والرَّوحُ هُوَ قِوامُ الحياةِ وَسرُّ وُجودِها .

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

امْتَثَلَ المَلائِكَةُ أَمْرَ اللهِ تَعالى لَهُمْ بِالسُّجودِ لآدَم فَسَجَدوا طاعَةً لأمْرِ رَبِّهِمْ ، لَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُم مَلَكَ وَلَمْ يَتَأَخَّر مِنْهُمْ أَحَدٌ .

﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

هذا اسْتِثْناءٌ مُنْقَطِعٌ ، فإنَّ إبْليسَ كانَ مِنَ الجِنِّ وَلَيْسَ مِنَ المَلائِكَةِ ، وكانَ يُقيمُ بَيْنَهُم فَعُدَّ مِنْهُم تَغْليباً ، إلاَّ أنّهُ رَفَضَ الاسْتِجابَةَ لأمْرِ رَبِّهِ فَلَمْ يَسْجُدْ مَعَ المَلائِكَةِ تَكَبُّراً منهُ وعِصْياناً لأمْرِ اللهِ . ولَفْظُ إبليسَ مُشْتَقٌّ مِنَ الإبْلاسِ ، وهُوَ الحُزْنُ الناشِيءُ عَنِ اليأسِ .

﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

قالَ اللهُ تَعالى لإبْليسَ على سَبيلِ الزَّجْرِ والتَّوْبيخ : أيُّ سَبَبَ حَمَلَكَ على مُخالَفَةِ الأمْرِ وجَعَلَكَ تَمْتَنِعُ عَنِ السُّجودِ الّذي أَمَرْتُكَ بِهِ ؟

﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ ﴾

قالَ إبْليسُ لِرَبِّهِ مُجيبا في تَكَبُّرٍ واسْتِعلاءٍ : لا يَليقُ بي أَنا المَخْلوقُ مِنْ نارٍ أَنْ أَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ طينٍ .

لقدْ زَعَمَ إبْليسُ أنَّ النارَ أَفْضَلُ مِنَ الطِّينِ ، وظَنَّ أنَّ التَّفاضُلَ بَيْنَ الخَلْقِ يكونُ باعتبارِ المادَّةِ وَحْدَها ، فَرَفَضَ السُّجودَ لآدمَ وعَصى بِذلكَ أَمْرَ اللهِ .

﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

قالَ اللهُ تَعالى لإبْليسَ بَعْدَ أنْ أَعْلَنَ اسْتعلاءَهُ وتَكَبُّرَهُ على آدمَ وَرَفْضَهُ أَمْرَ اللهِ تَعالى : اخْرُجْ مِنَ السَّماءِ وَمِنَ المَنْزِلَةِ الّتي كُنْتَ فيها مُلْحقاً بالمَلائِكَةِ ، فإنَّكَ مَرْجومٌ ومَطْرودٌ مِنْ رَحْمَتي .

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾

وإنَّكَ سَتَبْقى بَعيداً عنْ رَحْمَةِ اللهِ ، مُقيماً في غَضَبِهِ إلى يَوْمِ الجَزاءِ ، والتَّعْبيرُ بـ﴿عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ﴾ للإشْعارِ بِتَمَكُّنِها مِنْهُ حتَّى لَكَأَنَّها فَوْقَهُ مُلازِمَةٌ لَهُ لا تُفارِقُهُ .

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ أَيْقَنَ إبْليسُ أَنَّهُ مَرْجومٌ مَلْعونٌ ، طَلَبَ مِنَ اللهِ تَعالى أَنْ يُؤَخِّرَ مَوْتَهُ إلى يَوْمِ البَعْثِ فَقالَ : يا رَبِّ أَخِّرْ مَوْتي إلى اليَوْمِ الَّذي يُبْعَثُ فيهِ البَشَرُ لِلْحِسابِ . وخاطبَ اللهَ تَعالى بِصِفَةِ الرُّبوبيةِ تَخَضُّعاً وتَذلُّلاً كيْ يُجابَ طَلَبُهُ ، وأرادَ بِذلكَ الطَّلبِ أَنْ يَتَّسِعَ لهُ المَدى لإغواءِ مَنْ طُرِدَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِسَبَبِهِ وأَنْ يَأْخُذَ بِثأْرِهِ مِنْهُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ فإنَّهُمْ فيما يَرى سَبَبُ شَقائِهِ .

﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾

اسْتَجابَ اللهُ تَعالى لِطَلَبِ إبْليسَ بالإمْهالِ لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُها لا إكْراماً لإبْليسَ ، فقالَ لَهُ : فإنَّكَ مِنَ المُؤَخَّرينَ الَّذينَ أَخَّرْتُ مَوْتَهُم إلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلومِ عِنْدَ اللهِ تَعالى ، وهُوَ وَقْتُ النَّفْخَةِ الأُولى ، حَيْثُ تَنْتَهي حياةُ الخَلائِقِ ، فَتَموتَ حِينَئِذٍ مَعَهُمْ ، فَلَيْسَ التَّأْخيرُ إلى يوم البَعْثِ كما طَلَبَ اللَّعينُ وأَرادَ ، ولكنَّهُ إلى وَقْتِ النَّفْخَةِ الأُولى .

ولِهذا التَّأْخيرِ حِكْمَةٌ بالِغَةٌ ، ودَلالَةٌ على أنَّ الصِّراعَ بَيْنَ الخَيْرِ والشَّرِّ مُسْتَمِرٌّ إلى قيامِ السَّاعةِ ، وأنَّ على كُلِّ ذي عَقْلٍ سليمٍ أَنْ يَجْتَنِبَ طريقَ إبْليسَ وأَتْباعَهُ ، وأَنْ يَحْذَرَها وأَنْ يَأْخُذَ بِأَسْبابِ الهِدايةِ ويُقاوِمَ إغراءاتِ الشَّياطينِ وتَزْيينَهُمُ الباطِلَ لَهُ . فالحياةُ الدُّنْيا دارُ الابْتِلاءِ والامْتِحانِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ اسْتِجابَةُ المَلائِكَةِ لأَمْرِ اللهِ تَعالى دُونَ تَأْخيرٍ ولا تَرَدُّدٍ . فَهُمْ خَلْقٌ مُكْرَمونَ لا يَعصونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلونَ ما يُؤْمَرونَ .

٢ـ الَّذي يَصْحَبُ قَوْماً يَدْخُلُ فِيهِمْ ويَكونُ مِنْهُمْ كما كانَ إبْليسُ مَعَ المَلائِكَةِ .

٣ـ ذَمُّ الكِبْرِ والحَسَدِ والغُرورِ ، والحَذَرُ مِمّا يَقودُ إليهِ مِنَ المَعاصِي والسَّيِّئاتِ .

٤ـ عَدَمُ كِفايَةِ العَقلِ وَحْدَهُ في الحُكْمِ على الأَشْياءِ ، وَعَدَمُ الاحْتِكامِ إلى المَنْطِقِ الظاهِرِ في كُلِّ شَيْءٍ .

٥ـ للهِ حِكْمَةٌ في وُجودِ الصِّراعِ الدَّائِمِ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ في الدُّنْيا .

٦ـ قَدْ يَسْتَجيبُ اللهُ دُعاءَ الكافِرِ والمُتَمَرِّدِ على أَمْرِهِ لِحِكْمَةٍ يُريدُها اللهُ تَعالى .

٧ـ النَّاسُ جَميعاً يَعودونَ لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَلَمْ يَتَطَوَّرِ البَشَرُ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ القُرودِ والحَيَواناتِ .

٨ـ قَدْ يُجيبُ اللهُ دُعاءَ الكافِرِ لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُها لا لِكَرامةِ ذَلِكَ الدَّاعِي .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئِلَةِ التالِيَةِ :

١ـ ما سَبَبُ نِسْبَةِ الرُّوحِ إلى اللهِ ؟

٢ـ مَتى أَمَرَ اللهُ المَلائِكَةَ بالسُّجودِ لآدَمَ ؟

٣ـ ما نَوْعُ الاسْتِثْناءِ في قَوْلِهِ تَعالى ﴿إلاّ إبْليسَ﴾ ؟ وَلِماذا ؟

٤ـ ما السَّبَبُ الّذي مَنَعَ إبْليسَ مِنَ السُّجودِ لآدَمَ ؟

٥ـ ما الجَزاءُ الّذي اسْتَحَقَّهُ إبْليسُ عَلى عِصْيانِ أَمْرِ رَبِّهِ ؟

٦ـ لِماذا طَلَبَ إبْليسُ الإمْهالَ إلى يَوْمِ القِيامَةِ ؟

٧ـ اسْتَجابَ اللهُ تَعالى لِطَلَبِ إبْليسَ مِنْ جانِبٍ وَمَنَعَهُ ما يُريدُ مِنْ جانِبٍ آخَرَ ، وَضِّحْ ذَلِكَ ؟

٨ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ تأخيرِ مَوْتِ إبْليسَ إلى النَّفْخَةِ الأُولَى ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةَ سُورَةِ الكَهْفِ الّتي تُبَيِّنُ أَصْلَ إبْليسَ .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ والأَرْبَعونَ

سورَةُ الحِجْرِ - القِسْمُ الخامِسُ

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **لأُغْوِيَنَّهُمْ** : لأُوقِعَنَّهُمْ في الغِوايةِ والضَّلالِ .
- **المُخْلَصينَ** : المُخْتارينَ لِطاعَتِكَ .
- **صراطٍ** : طريقٍ .
- **سُلطانٍ** : تَسَلُّطٍ وَقُدْرَةٍ .
- **جُزْءٌ مَقْسومٌ** : فَريقٌ مُعَيَّنٌ .
- **غِلٍّ** : عَداوةٍ وَحِقْدٍ .
- **نَصَبٌ** : تَعَبٌ .

التفسيرُ :

بَعْدَ أَنْ حَصَلَ إِبْليسُ على ما يُريدُ مِنَ الإِمْهالِ إلى يَوْمِ الدِّينِ ، أَعْلَنَ عَنْ هَدَفِهِ مِنْ طَلَبِ تَأْخيرِ مَوْتِهِ ، فقالَ كما أَخْبَرَنا اللهُ تَعالى في قَوْلِه :

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

قالَ إبْليسُ لِرَبِّهِ سُبْحانَهُ : يا رَبِّ بِسَبَبِ ما قَضَيْتَ عليَّ مِنَ الغِوايَةِ والضَّلالِ لأُزَيِّنَنَّ لِبَني آدمَ المَعاصِي والسَّيِّئاتِ بأَنْ أُحَسِّنَ القَبيحَ ، وأُزَيِّنَ لَهُمُ المُنْكَرَ وأُحَبِّبَ الشَّهَواتِ إلى نُفوسِهِمْ حَتّى يَتَّبِعوها ، وأَبْذُلُ جُهْدي لإِضْلالِهِمْ وإِغْوائِهِمْ جَميعاً دونَ يَأْسٍ ولا فُتورٍ .

وقولُ إبْليسَ لِرَبِّهِ : ﴿بما أغْوَيْتَني﴾ يَدُلُّ على وَقاحَتِهِ وسُوءِ لَفْظِهِ ، فإِنَّهُ هُوَ الَّذي اخْتارَ طريقَ الغِوايَةِ حينَ رَفَضَ السُّجودَ لآدَمَ .

وَحَدَّدَ إبْليسُ مَكانَ تَزْيينِهِ السَّيِّئاتِ لِبَني آدمَ وَهُوَ ﴿في الأَرْضِ﴾ لأَنَّهُ مَكانُ إقامَتِهِمْ ومُسْتَقَرِّهِم .

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

أيْ إنَّ إضْلالي وتَزْييني يَشْمَلُ ذُرِّيَّةَ آدمَ كُلَّهِمْ إلاّ عِبادَكَ الَّذينَ اخْتَرْتَهُم لِطاعَتِكَ مِمَّنْ أَخْلَصَ لَكَ العَمَلَ وتَحَصَّنَ مِنَ الخَضوعِ لِدواعي الشَّرِ والضَّلالِ والتَّأْثيرِ بِمُغْرياتِ الشَّيْطانِ وَوَساوِسِهِ .

﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾

قالَ اللهُ تَعالى لإبْليسَ بَعْدَ أَنْ أَعْلَنَ اسْتِثْناءَ المُخْلَصينَ مِنْ إغْوائِهِ : هذا الَّذي أَعْلَنْتَهُ مِنْ عَدمِ قُدرَتِكَ على إغْواءِ عبادي الصَّالِحينَ أَمْرٌ واضِحٌ ، وطريقٌ بَيِّنٌ أَجْعَلُهُ سُنَّةً ثابِتَةً أَزَلِيَّةً لا تَتغَيَّرُ ولا تَتبدّلُ ، وهذا هُوَ الطَّريقُ المُوصِلُ إلى رَحْمَتي وَرِضْواني .

وهَذا تَفَضُّلٌ مِنْهُ سُبْحانَهُ ، حِمايَةً لِعبادِهِ الصَّالِحينَ مِنْ إغْواءِ إبْليسَ .

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

هذهِ الآيةُ تَأْكيدٌ لِما سَبَقَ تَقْريرُهُ مِنْ حمايةِ اللهِ تَعالى لِلْمُخْلَصينَ مِنْ عِبادِهِ وأَنَّهُ لَيْسَ لِلشَّيْطانِ عَلَيْهِم سُلْطانٌ .

لَكِنْ مَنِ اتَّبَعَ إبْليسَ مِنَ الضَّالِينَ فإنَّهُ يَخْضَعُ لِسُلْطانِهِ وَيَتْبَعُهُ في تَزْيينِهِ . فالاسْتِثْناءُ في الآيَةِ مُنْقطِعٌ لأَنَّ الغاوينَ لَيْسوا مِنْ عبادِ اللهِ المُخْلَصينَ .

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

وإنَّ نارَ جَهنَّمَ هِيَ المَكانُ الّذي سَيلْتَقي فيهِ إبْليسُ وأَتْباعُهُ الغاوونَ كأَنَّهُمْ على مَوْعِدٍ لِلّقاءِ فيها ، وسَيَدْخُلونَها جَميعاً لا يَتَخَلَّفُ أَحَدٌ مِنْهُمْ .

﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

هذهِ النَّارُ الّتي يَلْتَقي فيها إبْليسُ وأَتْباعُهُ لها سَبْعَةُ أبوابٍ ، كلُّ بابٍ مِنْها يُؤَدِّي إلى طَبَقةٍ مِنْ

طَبَقاتِها ، وَسَيَدْخُلُ الغاوونَ إليْها مِنْ هذهِ الأبوابِ على حَسَبِ تَفاوُتِهِمْ في الغِوايَةِ ، فَلِكُلِّ طَبَقَةٍ في جَهنَّمَ فَريقٌ مَعلومٌ وقِسْمٌ مِنَ الغاوينَ فَيَدْخُلُ كُلٌّ مِنْهُم في الطَّبَقَةِ الَّتي تُناسِبُ عَمَلَهُ .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ﴾

بَعْدَ بيانِ سُوءِ مآلِ الغاوينَ تُبيِّنُ هذهِ الآياتُ حُسْنَ عاقبةِ المُخْلَصينَ ، فَيُخْبِرُ سُبْحانَهُ أنَّ المُتَّقينَ الّذينَ أَطاعوا أمْرَ رَبِّهِم سَيَدْخُلونَ يَوْمَ القيامةِ جَنّاتٍ ذاتَ نَعيمٍ مُقيمٍ ، وفيها العُيونُ واليَنابيعُ الَّتي تَجْري مِياهُها بَيْنَ أشْجارِ الجَنَّةِ ومَساكِنِها .

﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

تَسْتَقْبِلُهُمُ المَلائِكَةُ عِنْدَ أبوابِ الجَنَّةِ تُحَيِّيهِمْ وَتُخاطِبُهُمْ بِعباراتٍ رَقيقةٍ ، تَدْعوهُمْ فيها إلى دُخولِ الجَنَّةِ سالِمينَ مِنْ جَميعِ الآفاتِ ، آمِنينَ مِنَ المَوْتِ وَمِنْ زوالِ هذا النَّعيمِ .

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

هَؤلاءِ المُؤْمِنونَ يَدْخُلونَ الجَنَّةَ ويَكونُ مِنْ تَكريمِ اللهِ لَهُمْ أَنَّ اللهَ تَعالى أَخْرَجَ ما في صُدورِهِمْ مِنْ حِقْدٍ وَعَداوةٍ كانَتْ بَيْنَهُم في الدُّنْيا ، فَهُم في الجَنَّةِ إِخوانٌ مُتَحابّونَ ، يَجْلِسونَ على الأَسِرَّةِ مُتَقابِلينَ ، فلا تَدابُرَ بَيْنَهُمْ ولا شَحْناءَ ولا ضَغينةَ ولا عَداوَةَ ، وهذا غايةُ ما يُتَمنى ويُرْغَبُ أنْ يَكونَ عَلَيْهِ الحالُ بَيْنَ المُتَجاوِرينَ والمُتَعامِلينَ فيما بَيْنَهُم .

وَيُلْحَظُ ما في لَفْظِ (نَزَعْنا) مِنْ إشارةٍ إلى تَمَكُّنِ الغِلِّ في النُّفوسِ والصُّدورِ حَتّى إنّه يُنْزَعُ مِنْها نَزْعاً ويُقْتَلَعُ اقْتِلاعاً .

﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾

ومِنْ تَكْريمِ اللهِ تَعالى لَهُمْ أَنَّهُ لا يُصيبُهُمْ فيها أيُّ تَعَبٍ ، فكلُّ ما يرغبُ فيهِ أحَدُهُم يَحْصُلُ لَهُ بمجرد رَغْبَتِهِ فيهِ ، وقدْ دَنَتْ لَهُمُ الأغْصانُ وذُلِّلَتْ واقْتَرَبَتْ مِنْهُم الثِّمارُ كما يَشْتَهونَ ، وَلَيْسوا بِخارِجينَ مِنَ الجَنَّةِ فإنَّها دارُ الخُلودِ والإقامَةِ الدَّائِمَةِ الّتي لا تَنْقَطِعُ أبداً . جَعَلَنا اللهُ تعالى مِنْ أَهْلِها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ إنَّ العَداوةَ بَيْنَ إبْليسَ وَذُرِّيَّتِهِ وَبَيْنَ بَني آدمَ مُسْتَمِرَّةٌ دائِمَةٌ إلى قِيامِ السَّاعَةِ .

٢ـ إنَّ المُخْلَصينَ مِنْ عِبادِ اللهِ في مأْمَنٍ مِنْ مَكْرِ الشَّيْطانِ وإغْوائِهِ .

٣ـ العذابُ في جَهَنَّمَ مُتفاوِتٌ في نَوْعِهِ وَمِقْدارِهِ ، حَسَبَ الأَعْمالِ السَّيِّئَةِ في الدُّنْيا .

٤ـ لا يُوجَدُ في الجَنَّةِ خَوْفٌ ، ولا حِقْدٌ ولا تَعَبٌ ، إنَّما سَلامٌ وَحُبٌّ وراحَةٌ وخُلودٌ .

٥ـ تَفَضُّلُ اللهِ تَعالى على عِبادِهِ بِحِفْظِهِمْ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطانِ وإغْوائِهِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بماذا الْتَزَمَ إبليسُ ؟ وبماذا أَكَّدَ الْتِزامَهُ هَذا ؟

٢ـ زَعَمَ إبْليسُ أنَّ اللهَ تَعالى قَضى عَلَيْهِ بالغِوايَةِ . ما رَدُّكَ على هذا الادِّعاءِ الشَّيْطانِيِّ ؟

٣ـ لِماذا اسْتَثْنى إبْليسُ العِبادَ المُخْلَصينَ مِنَ الإغْواءِ والضَّلالِ ؟

٤ـ ما العاقِبَةُ الَّتي تَنْتَظِرُ الشَّيْطانَ وأَتْباعَهُ ؟

٥ـ اذْكُرْ أصْنافَ نَعيمِ أهْلِ الجَنَّةِ المَذكورَةَ في هذهِ الآياتِ .

٦ـ بَيِّنْ مَعنى ما يلي :

أ ـ قالَ هذا صِراطٌ عَلَيَّ مُسْتَقيمٌ .

ب ـ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسومٌ .

ج ـ وَنَزَعْنا ما في صُدورِهِمْ مِنْ غِلٍّ .

د ـ لا يَمَسُّهُمْ فيها نَصَبٌ .

تَعَلَّمْ :

عَنْ أَبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ وابي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالا : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ « إذا دَخَلَ أَهْلُ الجَنّةِ الجَنَّةَ يُنادي مُنادٍ : إنَّ لَكُمْ أَنْ تَحيَوْا فلا تَموتوا أَبَداً ، وإنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحّوا فلا تَسْقَموا أَبَداً وإنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلاَ تَهْرَموا أَبَداً وإنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعُموا فَلا تَبْأَسوا أَبَداً »[١] .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آياتِ سورَةِ النَّحْلِ الدّالَّةَ على تَسَلُّطِ الشَّيْطانِ على أعْوانِهِ وَعَدمِ تَسلُّطِهِ على المُؤْمنينَ .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجنة ونعيمها باب في دوام نعيم أهل الجنة رقم الحديث (٧٠٨٦) .

الدَّرسُ الثامِنُ والأَرْبَعونَ

سُورَةُ الحِجْرِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ

۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

نَبِّئْ : خَبِّرْ وبَلِّغْ .

وَجِلونَ : خائِفونَ .

القانِطينَ : اليائِسينَ .

فَما خَطْبُكُمْ : فما شَأْنُكُمُ الخطيرُ .

قَدَّرْنا : قَضَيْنا .

الغابِرينَ : الباقينَ في العَذابِ .

التفسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمةِ الإخْبارُ عَنْ رَحْمَةِ اللهِ الواسِعَةِ ، وقِصَّةُ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَ المَلائِكَةِ . قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾

أيْ : أخبِرْ أيُّها الرَّسولُ الكريمُ عِبادِيَ المُؤْمِنينَ بي أنّي أنا الغَفورُ ، الكَثيرُ المَغْفِرَةِ لِذُنوبِهِمْ ، الواسِعُ الرَّحْمَةِ لِمُسيئِهِمْ .

﴿ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾

ونَبِّئْهُمْ كَذلكَ أَنَّ عذابي هُوَ العَذابُ الشَّديدُ الأليمُ البالِغُ الغايَةِ في الشِّدَّةِ والإِيلام .

وفي هاتَيْنِ الآيَتَيْنِ الإخْبارُ بِمَغْفِرَةِ اللهِ تَعالى وَرَحْمَتِهِ ، وبِعَذابِهِ الأليمِ ، جَمَعَ اللهُ تَعالى بَيْنَ الوَعْدِ والوَعيدِ ، والتَّرْغيبِ والتَّرْهيبِ . وفي تَقْديمِ الرَّحْمَةِ على العذابِ طَمْأَنَةٌ لِلْمُومِنينَ ، فَرَحْمَةُ اللهِ تَسْبقُ عَذابَهُ ، وفي تأْكيدِ الرَّحْمَةِ أَكْثَرَ مِنَ العذابِ باسْتِخْدام (أَنّي) وَ(أنا) وفي المُقابِلِ لَمْ يَقُلْ : وأَنا المُعَذِّبُ ، طَمْأَنَةٌ كذلكَ ، وفي الآيَتَيْنِ تَشْريفٌ لِلْعِبادِ حَيْثُ نَسَبَهُمُ اللهُ تَعالى لِنَفْسِهِ ، وأَمَرَ رَسولَهُ ﷺ أنْ يُبَلِّغَهُمْ هذا المَعْنى لِيَعْرِفوهُ ويَعْمَلوا بِناءً عَلَيْهِ ، ويَجْمعوا بَيْنَ الرَّجاءِ والخَوْفِ دُونَ مُبالَغَةٍ في أَحَدِهِما على حِسابِ الآخَرِ .

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ ﴾

أَيْ : وأَخبِرْ أيُّها الرَّسولُ أُمَّتَكَ عَنْ ضَيْفِ إبْراهِيمَ وهُمْ رُسُلٌ مِنَ المَلائِكَةِ جاءوا إلَيْهِ على هَيْئَةِ بَشَرٍ .

ولَفْظُ الضَّيْفِ يُسْتَخْدَمُ لِلواحِدِ ولِلْجَمْعِ ، وأَصْلُهُ مِنَ المَيْلِ ، فالضَّيْفُ مَنْ مالَ إلَيْكَ نازِلاً عِنْدَكَ .

﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

واذْكُرْ وَقْتَ دُخولِهِمْ على إبْراهيمَ ، فَقالوا لَهُ على سَبيلِ التَّحِيَّةِ : سلاماً ، قالَ إبْراهيمُ عليْهِ السَّلامُ بَعْدَ أنْ رَدَّ على تَحِيَّتِهِمْ : إنَّا مِنكُم خائِفونَ . وَوَجْهُ الخَوْفِ مِنْهُم دُخولُهُمْ عَلَيْهِ بِغَيْرِ مَعْرِفَةٍ سابِقَةٍ لَهُمْ ، وأَنَّهُ قَدَّمَ لَهُمُ الطعامَ فَلَمْ يَأْكُلوا مِنْهُ ، كما جاءَ في سُورَةِ هُودٍ : ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ [هود : ٧٠] . والتَّعْبيرُ عَنْ حُصولِ الخَوْفِ بِصيغَةِ الجَمْعِ لِبيانِ أنَّ الخَوْفَ اعْتَراهُ وأَهْلَهُ كَذلِكَ .

﴿ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ ﴾

قالَ المَلائِكَةُ لإبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ : لا تَخَفْ مِنّا ، فإنّا جِئْنا إلَيْكَ لِنُدْخِلَ السُّرورَ على قَلْبِكَ ونُبَشِّرَكَ بابنٍ يَهَبُهُ اللهُ لكَ وسَيكونُ ذَلِكَ الابنُ ذا عِلْمٍ غَزيرٍ ، والمَقْصودُ بالبِشارَةِ إسْحاقُ عَلَيْهِ

السَّلامُ ، وقَدْ وَرَدَ التَّصْريحُ بهِ في آيةٍ أُخْرى : قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ [هود : ٧١] فالبِشارَةُ بهذا الخَبَرِ السَّارِّ حَصَلَتْ لإبراهيمَ ولامْرَأَتِهِ .

﴿ قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

قالَ إبْراهيمُ لِلْملائِكَةِ مُتَعَجِّباً مِمّا بَشْروهُ بهِ : كَيْفَ تُبَشِّرونَني أَنْ يُولَدَ لي وَلَدٌ مَعَ تَقَدُّمِ سِنِّي ، فبأيِّ أَمْرٍ عَجيبٍ تُبَشِّرونَني ؟ قالَ ذَلِكَ تَعَجُّباً واسْتِبْعاداً لِما بَشَّروهُ بِهِ .

﴿ قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

قالَ المَلائِكَةُ لإبْراهيمَ : بَشَّرْناكَ بِشَيْءٍ مُحَقَّقٍ لا لُبْسَ فيهِ ولا رَيْبَ فلا تَكُنْ مِنَ اليائِسينَ مِنْ حُصولِ أَمْرٍ أَرادَهُ اللهُ تَعالى ، واللهُ تَعالى قادِرٌ على كُلِّ شَيْءٍ .

﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

قالَ إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ : إنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إلاَّ الخاطِئونَ ، الَّذينَ لَمْ يَعْرِفوا الحَقَّ وَلَمْ يَعْلَموا سَعَةَ عِلْمِ اللهِ تَعالى وَرَحْمَتِهِ .

أرادَ عَلَيْهِ السَّلامُ بهذا نَفْيَ حُصولِ اليَأْسِ عِنْدَهُ ، وأنَّهُ إنَّما اسْتَبْعَدَ ما بَشَّرَ بهِ حينَ فُوجِىءَ بالبِشارَةِ ، وإلاَّ فَهُوَ على يَقينٍ مِنْ سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ على ما أرادَ .

﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنِ اسْتَأْنَسَ إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِهِمْ سَأَلَهُمْ عَنْ سَبَبِ مَجيئِهِمْ ، وكَأَنَّهُ أَدْرَكَ بِفِراسَتِهِ أَنَّ لِمَجيئِهِمْ أمراً آخَرَ ذا شَأْنٍ فقالَ لَهُمْ : ما الشَّأْنُ الخَطيرُ والأَمْرُ العَظيمُ الَّذي جِئْتُمْ مِنْ أَجْلِهِ ؟

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾

قالَ المَلائِكَةُ لإبْراهيمَ : إنَّ اللهَ تَعالى أَرْسَلَنا إلى قَوْمٍ اشْتَهَروا بالإجْرامِ وعُرِفوا بهِ لِنُهْلِكَهُمْ ونُدَمِّرَ مَدينَتَهُم ، وَهُمْ قومُ لوطٍ عَلَيْهِ السَّلامُ .

﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾

إلاَّ أنَّ لوطاً ومَنِ اتَّبَعَهُ وآمَنَ مَعَهُ غَيْرُ مَشْمولينَ بالعَذابِ والهَلاكِ ، فَهؤلاءِ سَنُنْجيهِمْ جميعاً .

﴿ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

إلاَّ امرأةَ لوطٍ عَلَيْهِ السَّلامُ فإنَّها لَيْسَتْ مِمَّنْ سَنُنَجّيهِ مِنَ العذابِ ، وقَدْ قَضَينا أَنْ تَهْلِكَ مَعَ الهالِكينَ ، وأنْ تَبْقى مَعَ المُعَذَّبينَ . وذلكَ لأنَّها لم تَكُنْ مِمَّنِ اتَّبَعَ لُوطاً وآمَنَ بهِ فاسْتَحَقَّتِ العَذابَ والهَلاكَ .

وأَسْنَدَ المَلائِكَةُ القَضاءَ لأَنْفُسِهِمْ لأَنَّهُمْ المُنَفِّذون لَهُ القائِمونَ بِهِ . وفي الحقيقة أنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ ، وما المَلائِكَةُ إلاّ جُنْدٌ مِنْ جُنْدِ اللهِ يُنَفِّذونَ أوامِرَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

ترشدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ على الدُّعاةِ تَعْريفُ العِبادِ باللهِ وَصِفاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ .

٢ـ التَّعْريفُ بالرُّسُلِ وأَخْبارِهِم ، وَقَصَصِهِمْ مَنْهَجٌ أَصيلٌ .

٣ـ قُدْرَةُ الملائِكَةِ على التَشَكُّلِ في صُورَةِ بَشَرٍ كما فَعَلوا عِنْدَما جاءوا إِبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

٤ـ ضَرورَةُ الجَمْعِ بَيْنَ الرَّجاءِ والخَوْفِ ، والعِلْمُ بِسَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ .

٥ـ اسْتِحْبابُ التَبْشيرِ بالأَمْرِ الحَسَنِ لإِدْخالِ السُّرورِ على قَلْبِ المُؤْمِنِ .

٦ـ المُؤْمِنُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى .

٧ـ لا يَنْفَعُ الإنْسانَ قَرابَةٌ ولا نَسَبٌ إنَّما تَنْفَعُهُ أَعْمالُهُ الصَّالِحَةُ الَّتي بِها يَرْحَمُهُ اللهُ .

٨ـ الإِسْراعُ بِتَوْصيلِ الأَخْبارِ السارَّةِ ، والتَّلَطُّفُ في تَبْليغِ الأَخْبارِ السَّيِّئَةِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ عَدِّدِ الأُمورَ الّتي تُفيدُ سَبْقَ رَحْمَةِ اللهِ لِغَضَبِهِ مِنْ خِلالِ ما وَرَدَ في الآيتيْنِ ٤٩ و٥٠ .

٢ـ ما سَبَبُ خَوْفِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ ضُيوفِهِ ؟

٣ـ بِماذا بَشَّرَ المَلائِكَةُ إبْراهيمَ ؟ وما سَبَبُ اسْتِغْرابِهِ ؟

٤ـ مَنِ القَوْمُ الّذينَ أُرْسِلَ المَلائِكَةُ لإِهْلاكِهِمْ ؟ ومَنِ الّذينَ سَيَنْجونَ مِنَ العَذابِ ؟

٥ـ ما سَبَبُ اسْتِثْناءِ امْرَأَةِ لُوطٍ مِنَ النَّجاةِ مَعَ النَّاجينَ ، وما العِبْرَةُ في ذَلِكَ ؟



١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً شَريفاً يُبَيِّنُ أَهَمِّيَةَ الرَّجاءِ والخَوْفِ في حياةِ المُؤْمِنِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ اسْمَ نَبيٍّ وَهَبَهُ ربُّهُ وَلَداً وهو كَبيرٌ وامْرَأَتُهُ كانتْ لا تَلِدُ ، واكْتُبْ كذلكَ اسْمَ هذا المَوْلودَ النَّبيَّ .

٣ـ ارْجِعْ إلى سُورَةِ هُودٍ ، وتَدَبَّرِ الآياتِ الّتي بَيَّنَتْ خَبَرَ المَلائِكَةِ مَعَ إبراهيمَ عَليْهِ السَّلامُ ، وقارِنْ بَيْنَها وَبَيْنَ آياتِ الدَّرْسِ ، وبَيِّنْ ماذا أَفَدْتَ مِنْ ذَلِكَ ، ودوِّنْهُ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والأَرْبَعونَ

سورَةُ الحِجْرِ - القِسْمُ السّابِعُ

فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مُنْكَرونَ : مَجْهولونَ غَيْرُ مَعْروفينَ .

يَمْتَرونَ : يَشُكّونَ .

فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ : سِرْ بِهِمْ لَيْلاً .

بِقِطْعٍ : بِجُزْءٍ .

قَضَينا إليْهِ : أَوْحَيْنا إليْهِ .

دابِرَ هؤلاءِ : آخِرَهُمْ .

مُصْبِحينَ : داخِلينَ في الصَّباحِ .

ولا تُخْزون : ولا تُهينوني .

لعَمْرُكَ : قَسَمٌ مِنَ اللهِ بِحياةِ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ .

سَكْرَتِهِمْ : ضَلالَتِهِمْ .

يَعْمَهونَ : يَتَرَدَّدونَ .



التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكريمةِ الإِخْبارُ عَمَّا حَصَلَ بَيْنَ لوطٍ والمَلائِكَةِ الكِرامِ ، قالَ اللهُ تَعالى .

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

بَعْدَ أنْ خَرَجَ المَلائِكَةُ مِنْ عِنْدِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ اتَّجَهوا إلى المَدينةِ الّتي يَسْكُنُها لُوطٌ عَلَيْهِ السلامُ وقَوْمُه ، ونَزَلوا ضُيوفاً عَلَيْهِ .

﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

قالَ لوطٌ لِلْمَلائِكَةِ : إنَّكُمْ غَيْرُ مَعْروفينَ لَديَّ ، فَمَنْ أنْتُمْ ؟ ولماذا حَضَرْتُمْ ، وإنَّما قالَ لَهُمْ ذلِكَ لِما خَشِيَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ قَوْمِهِ ، فإنَّهُم إنْ عَلِموا بِوُجودِ الضُّيوفِ عِنْدَهُ سَيَحْضرونَ لِلاعْتِداءِ عَلَيْهِمْ وَيَخْشى أنْ لا يَسْتَطيعَ الدِّفاعَ عَنْهُم وَحِمايَتَهُمْ .

﴿ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

قالَ المَلائِكَةُ لِلوطٍ : ما جِئْناكَ بما يَسُوؤُكَ ، بَلْ جِئْناكَ بالأَمْرِ الّذي يَشُكُّ فيهِ قَوْمُكَ وهُوَ إيقاعُ العَذابِ الشَّديدِ الّذي كُنْتَ تَتهدَّدُهُمْ بهِ .

﴿ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

هذا تَأْكيدٌ لِكَلامِهِمُ السابِقِ حَيْثُ قالوا لَهُ : وأَتَيْناكَ بالأَمْرِ المُتَيَقَّنِ حُصولُهُ دُونَ رَيْبٍ ، ونَحْنُ صادِقونَ فيما نَقولُهُ لَكَ مِنْ إرادةِ إنْزالِ العَذابِ بِقَوْمِكَ ، لأنَّهُ أمْرُ اللهِ تَعالى الَّذي لابُدَّ وأَنْ يَقَعَ .

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

بَعْدَ أنْ أَخْبَرَتِ المَلائِكَةُ لُوطاً عَلَيْهِ السَّلامُ بِمُهِمَّتِهِمْ وهِيَ إهْلاكُ قَوْمِهِ ، أَخْبَروُه بما يَنْبَغي عَلَيْهِ فِعْلُهُ لِيَنْجُوَ مِنَ العَذابِ فقالوا لَهُ : اخْرُجْ أنْتَ ومَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِكَ وَقَوْمِكَ بَعْدَ أنْ يَمْضيَ جُزْءٌ مِنَ اللَّيلِ ، وأَمَروهُ بِأَنْ يَجْعَلَ أَهْلَهُ أمامَهُ ويَسيرَ خَلْفَهُمْ لِيَعْرِفَ أَحْوالَهُمْ ويَطْمَئِنَّ عَلَيْهِمْ ، ولا يَنْظُرُ أَحَدٌ مِنْكُمْ خَلْفَه حتَّى لا يرى مَشْهَدَ العذابِ الهائِلِ المُخيفِ الَّذي سَيَنْزِلُ بالمُجْرمينَ ، خَشْيَةَ أَنْ يُصيبَهُ ما أَصابَهُمْ ، وَسيروا إلى الجِهَةِ الّتي أَمَرَكُمُ اللهُ بالمَسيرِ إلَيْها دونَ تَأَخُّرٍ ولا تَباطُؤٍ .

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

أيْ : وأَوْحينا إلى لُوطٍ ذلكَ الأَمْرَ ، وهُوَ أَنَّ قَوْمَهُ سَيُهْلَكونَ جَميعاً وسَيَنْتَهي أَمْرُهُمْ ، وَسَيُقْضى عَلَيْهِمْ مَعَ دُخولِ وَقْتِ الصَّباحِ فلا يَبْقى مِنْهُم أَحَدٌ .

وفي إبهامِ الأمْرِ أوَّلاً ثُمَّ إيضاحُهُ دِلالةٌ على شِدَّةِ العذابِ وعَظَمتِهِ وقُوَّتِه .

﴿ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

لمَّا سَمِعَ قومُ لُوطٍ بِوُجودِ الضُّيوفِ عِنْدَهُ جاءوا إلى بَيْتِهِ ، يُبَشِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بوجودَ هَؤلاءِ الضُّيوفِ ، فَقَدْ كانَ من عادةِ قَوْمِ لُوطٍ أنَّهُمْ يَعْتَدونَ على الغُرَباءِ بالفاحِشَةِ ، وهي فِعْلَةُ قَوْمِ لُوطٍ القبيحةُ : إتيانُ الرِّجالِ .

وَتُشيرُ الآيةُ الكَريمةُ إلى ما أصابَ نُفوسَ القَوْمِ مِنْ انْحِرافٍ وَشُذوذٍ ، حَيْثُ يَأْتُونَ جَميعاً فَرِحينَ دونَ إبْطاءٍ ، مُعْلِنينَ عَنْ غايَتِهِمُ الشَّنيعةِ دونَ حَياءٍ .

﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

قالَ لُوطٌ عليْهِ السَّلامُ لِمَنْ جاءوا مِنْ قَوْمِهِ إلى بَيْتِهِ لارْتكابِ الفاحِشَةِ مَعَ ضُيوفِهِ : إنَّ هؤلاءِ المُوجودينَ عِنْدي ضُيوفِي الّذين يَلْزَمُني حِمايَتُهُمْ وحِفْظُهُمْ فلا تَفْضَحوني أمامَهُمْ بِفْعْلِكُمُ المُشينِ ومَطْلَبِكِمُ السَّيِّي .

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴿٦٩﴾ ﴾

وخافوا مِنْ عَذابِ رَبِّكُمْ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ ، ولا تُهينوني بإهانةِ ضُيوفي والتَّعَرُّضِ لَهُمْ بالسُّوءِ والفاحِشَةِ .

﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾

قالَ الحاضِرونَ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ لَهُ بَعْدَ أَنْ نَصَحَهُمْ فَلَمْ يُؤَثِّرْ نُصْحُهُ فيهِمْ : أَوَلَمْ يَسْبِقْ لنا أنَّا نَهيناكَ عَنِ اسْتِضافَةِ أَحَدٍ ؟ وحَذَّرناكَ مِنْ مَنْعِنا مِنْ فِعْلِ الفاحِشَةِ مَعَ مَنْ نَشاءُ ؟

وهذا الكلامُ مِنْهُمْ يَدُلُّ على مَدى وَقاحَتِهِمْ مَعَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وهو النَّبيُّ الكَريمُ الَّذي أَرْسَلَهُ اللهُ إليْهِم لِهِدايَتِهِمْ وتَطْهيرِهِمْ مِنْ فِعْلِ الفاحِشَةِ وإبْعادِهِمْ عَنْها ، وهُمْ مَعَ باطِلِهِمْ وضَلالِهِمْ يَنْهَوْنَهُ عنِ الحَقِّ وعَنِ الأَمْرِ بِالمَعْروفِ بغايةِ الوَقاحَةِ والعِنادِ على فِعْلِ المُنْكَرِ ، فيا لَهُ مِنْ مَنْطِقٍ مُنْحَرِفٍ وتَفْكيرٍ غيرِ سَوِيٍّ .

﴿ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ ﴾

حاولَ لوطٌ عَلَيْهِ السَّلامُ صَرْفَ قَوْمِهِ عَنْ ضُيوفِهِ بطريقةٍ أُخْرَى ، إذْ لَمْ يَنْفَعْ مَعَهُمْ وَعْظُهُ السَّابِقُ ، فقالَ لَهُمْ : هؤلاءِ نِساؤُكُمُ اللّاتِي هُنَّ بِمنزلَةِ بَناتي فَتزوجوهُنَّ واقْضوا مَعَهُنَّ شَهْوَتَكُمْ ، وابْتَعِدوا عنِ الحرامِ والفاحِشَةِ إنْ كُنْتُمْ تُريدونَ قَضاءَ شَهْوَتِكُمْ على الوَجْهِ المَشْروعِ الصَّحيحِ .

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾

وَهذا قَسَمٌ بِحَياتِهِ ﷺ ، ولَمْ يُقْسِمْ سُبْحانَهُ بحياةِ أحَدٍ سِواهُ ، على أنَّ قَوْمَ لوطٍ كانوا في ذَلِكَ الوَقْتِ الَّذي جادلوا فيهِ نَبِيَّهُمْ في نَشْوَةٍ عارمَةٍ كحالِ السَّكْرانِ ، الَّذي فَقَدَ قُواهُ العَقْلِيَّةَ وأَخَذَتْهُ نَشْوَةُ السُّكْرِ حالَ كَوْنِهِ ضالاً حائِراً لاعِباً ، وهذا وَصْفٌ لِلْحالِ الّذي كانوا عَلَيْها عِنْدَما أَخَذَهُمُ العَذابُ واسْتَأْصَلَهُمْ ، شَأْنُهُمْ في ذَلِكَ شَأْنُ مَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ المُكَذِّبينَ كَقَوْمِ صالحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ وغَيْرِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ على كَبيرِ القَوْمِ أَنْ يَسيرَ خَلْفَهُمْ لِتَفَقُّدِ أَحْوالِهِمْ والاطْمِئنانِ عَلَيْهِم ، أَوْ أَنْ يُكَلِّفَ بِمَنْ يَقومُ بهذهِ المُهِمَّةِ .

٢ـ قُبْحُ فِعْلِ قَوْمِ لوطٍ ، وهُو إتْيانُ الرِّجالِ شَهوَةً ، وهُو جَريمَةٌ مُنْكَرَةٌ ، وَفِعْلٌ مُخالِفٌ لِلْفِطْرَةِ الإنْسانِيَّةِ .

٣ـ الوَقاحَةُ في مَنْعِ الدّاعي إلى الخَيْرِ مِنْ أداءِ رِسالَتِهِ وَعَدمِ تَمْكينِهِ مِنْ تَبْليغِ النُّصْحِ والخَيْرِ .

٤ـ عَظيمُ مَنْزِلَةِ رَسولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ اللهِ ، فَقَدْ أَقْسَمَ سُبْحانَهُ بِحَياةِ نَبِيِّهِ ﷺ تَكْريماً لَهُ وَرَفْعاً لِمَنْزِلَتِهِ السامِيَةِ .

التَّقْويمُ :

١ـ لِماذا واجَه لوطٌ عَلَيْهِ السَّلامُ ضَيْفَهُ بِقَولِهِ ﴿إِنَّكُم قَوْمٌ مُنْكَرونَ﴾ ؟

٢ـ اذْكُرْ ما قالَهُ ضُيوفُ لوطٍ لَهُ حَوْلَ سَبَبِ حَضورِهِمْ إلَيْهِ ، وماذا طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَفْعَلَ ؟

٣ـ لِماذا جاءَ أَهْلُ المَدينَةِ إلى مَنْزِلِ لوطٍ بَعْدَ أَنْ عَلِموا بِوُجودِ الضُّيوفِ عِنْدَهُ ؟

٤ـ اذْكُرْ ما قالَهُ لوطٌ عَلَيْهِ السَّلامُ لِقَوْمِهِ لِدَفْعِهِمْ عَنْ فِعْلِ الفاحِشَةِ ؟

٥ـ على أيِّ شَيْءٍ يَدُلُّ حَلْفُ اللهِ تَعالى بِحَياةِ رَسولِهِ ﷺ ؟

٦ـ هل يَجوزُ لِلْبَشَرِ أَنْ يُقْسِموا بِغَيْرِ اللهِ تَعالى ؟ وَلِماذا ؟

٧ـ بيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمّا يلي :

أ ـ قالوا بَلْ جِئْناكَ بما كانوا فيهِ يَمْتَرونَ .

ب ـ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيلِ .

ج ـ واتَّبِعْ أَدْبارَهُمْ .

د ـ وَقَضَيْنا إليهِ ذَلِكَ الأَمْرَ .

هـ ـ قالوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ العالَمينَ .

و ـ لَعَمْرُكَ إنَّهُمْ في سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهونَ .

نَشاطٌ :

١ ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَةً مِنَ الأَضْرارِ النَّاجِمَةِ عَنِ انْتِشارِ اللِّواطِ في المُجْتَمَعِ .

٢ ـ اذْكُرْ حَديثاً نبويّاً شَريفاً يَنْهَى المُؤْمِنَ عَنِ الحَلْفِ بِغَيْرِ اللهِ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الخَمْسونَ

سورَةُ الحِجْرِ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ

فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الصَّيْحَةُ : الصوتُ الشّديدُ .

مُشْرِقينَ : داخِلينَ في وَقْتِ شُروقِ الشَّمْسِ .

سِجّيلٍ : طينٍ مُتَحَجِّرٍ .

لِلْمُتَوسِّمينَ : لأَصْحابِ الفِراسَةِ ، وهِيَ مَعْرِفَةُ حَقيقةِ الشَّيْءِ مِنْ علاماتِهِ .

لَبِسبيلٍ مُقيمٍ : لَفي طَريقٍ بَيِّنٍ واضِحٍ .

الأيكةِ : البُستانِ كَثيفِ الأشْجارِ .

لَبِإمامٍ مُبينٍ : لَفي طَريقٍ بَيِّنٍ واضِحٍ .

الحِجْرِ : دِيارِ ثَمودَ .

مُصْبِحينَ : داخِلينَ في الصَّباحِ .



التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكريمةِ بيانٌ لِما يَلْحَقُ الكافِرينَ المُكَذِّبينَ مِنَ العَذابِ في الدُّنْيا ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾

أيْ : بَعْدَ أَنْ خَرَجَ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلامُ والمُؤْمِنونَ مِنَ المَدينةِ ، وحانَ وَقْتُ إِهْلاكِ أَهْلِ المَدينةِ الكافِرينَ ، أَخَذَتْهُمْ صَيْحَةُ العَذابِ ، وهِيَ صَيْحَةٌ مُهْلِكَةٌ مُدَمِّرَةٌ وكانَ ذَلِكَ عِنْدَ شُروقِ الشَّمْسِ .

﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾

بَعْدَ أَنْ دَمَّرَتِ الصَّيْحَةُ مَدينَتَهُمْ ، جَعَلَ اللهُ تَعالى عالِيَ هذهِ المَدينةِ سافِلَها بِأَنْ قَلَبَها ، فَقَدْ رَفَعَها أحدُ المَلائِكَةِ عَنْ مَوْضِعِها مِنَ الأَرْضِ ثُمَّ أَلْقاها مَرَّةً أُخْرى ، كَما جاءَ في قَوْلِهِ تَعالى ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النجم : ٥٣] وأَرْسَلَ اللهُ تَعالى عَلَيْهِم طِيناً مُتَحَجِّراً كالمَطَرِ المُتَتابِعِ زِيادَةً في عَذابِهِمْ وإتْماماً لِهَلاكِهِم فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُم أَحَدٌ وأُهْلِكوا جَميعاً .

وفي إهْلاكِهِمْ بِهذِهِ الطَّريقَةِ إشارَةٌ إلى انْقِلابِ فِطَرِهِمْ ، فَهُمْ يُريدونَ الأُمورَ السَّيِّئةَ حَسَنَةً ، وَيُريدونَ الشُّذوذَ صَواباً ، فاسْتَحَقّوا التَّعْذيبَ بِقَلْبِ مَدينَتِهِمْ .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

أيْ : إنَّ ذَلِكَ العَذابَ الَّذي دَمَّرَ قَوْمَ لُوطٍ لَعلاماتٍ بَيِّنَةٍ واضِحَةٍ على أَخْذِ اللهِ تعالى لِلْمُكَذِّبينَ المُنْحَرِفينَ عَنِ الفِطْرَةِ والصَّوابِ ، يَرى هَذِهِ العَلاماتِ وَيَنْتَفِعُ بها أَهْلُ الفِطْنَةِ والفِراسَةِ ، الّذينَ يُدْرِكونَ الأُمورَ بِعلاماتِها وبالإشاراتِ الدَّالَّةِ عَلَيْها . وفي الآيةِ امْتِداحٌ لأَهْلِ الفِطْنَةِ والذَّكاءِ والاسْتِدْلالِ على الأُمورِ بِمُقَدِّماتِها ، ويَدُلُّ ذلكَ على ذَمِّ الَّذينَ يَرَوْنَ الآياتِ فلا يَعْتَبِرونَ بِها ولا يَتَفكَّرونَ فِيها ولا يَنْتَفِعونَ مِنْها .

﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾

أيْ : وإنَّ مَدينةَ قَوْمِ لُوطٍ تَقَعُ في طَريقٍ واضِحٍ ظاهِرٍ يَسْلُكُهُ النَّاسُ في أَسْفارِهِمْ ، وَيَجْتازونَهُ وَيَمُرّونَ بالقُرْبِ مِنْها ، كما قالَ تَعالى ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [الصافات : ١٣٧-١٣٨] وذَلِكَ لِوُقوعِها في الطَّريقِ بَيْنَ مَكَّةَ والشَّام ، في الجِهَةِ الجَنوبيةِ مِنَ المَكانِ المَعْروفِ قَديماً باسْمِ : بُحَيْرَةِ لُوطٍ ، والمَعْروفِ حالياً باسْمِ : البَحْرِ المَيِّتِ . فَلْيَعْتَبِرِ المارّونَ مِنْ

هذا السَّبيلِ بِما حَصَلَ بِقَوْمِ لُوطٍ مِنْ عَذابٍ وهَلاكٍ وَلْيَبْتَعِدوا عَنْ أَسْبابِهِ .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

أيْ : إنَّ فيما ذُكِرَ مِنْ قِصَّةِ قَوْمِ لُوطٍ لآيةً عَظيمةً لِلْمُؤْمِنينَ الَّذينَ يَعْتَبِرونَ بِمَنْ سَبَقَهُمْ ، ويَعْلَمونَ أنَّ حُسْنَ العاقِبَةِ لِلْمُتَّقينَ ، وأنَّ سُوءَ العذابِ لِلْمُكَذِّبينَ الكافِرينَ .

وتَخْصيصُ المُؤْمنينَ بالذِّكْرِ لأنَّهُمْ هُمُ الّذينَ يَنْتَفِعونَ بالآياتِ دُونَ غَيْرِهِمْ ، وإفرادُ لَفْظِ الآيَةِ هُنا بَعْدَ جَمْعِهِ في الآيةِ قَبْلَ السَّابِقَةِ لِلإشارَةِ إلى فَضْلِ الإيمانِ ، وأنَّ المُؤْمِنَ تَكْفيهِ آيةٌ واحِدَةٌ .

ثُمَّ ذَكَر سُبْحانَهُ جانِباً مِنْ قِصَّةِ أصْحابِ الأَيْكَةِ ، فَقالَ :

﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾

أيْ : وإنَّ الحالَ والشَّأْنَ أَنَّ أصْحابَ الأيْكَةِ ـ وهِيَ البُسْتانُ ـ وهُمْ قَومُ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ كانوا ظالِمينَ لأَنْفُسِهِمْ بِعَدَمِ الإيمانِ باللهِ ، وَظالِمينَ لِغَيرِهِمْ بِتَطْفيفِ المِكْيالِ والميزانِ .

﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

فَأَهْلَكناهُمْ بِسَبَبِ ظُلْمِهِم ، وكانَ إهْلاكُهُمْ كما جاءَ في آياتٍ أُخْرى : بالرَّجْفَةِ وبعذابِ يَوْمِ الظُّلَّةِ .

ثُمَّ بَيَّنَ سَبْحانَهُ أنَّ مكانَ أصْحابِ الأيْكَةِ مِثْلُ مَكانِ قَوْمِ لُوطٍ يَقَعُ في الطَّريقِ البَيِّنِ الواضِحِ الَّذي يَسْلُكُهُ أَهْلُ مَكَّةَ في طريقِهِمْ إلى الشَّام .

فَقَوْمُ شُعَيْبٍ قَريبونَ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ في الزَّمانِ وفي المَكانِ ، وَلِذا جَمَعَ بَيْنَهُما سُبْحانَهُ في هذه الآيةِ ، ويَدُلُّ على ذَلِكَ قَولُ شُعَيْبٍ لِقَوْمِه : ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [هود : ٨٩] وتَقَعُ مَساكِنُ قَوْمِ شُعَيْبٍ في مَنْطِقَةِ شَرْقَ خَليجِ العَقَبةِ وشَمالَ الحجازِ .

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحانَهُ جانِباً مِنْ قِصَّةِ ثَمودَ فَقالَ :

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

أيْ : وَلَقَدْ كَذَّبَ قَوْمُ ثَمودَ رَسولَهُمْ صالِحاً عَلَيْهِ السَّلامُ فكانوا بِتَكْذيبِهِمْ لَهُ كَأَنَّهُمْ كَذَّبوا جَميعَ المُرْسَلينَ ، لأنَّ رِسالَتَهُمْ واحِدَةٌ وهِيَ الدَّعْوَةُ إلى تَوْحيدِ اللهِ وَعِبادَتِهِ وَتَرْكِ الأَفْعالِ السَّيِّئَةِ .

والحِجْرُ : وادٍ بَيْنَ المَدينةِ المُنَوَّرَةِ والشَّام كانَ قَوْمُ ثَمودٍ يَسْكُنونَ فيهِ ، وما يَزالُ يُسَمَّى إلى الآنَ بِمدائِنِ صالحٍ ، ويَقَعُ على بُعْدِ نَحْو عِشرينَ كيلو متراً شَمالَ مَدينةِ خَيْبَر .

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

وأظْهَرْنا لَهُمْ آياتِنا العَظيمةَ الدّالَّةَ على صِدْقِ نَبيِّهِمْ صالحٍ في دَعْوَتِهِ ولكنَّهُم أعْرَضوا عَنْ هَذهِ الآياتِ إعْراضاً كُلياً ولَمْ يَنْتَفِعوا بها .

﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾

بَلَغَ قَوْمُ صالحٍ مِنَ القُوَّةِ والمَهارَةِ دَرَجةً كَبيرةً ، حيْثُ كانوا يَقْطَعونَ حِجارَةَ الجِبالِ ويَنْحِتونَ فيها بُيوتاً لَهُمْ لِيَعيشوا فيها آمِنينَ مُطْمَئِنينَ .

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ تَعالى بِصَيْحَةٍ عَظيمةٍ أَخَذَتْهُمْ وَقْتَ الصُّبْحِ جزاءَ كُفْرِهِمْ وَعَدمِ إيمانِهِمْ .

﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ وَلَمْ يَمْنَعْ عَنْهُمْ عَذابَ اللهِ ما كانوا يَفْعلونَهُ مِنْ نَحْتِ البُيوتِ في الجِبالِ وما كانوا يَكْسِبونَ مِنَ الأَمْوالِ وَغَيْرِها .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ أنَّهُ ما خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ وما بَيْنَهُما عَبَثاً وباطِلاً ، بَلْ خَلَقَهُما بالحِكْمَةِ والعَدْلِ ، وإنَّ يَوْمَ القيامةِ آتٍ لا رَيْبَ فيه ، فيُعَذِّبُ اللهُ مَنْ كَفَرَ بهِ وعَصى أَمْرَهُ ، ويُثيبُ مَنْ آمَنَ بهِ وأطاعَهُ ، فاعْفُ أَيُّها النَّبيُّ الكَريمُ عَمَّنْ كَذَّبَكَ وآذاكَ عَفْواً جَميلاً لا لَوْمَ فيهِ ولا عَتْبَ ، حتّى يَأْتيَ أَمْرُ اللهِ .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾

إنَّ رَبَّكَ اللهُ هُو خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ والعليمُ بِما خَلَقَ ، لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمورِ مَخْلوقاتِهِ على كَثْرَتِها وتَنوُّعِها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ كانَ عذابُ قَوْمِ لُوطٍ شَديداً قَوياً مُدَمِّراً مُتَناسِباً مَعَ فِعْلِهِمُ القَبيحِ .

٢ـ امْتِداحُ أَهْلِ الفِطْنَةِ والفِراسَةِ ، فَعلى المَرْءِ اللَّبيبِ السَّعْيُ لِتَحْصيلِهِما .

٣ـ ضَرورَةُ الاعْتِبارِ والاتِّعاظِ عِنْدَ المُرورِ بِأَرْضِ المُهْلَكينَ .

٤ـ إذا أرادَ اللهُ إهْلاكَ أُمَّةٍ فإنَّ قُوَّتَها المادِيَّةَ لا تُغْني عَنْها شَيْئاً .

٥ـ الصَّفْحُ الجميلُ مِنْ مَحاسِنِ الأَخْلاقِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بَيِّنْ كَيْفيَّةَ إهْلاكِ قَوْمِ لُوطٍ .

٢ـ مَنِ المُتَوسِّمونَ ؟ وَلِماذا امْتُدِحوا في الآيَةِ ؟

٣ـ مَنْ أَصْحابُ الأَيْكَةِ ؟ وَكَيْفَ أُهْلِكوا ؟

٤ـ أيْنَ تَقَعُ دِيارُ كُلٍّ مِنْ : قَوْمِ لُوطٍ ، وقَوْمِ شُعَيْبٍ ؟ وما فائِدَةُ الإعْلامِ عَنْ مَكانِهِم ؟

٥ـ لِماذا سُمِّيَ أَصْحابُ الحِجْرِ بِذَلِكَ ؟ وما اسْمُ رَسولِهِمْ ؟

٦ـ لماذا كانَ أَصْحابُ الحِجْرِ يَنْحِتونَ البيُوتَ في الجِبالِ ؟ وكَيْفَ أَهْلَكَهُمُ اللهُ تَعالى ؟

٧ـ بَيِّنْ مَعنى ما يلي :

أ ـ فَجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها .

ب ـ وإنَّها لَبِسبيلٍ مُقيمٍ .

ج ـ فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانوا يَكْسِبونَ .

د ـ فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَميلَ .

تَعَلَّمْ :

عَنْ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمَّا مَرَّ بالحِجْرِ قالَ :

« لا تَدْخُلوا مَساكِنَ الّذينَ ظَلَموا أَنْفُسَهُمْ إلاَّ أَنْ تكونوا باكينَ أَنْ يُصيبَكُمْ ما أصابَهُمْ » ، وأَمَرَ

الصَّحابَةَ ألاَّ يَشْرَبوا مِنْ بِئْرِها ولا يَسْتَقوا مِنْها فَقالوا : قَدْ عَجَنَّا مِنْها واسْتَقَيْنا ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرحوا ذَلِكَ العَجينَ ، ويُهريقُوا ذَلِكَ الماءَ[1] .



١ـ كانتْ مُعْجَزةُ صالحٍ عَليْهِ السَّلامُ النَّاقةَ . وتَنْطَوي هذهِ المُعْجِزَةُ على عَدَدٍ مِنَ المُعْجِزاتِ ، عَدِّدْها بِمُشارَكَةِ زُملائِكَ ، ودَوِّنْها في دَفْتَرِكَ .

٢ـ حدِّدْ على خارِطَةِ الجَزيرَةِ العَربيَّةِ وبلادِ الشَّامِ مَوْقِعَ كُلٍّ مِنْ : قُرى قومِ لُوطٍ ، أصحابِ الأَيْكَةِ ، أَصْحابِ الحِجْرِ .

* * *

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب رقم ١٩ ، رقم الحديث ٣١٩٨ ، وروه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم .

الدَّرْسُ الحادي والخَمْسونَ

سورَةُ الحِجْرِ - القِسْمُ التَّاسِعُ

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

سَبْعاً مِنَ المَثانِي : سورَةَ الفاتِحَةِ ، سُمِّيَتْ بِذلِكَ لأنَّها سَبْعُ آياتٍ ، وسُمِّيَتِ المَثاني ، لأَنَّها تُقْرأُ في كُلِّ رَكْعَةٍ في الصَّلاةِ .

أَزْواجاً : أَصْنافاً .

اخْفِضْ جَناحَكَ : تَواضَعْ .

المُقْتَسِمينَ : الَّذين قَسَموا كِتابَ اللهِ .

عِضينَ : أَجْزاءً .

فاصْدَعْ : اجْهَرْ .

التفسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ بَيانٌ لِما امْتَنَّ اللهُ بهِ على رَسولِهِ ﷺ ، وتَوجيهاتٌ رَبَّانيةٌ لَهُ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾

أيْ : وَلَقَدْ أَنْعمنا عليْكَ نِعْمَةً عُظمى ، إذْ أَنّزلنا عليْكَ سُورَةَ الفاتِحَةَ الّتي هِيَ سَبْعُ آياتٍ ، وتُثَنّى وتُكَرَّرُ في الصَّلواتِ الخَمْسِ وغيْرِها ، وتَحْتَوي على الثّناءِ على اللهِ تَعالى ، وأنْزلنا عَلَيْكَ القُرْآنَ العَظيمَ الّذي يَهْدي إلى كُلِّ خَيْرٍ . وَعَطْفُ القُرْآنِ الكريمِ على سورَةِ الفاتِحَةِ مِنْ بابِ عَطْفِ الكُلِّ على البَعْضِ . وإفْرادُ الفاتِحَةِ بالذِّكْرِ مَعَ تَقْديمِها لِمَزيدِ فَضْلِها ورَفيعِ مَكانَتِها وعَظيمِ مَنْزِلَتِها ، فَقَدِ اشْتَمَلَتْ على مَقاصِدِ القُرْآنِ كُلِّهِ ، وهِيَ أَفْضَلُ ما نَزَلَ في الكُتُبِ جَميعاً .

﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

هذا نَهْيٌ لِلْمُسْلمينَ مِنْ خِلالِ نَهْيِهِ ﷺ عَنِ التَّطَلُّعِ إلى زينَةِ الحياةِ الدُّنْيا ، فيقولُ سُبْحانَهُ : لا تَنْظُرْ بِبَصَرِكَ نَظَرَ الطامِحِ الرّاغِبِ في المَتاعِ الزّائِلِ الّذي مَتَّعْنا بهِ أصْنافاً مِنَ المُشْرِكينَ ، فإنَّهُ إلى زَوالٍ وَذَهابٍ ، وَقَدْ آتَيْناكَ ما هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ وأَبْقى وهُوَ القُرْآنُ العَظيمُ . ولا تَحْزَنْ لِكُفْرِ مَنْ كَفَرَ مِنْ قَوْمِكَ وَلإعْراضِهِمْ عَنِ الحَقِّ وأَلِنْ جانِبَكَ وَتَواضَعْ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤمِنينَ .

﴿ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

وَقُلْ لِلنّاسِ جَميعاً : إنّي أَنا المُنْذِرُ لَكُمْ ، المُوَضِّحُ لِما أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ أَجْلِكُمْ ، والاقْتِصارُ على ذِكْرِ الإنْذارِ مَعَ أَنَّهُ ﷺ بَشيرٌ ونَذيرٌ ، لأنَّ المَقامَ مَقامُ تَحْذيرٍ وتَخْويفٍ .

﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

أيْ : أَنْزَلْنا عَلَيْكَ القُرْآنَ كما أَنْزَلْنا على أهْلِ الكِتابِ التَّوراةَ والإنْجيلَ .

﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

هَؤلاءِ المُقْتَسِمونَ جَعَلوا القُرْآنَ أجْزاءً مُتَفَرِّقَةً وَقالوا فيهِ أَقْوالاً مُخْتَلِفَةً ، وآمَنوا بِبَعْضِهِ وَكَفروا بِبَعْضِهِ . وشابَهَهُمْ في هذا السُّلوكِ والعَمَلِ السَّيِّءِ نَفَرٌ مِنَ المُشْرِكينَ ، كانوا يَقولونَ في القُرْآنِ أَقْوالاً مُخْتَلِفَةً ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقولُ هُوَ سِحْرٌ ، ومِنْهُمْ مَنْ يَقولُ هُوَ شِعْرٌ ، أو كَهانَةٌ ، أو أساطيرُ الأَوَّلينَ ، فَجَميعُ هَؤلاءِ مُسْتَحِقٌّ لِغَضَبِ اللهِ وَعذابِهِ على مَوْقِفِهِمْ هذا مِنَ القُرْآنِ العَظيمِ .

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

يُقْسِمُ سُبْحانَهُ بِنَفْسِهِ على أَنَّهُ سَيَسْأَلُ هَؤلاءِ المُقْتَسِمينَ كما سَيَسْأَلُ الخَلْقَ أَجْمعينَ عمَّا كانوا يَعْملونَ في دُنْياهُمْ . والسُّؤالُ مِنْهُ سُبْحانَهُ لَيْسَ سُؤالَ اسْتِفْهامٍ واسْتِعْلامٍ وإنَّماهُوَ سُؤالُ تَقْريرٍ وتَأْكيدٍ .

﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾

أيْ : اجْهَرْ بِرِسالَتِكَ وبما أمَرَكَ اللهُ بِهِ ولا تُبالِ بالمُشْرِكينَ وأذاهُمْ ، فاللهُ حافِظُكَ وناصِرُكَ عَلَيْهِم . رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ جَهَرَ بالدَّعْوَةِ بَعْدَ ثَلاثِ سِنينَ مِنَ الإسْرارِ بها ، وكانَ نُزولُ هذهِ الآيَةِ إيذاناً بانْتِهاءِ المَرْحَلَةِ السِرِّيَّةِ .

﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

أيْ : إنَّا كَفَيْناكَ الانْتِقامَ مِنَ المُسْتَهْزِئينَ بِكَ وَبِدَعْوَتِكَ ، وَسَنَنْتَقِمُ لكَ مِنْهُم .

﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

إنَّ هؤلاءِ المُسْتَهْزِئينَ بِكَ يَتَّخِذونَ مَعَ اللهِ إلَهاً آخَرَ فَيُشْرِكونَ مَعَهُ ما لا يَضُرُّهُمْ ولا يَنْفَعُهُمْ ، فَسَوفَ يَجِدونَ عاقِبَةَ أمْرِهِمْ ومآلَ شِرْكِهِمْ . وهذا وَعيدٌ لَهُمْ بِسُوءِ المَصيرِ لَعَلَّهُمْ يَرْتَدِعونَ عَنْ شِرْكِهِمْ وَيُؤْمِنونَ باللهِ .

﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾

ونَحْنُ نَعْلَمُ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ أَنَّ أقوالَ المُشْرِكينَ الباطِلَةَ واسْتِهْزاءَهُم بِكَ يُحْزِنُ نَفْسَكَ ، ويُؤَدِّي إلى انْقِباضِ صَدْرِكَ وَضيقِهِ ، فلا يَمْنَعْكَ ذَلِكَ عَنْ تَبْليغِ الرِّسالَةِ ، ولْيَكُنْ دافِعاً لَكَ لِلْمَزيدِ مِنَ العَمَلِ والطَّاعَةِ والذِّكْرِ .

﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾

فافْزَعْ إذا ضاقَ صَدْرُكَ وأصابَكَ هَمٌّ وغَمٌّ إلى تَسْبيحِ اللهِ تَعالى وَذِكْرِهِ والصَّلاةِ لِيَذْهَبَ عَنْكَ الضِّيقُ والغَمُّ .

وَتَخْصيصُ السُّجودِ بالذِّكْرِ لأَهَمِّيَّتِهِ ، ولأَنهُ أظْهَرُ ما يَدُلُّ على الخُضوعِ في الصَّلاةِ ، وفي الحديثِ : « أَقْرَبُ ما يَكونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وهُوَ ساجِدٌ فَأَكْثِروا الدُّعاءَ »[(١)] .

﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾

وَدُمْ على ما أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ عِبادَةِ رَبِّكَ والتَّقَرُّبِ إليْهِ بما يُرْضيهِ ما دُمْتَ حَيّاً ، حتَّى يَأْتِيَكَ الأَمْرُ اليَقينُ الَّذي لا شَكَّ فيهِ وهُوَ المَوْتُ . اللَّهمَّ أَعِنَّا على دَوامِ العَمَلِ الصَّالِحِ ما دُمْنا أَحْياءً وَتَوَفَّنا وأَنْتَ راضٍ عَنَّا .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ، رقم الحديث ١٠٨٣ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ فَضْلُ سورَةِ الفاتِحَةِ فَهِيَ أَفْضَلُ سورَةٍ في القُرْآنِ الكَريمِ .

٢ـ على الدُّعاةِ إلى اللهِ أَنْ لا يَلْتَفِتوا إلى ما بِأَيْدي النَّاسِ مِنْ مَتاعِ الدُّنْيا وَزينَتِها وَيَقْنَعوا بما عِنْدَ اللهِ .

٣ـ اسْتِحْبابُ التَّعامُلِ مَعَ الآخَرين بلينٍ وَلُطْفٍ وَتَواضُعٍ .

٤ـ الجَهْرُ بالدَّعْوَةِ في مُواجَهَةِ المُشْرِكينَ ، واحْتمالُ أَذاهُمْ في سَبيلِ اللهِ تَعالى .

٥ـ الُّلجوءُ إلى اللهِ سُبْحانَهُ بالصَّلاةِ يُزيلُ الهَمَّ والغَمَّ وضيقَ الصَّدْرِ .

٦ـ أَهَمِيَّةُ المُداوَمَةِ على طاعَةِ اللهِ وَعِبادَتِهِ إلى المَماتِ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما سَبَبُ تَسْمِيَةِ الفاتِحَةِ : السَّبعَ المَثاني ؟

٢ـ في قَوْلِهِ تَعالى ﴿لا تَمُدَّنَّ . . . . . ﴾ ثَلاثةُ أَوامِرَ ، بَيِّنْها ؟

٣ـ ما المُرادُ بالمُقْتَسِمينَ ؟ وكَيْفَ جَعَلوا القُرْآنَ عِضينَ ؟

٤ـ مَتى نَزَلَ قَولُهُ تَعالى ﴿فاصْدَعْ بما تُؤْمَرْ﴾ ؟ وما مَعْناهُ ؟

٥ـ بماذا سَيَكْفِي اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ المُسْتَهْزئينَ ؟

٦ـ ما التَّوْجيهُ الّذي أُمِرَ بِهِ رَسولُ اللهِ ﷺ حينَ يَضيقُ صَدْرُهُ بِكلامِ المُشْرِكينَ ؟

٧ـ على ماذا يَدُلُّ قولُه تَعالى ﴿واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقينُ﴾ ؟

٨ـ ما وَجْهُ تَسْمِيَةِ المَوْتِ يقيناً ؟

٩ـ ما الدُّروسُ المُسْتَفادَةُ مِنَ الآياتِ التاليةِ :

أ ـ واخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنينَ .

ب ـ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمعينَ عمَّا كانوا يَعْمَلونَ .

ج ـ فاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ .

د ـ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدينَ .

تَعَلَّمْ :

عَنْ أبي سَعيدٍ بن المُعَلّى قالَ : كُنْتُ أُصَلِّي فَدَعاني النَّبيُّ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ . قُلْتُ : يا رَسولَ اللهِ إنّي كُنْتُ أُصَلِّي ، قالَ : أَلَمْ يَقُلِ اللهُ ﴿اسْتَجيبوا للهِ ولِلرَّسولِ إذا دَعاكُمْ﴾ ، ثُمَّ قالَ : أَلا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سورَةٍ في القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ ، فَأَخَذَ بِيَدي ، فَلَمّا أَرَدْنا أنْ نَخْرُجَ قُلْتُ : يا رسولَ اللهِ ، إنَّكَ قُلْتَ لأَعلمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ القُرآنِ ، قالَ : « الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ هِيَ السَّبْعُ المَثاني والقُرآنُ العَظيمُ الّذي أُوتيتُهُ »[١] .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أَرْبَعَةً مِنْ أَسْماءِ سورَةِ الفاتِحَةِ .

٢ـ اكْتُبْ آيةً سُورَةِ الفَتْحِ الّتي تُبَيِّنُ مُهِمَّةَ الرَّسولِ ﷺ .

٣ـ بَيِّنْ سُنَّةَ الرَّسولِ ﷺ عِنْدَما كانتْ تَشْتَدُّ عَلَيْهِ الأَحْوالُ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

٤ـ ارْجِعْ إلى سيرَةِ ابنِ هِشام وتَفْسيرِ ابنِ كَثيرٍ لِهذِهِ الآيَةِ ، اسْتَخْرِجْ مِنْهُما ثلاثَ حَوادِثَ أَهْلَكَ اللهُ تَعالى فيها عَدَداً مِنْ صَناديدِ الكُفْرِ لاسْتِهْزائِهِمْ بِرَسولِ اللهِ ﷺ ، ودَوِّنْها في دَفْتَرِكَ .

* * *

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب فضل فاتحة الكتاب ، رقم الحديث ٤٧٢٠ وفي هذا الحديث إطلاق اسم القر ن الكريم على الفاتحة ، وهو من باب تسمية البعض باسم الكل ، وفيه إشارة إلى عظيم منزلة سورة الفاتحة واشتمالها على مقاصد القرآن كله .

